

كتاب الهلال



.. عن ثورة ١٩٥٢!
حمدي لطفي

سلسلة
ثقافية
عشرية



الوجه الآخر

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبوالمجد

مستشار التحرير : عايد عيلاد

المشرف الفني : جمال قطب

العدد ٣١٩ - رجب ١٣٩٧ - يولية ١٩٧٧

No. 319 Juillet 1977

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب
تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

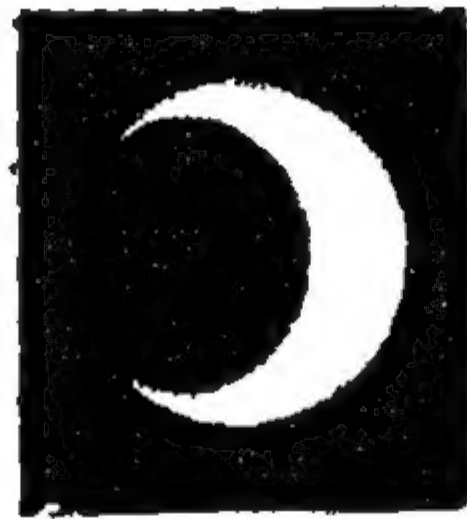
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية
وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا .
فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أمريكية أو ٢٥٠ جك - والقيمة
تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر
العربية والسودان بحواله بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى
أو حوالة بريدية . القيمة والأسعار الموضحة
بريد الجوى والمسجل

إهداء 2005

أ/إبراهيم منصور خنيزه

القاهرة

كتاب الله



سلسلة شهرية لنشر المطاف بين الجميع

المغلاف بريشة
المفنان جمال قطب

حمدى لطفي

شواربيونيو الوجه الآخر

دار الهلال

تقديم

لماذا هذا الكتاب الآن ، عن ثورة يوليو ١٩٥٢ ؟
هل لأن الثورة المصرية دخلت في يوليو ١٩٧٧ عامها
الخامس والعشرين ؟

هو بالدرجة الاولى أحد العوامل التي جعلتني أجمع
مادة هذا الكتاب « ثوار يوليو » ليصدر وقد انقضى
ربع قرن على قيام الثورة .

ولكن ماذا يضيف هذا الكتاب ؟ ..

ما هو الجديد الذي يقدمه في عام ١٩٧٧ ؟ ..

- أستطيع أن أقول بكل الثقة ان ثورة يوليو لم
تطرح « كل » أسرارها بعد حتى الآن ، رغم ما كتب
عنها بلغات العالم المختلفة خلال خمسة وعشرين سنة
مضت ... هناك أسرار ومعلومات وتفاصيل وخلفيات
مثيرة وجديدة لم تدع بعد عبر مرحلة الاعداد للثورة ،
وعبر مرحلة مسار الثورة ، وما فعلوه ثوار يوليو
بالثورة ، بل وما صنعه « سارقو » الثورة بالثورة !

لقد سرق البعض ثورة يوليو ... أمام قادتها ، في
بداية صراعاتها الاولى السياسية ، والصراعات المتعددة
على السلطة ، ووجد هؤلاء اللصوص من يجمعهم ويأخذ

ييسدهم ، لا ليقطعها ... بل ليجعلها تطول وتمتد
وتسيطر !

وفي هذه المقدمة ، أحاول أن أشرك القارئ معي في
رحلة البحث عن الحقيقة بين ثوار يوليو ، وهي رحلة
بدأتها في أغسطس ١٩٧١ ، باحثا عن هؤلاء الثوار من
أحرار يوليو . ولم يكن من السهل على الإطلاق أن أنقب
عن الثوار القدامى قبل مايو ١٩٧١ ، حين صحح
الرئيس السادات مسار الثورة ، وأزاح عنها اللصوص
الذين سرقوها منذ أيامها الأولى ، وهؤلاء لم يكن أقلهم
شأنا يرضى أو يقبل أو يوافق على مثل هذا العمل ...
لأنه في النهاية سيؤدي الى الحقيقة ، التي عملوا بكل
قواهم على حجبها وطمسها ، وأقل الجزاء الذي كان
سيوقع ضدي لو قمت بهذا النشاط قبل مايو ١٩٧١ ،
هو اتهامي بالخيانة أو التجسس أو التآمر ، ومضير
أسود بعد ذلك ! ..

وليس في هذا التفسير أية مبالغة ، كما سيري
القارئ بعد ذلك ونحن نقرأ مسار الثورة ، وتحولاتها
الخطيرة على أيدي من اغتصبوها ونسبوها الى أنفسهم ،
وصبفوها بلون مختلف للتضليل والتمويه ...

لقد قمت بهذه المهمة مطمئنا في أغسطس ١٩٧١ ،
وحتى ابريل ١٩٧٧ ، كنت مستمرا في التقصي ورحلة
البحث عن الحقيقة ، مؤمنا بأنها أي الحقيقة هي التي
ستبقى وتسطع للأجيال وللتاريخ مهما حاولوا طمسها .

ان ثورة يوليو - كما ذكرت قبل سطور - لم تطرح
بعد « كل » أسرارها وخلفياتها ، وفي هذا الكتاب
أسهم ببعض الجهد لتقديم الجديد عن الثورة ، بفكر

ورؤيا وطنية مصرية غير متحيزة أو مرتبطة باليسار أو اليمين ، بالشرق أو الغرب ، وهو ما أساء الى الحقيقة والثورة حين كتب عنها البعض من خلال رؤيته أو عقيدته السياسية وارتباطاته غير المصرية .. وللأسف حدث هذا ، وشوهوا التاريخ بالفعل !

اننى اكتب عن ثورة يوليو كجندي من جنودها ، وقد كان لى شرف التواجد بين ثوار يوليو ابتداء من الساعة العاشرة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، حريصا على الالتحام بهم ، وكنت أصفر الصحفيين الذين يترددون على مجلس قيادة الثورة ، أو الذين استمروا يترددون خلال ١٩٥٣ - ١٩٥٤ - ١٩٥٥ ، مرحلة ما يطلق عليها « تثبيت » الثورة ، وهى تستغرق أحيانا عدة أسابيع أو أشهر ، وأحيانا عدة سنوات ، كنت أصفرهم سنا « ٢١ سنة » ولكنى كنت اقواهم ذاكرة ورغبة فى الاستيعاب والتقصى ورؤية الاعماق ..

ولقد ارتبطت بقطاع الجيش مع قيام الثورة عاشقا لها مؤمنا بكل كيانى بها ، واعتقد ان مشاعرى هذه كانت هى مشاعر الشباب من جيلى الذين رأوا فى ثورة يوليو مستقبل مصر المشرق ، ومجتمعها الذى يحلمون به ، ثم تفرغت لهذا القطاع ، قطاع القوات المسلحة ، صحفيا بعد ذلك ، ولى الشرف أن أقول أن ارتباطى به ظل مستمرا حتى اليوم ، وقد عشت المناخ العسكرى فى الخمسينات والستينات مرورا بنكسة يونيو ١٩٦٧ ، وعواملها المتعددة التى أفرزها هذا المناخ ، كما عشت - مناخ السبعينات الذى قادنا الى حرب رمضان المساجدة عام ١٩٧٣ ، عشت المناخين وأحداثهما ، وخلفياتهما التى بقى أكثرها محتجبا عن الجماهير ،

ولذلك كانت الصورة أمامى التى أنقل عنها ، أوضح وأشمل .

ان ثورة يوليو ١٩٥٢ ، لم تبدأ من فراغ ... كانت هناك داخل أسلحة الجيش أرضية مشحونة بالفكر الثورى ، أوجدها ضباط آخرون قبل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ولظروف مختلفة توقف نشاط هؤلاء الثوار ، وبعضهم انضم الى عبد الناصر ورفاقه .

ومن هنا يتبين لنا ماذا يعنيه الرئيس السادات حين تحدث مساء ٢٤ ديسمبر ١٩٧٦ قائلا : « لقد بدأت العمل للثورة ، ثم تسلم منى الرئيس عبد الناصر » .

كان يعنى اشتغاله بالحركة الوطنية الثورية مع بداية الاربعينات ، وتلك حقيقة واقعة ، ملتحما بشباب فى رتبته وعمره من ضباط الطيران والمدركات حتى قبض عليه بعد أن أبعدوه عن الجيش ، فتسلم عبد الناصر ، قيادة النشاط السرى لهؤلاء الثوار داخل الاسلحة المختلفة ، وهى قيادة لم تكن رسمية ، ولكن الجميع كان يشعر بها بل ويعترف مرحبا بها عن ثقة واكبار واعتزاز .

كان للسادات ثقل سياسى فى بداية الاربعينات وهو برتبة يوزباشى ، وكان نشاطه الوطنى الثورى يتجاوز طاقة ثلاثة رجال ... وأذكر أن المرحوم يوسف صديق وهو من أبرز قادة ثورة يوليو قال لى عام ١٩٧١ و ١٩٧٢ عندما التقيت به عدة مرات فى منزله بمدينة المهندسين بالقاهرة :

« للحقيقة والتاريخ .. سمعنا عن ثورية هذا الضابط محمد أنور السادات عام ١٩٣٩ - ١٩٤١ ،

وحتى عام ١٩٤٢ واخراجه من الجيش بقرار ملكي في ٨ يناير ١٩٤٢ كنا نسمع عن عسكريته وعن اصطدامه بالقادة الانجليز ، وبعضنا كان يبحث عنه ليراه ، كما سمعنا أيضا عن ضابط لا يقل وطنية عن السادات وهو المرحوم محمد وجيه خليل ، أحد شهداء جولة ١٩٤٨ في فلسطين ، وعرفنا انهما دفعة واحدة ... دفعة السادات . »

لم يكن السادات وحده في مجال العمل الثوري داخل أسلحة الجيش ، كانت هناك عناصر ثورية أخرى من الضباط الوطنيين ترفض الاحتلال البريطاني لبلادها والقيادة الانجليزية لجيشهم ، بل وترفض وتحارب ذلك الضعف والتهاون والتعاون الملكي أمام الانجليز ومعهم ، وهو ضعف ملكي شمل للأسف كبار القادة الضباط من الباشوات ، ورؤساء الاحزاب السياسية في مصر ، وما كان لاحدها أن يحكم الا بموافقة الانجليز ، وفي الدرجة الاولى قائد القوات المسلحة البريطانية في الشرق الاوسط ومقر قيادتها القاهرة .

هذا النشاط الثوري لعدد قليل من ضباط الجيش المصري مع منتصف الاربعينات وحتى بداية الخمسينات سمعت عنه خلال صراع الاشهر الاولى لثورة يوليو ، وبداية القبض على مجموعة من الاحرار ومحاكمتهم عسكريا بتهمة التآمر ضد الثورة ، وظهور طلبة جديدة ممن سرقوا الثورة ، وقد أخذوا يظهرون تدريجيا ، وفي توقيت يختارونه بدهاء شديد فوق المسرح السياسي المصري ، يلعبون أدوارهم بخبرة صاحب التجارب السابقة في ابعاد العناصر الشريفة عن الميدان ... يقودون «الفرح» ويتقدمونه بالتهليل والتكبير والتعظيم ،

وفي أيديهم العصي الفليسيطة لضرب كل من يتعرض
بالاسساءة للفرح ، وهم في الحقيقة يحملونها لأرهاب
وتشريد أصحاب «الفرح» الحقيقيين ، وهو ماستعرض
له في الصفحات القادمة . . .

لقد سمعت عن النشاط الوطني الثوري لعدد من
الضباط منذ بداية الأربعينات ، ولم يكن بوسعهم غير
طباعة المنشورات السرية ضد السراى والانجليز ، ولكنها
كانت بداية لمشوار طويل ، سمعت عن هؤلاء الثوار الذين
عملوا قبل أن يلتقوا بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر
ودون أن يسمعوا به ، وكانوا نقطة البدء في نشوء الفكر
الثوري الوطني المتحرر بين أسلحة الجيش المختلفة ،
سمعت عنهم من المرحوم يوسف صديق ، والسادة رشاد
مهنا ثائر المدفعية القديم والوصى السابق على العرش بعد
الثورة مباشرة ، ومن الفريق أول محمد أحمد صادق
وزير الحربية السابق ، وعبد المنعم أمين أحد أعضاء
مجلس قيادة الثورة ، وعاطف نصار قائد الاحرار في
الاسكندرية ، والعميد مصطفى الوكيل أحد خبراء الحرب
الالكترونية ومحمد سعد عبد الحفيظ ثائر الفرسان
القديم ووكيل وزارة الثقافة حالياً ومن محمد عبد
العزیز هندی زميله . . . سمعت عن تجمعاتهم السرية
غير المنظمة ، ولقاءاتهم الفكرية المتقاربة مثل أعمارهم ،
واهتماماتهم الوطنية التي تملأ حياتهم وشبابهم ،
وتفاصيل مشيرة تذايع لأول مرة ، وتوضح لنا كيف
توقف نشاط بعض هؤلاء المتمردين على الاحتلال
البريطاني ، وكيف تعثر البعض ، وكيف التقى آخرون
بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر قبل الثورة ، سعى
هو اليهم ، أو سعوا هم اليه ، وعملوا بجانبه أو تحت

قيادته ، ثم كيف وقع الصدام بعد الثورة ... فكان
مسيرهم السجن الى حين !..

بعض هؤلاء الثوار صدر ضده الحكم بالاعدام ، ثم
عدل الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة ولكنه لم يقض
من العقوبة غير ثلاثة أشهر فقط ...

وتساءل الضباط الذين عرفوا بالقصة .. ما هي
الحكاية ؟ هل كانت محاكمة جدية او تمثيلية لابعاد
هذا الضابط او ذاك عن الجيش ؟ ! ..

ضابط يتآمر ويحاكم ويصدر الحكم باعدامه ، ثم
يخفف الحكم الى ٢٥ سنة اشغال شاقة ، ثم يغادر
السجن بعد ٩٠ يوما ... كل هذا يتم سرا ، ويزور
الضابط المتآمر زملائه في وحداتهم لكي يقول لهم انه
حر طليق ، وان المحاكمة لم تكن جدية ، وان الهدف
كان ابعاده عن الجيش فقط ! ماذا يعنى هذا كله ؟ !

حدثت هذه القصة مع قائد تنظيم الضباط الاحرار
في الاسكندرية « البكباشي عاطف نصار » الذي نقرأ
قصته وقصة ضباط الاسكندرية او احرار الاسكندرية
التي لم يقدر لها أن تنشر طوال ربع قرن مضى على
الاطلاق ، نقرأ قصتهم في نهاية فصول الكتاب .

لقد تردد الكثير عن موقف احرار الاسكندرية بعد
الثورة ، وكلها ترددات داخل نطاق الجيش لم يسمح
بإذاعتها أو نشرها منذ ١٩٥٢ ، وقيل أن الرئيس
الراحل جمال عبد الناصر كان يرى عدم اشتراك احرار
الاسكندرية في خطة التحرك مكثفيا « بتجميد موقف
وحداتهم العسكرية » في أنحاء المدينة ، وقيل أن هذا

ليس صحيحا وان عبد الناصر كلف احد الضباط وهو «اليوزباشى أحمد حمروش» الكاتب الصحفى بعد ذلك ، بابلاغ قيادة الاحرار فى الاسكندرية بساعة الصفر ، ولكن « حمروشا » نفذ تعليمات « حركة حدثو الشيوعية » التى كان يعمل معها ، ولم يبلغ الاحرار فى الاسكندرية بشئ ، واختفى فى قريته بالبحيرة ، ولم يظهر الا صباح ٢٤ يوليو ١٩٥٢ بالاسكندرية ، غير ان قوات الاسكندرية امام هذا التراخى فى ابلانها بموعد التحرك ، قامت بواجباتها لحظة سماعها البيان رقم واحد فى الاذاعة بصوت الرئيس أنور السادات ، وهى واجبات خطيرة ستعرض لها فى الاجزاء القادمة من هذا الكتاب .

ولقد قال الرئيس السادات ذات يوم ان الاعمال العظيمة لا تتحقق الا بالخطر العظيم ، وكان لابد من وقوع أخطاء وأخطار وحدث ثغرات فى مثل هذا العمل الضخم ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

قامت الثورة ونجحت وغيّرت وجه التاريخ ، قامت لتعبر عن عقم الاحتجاج السلمى داخل الجيش المصرى وتخرج بالطلّاء الثورية العسكرية الى العمل الايجابى المشفوع بالرؤيا الوطنية الواعية .

ولم تكن ثورة يوليو تحرز هذا النجاح منذ ساعاتها الاولى لو لم يؤيدها جميع ضباط وحنود الجيش بأسلحته المختلفة - الذين لم تضمهم خلايا التشكيل السرى للضباط الاحرار ، ليس عن عدم ثقة بهم ، بل حماية للسرية التى استند اليها التنظيم ثلاث سنوات .

ولم يكن التنظيم لينجح فى خطته اذا توسع فى ضم

أعدادا كبيرة من العناصر العسكرية الثورية الشريفة ،
وأكثرها غير قادر على كتمان السر في صدره !

ولقد استطاع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ،
بمقدرته الفائقة على إدارة النشاط التنظيمي السري
وبإمكانياته وطاقته تكوين الخلايا السرية داخل مختلف
الأسلحة والإشراف عليها ، في البر والجو والبحر ،
وبأسلوب فريد ألتمز به منذ عام ١٩٤٩ ، يعتمد على
الكتمان والسرية المطلقة حتى أن أكثر الأحرار لم يكن
يعرف من هو قائد الثورة ، أو عقلها المحرك ، بل كان
أحرار كتيبة ما في أحد الأسلحة لا يعرفون أحرار الكتيبة
المجاورة لها في نفس السلاح ، وانتشر تشكيل الضباط
من ثوار يوليو بين وحدات الجيش في العاصمة وسيناء
والإسكندرية ، دون أن تخرج أسرارهم إلى العلانية ،
ولكن قيل أن البوليس السياسي الملكي كشف هذا
التنظيم قبل أيام من ثورة يوليو ، وعرف الأحرار بهذه
القصة ، فمجلوا بالتحرك ، وقد تأكدوا أنهم قادرين على
تحريك ضباط الجيش جميعا ، تحريكا وطنيا واهيا ،
وانهم خلقوا رأيا عاما بين جميع الضباط ، سيجعلهم
يؤيدون الثورة مع خطواتها الأولى فكرا وعملا .

ولقد تردد بعد الثورة أن الخطة الرئيسية للحركة
كما وضعها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت
تقضى بالآتي :

١ - يقوم مائة ضابط يملكون طليعة الثوار بالثورة في
القاهرة ، وقد تحرك بالفعل ٩٨ ، وقيل ٩٩ ضابطا .

٢ - نفس العدد تقريبا يتحركون في الإسكندرية وسيناء ،
وقد قاموا بواجباتهم .

— يبقى حوالي مائة ضابط من الأحرار بدون وأجبات وبدون تكليفات بل يحال بينهم وبين معرفة ساعة الصفر ، حتى اذا فشلت الثورة لا قدر الله ، يصبح هؤلاء الضباط المائة نواة لحركة ثورية جديدة داخل الجيش تقوم بمحاولة جديدة امتدادا لحركة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وقد وضع في حسابات احتمالات الفشل والقبض عليه جنبا الى جنب احتمالات النجاح والسيطرة !

ولكن عددا ليس بقليل من الضباط الأحرار الذين التقيت بهم منذ بداية الثورة وحتى العام الحالي ١٩٧٧ ، وبعضهم من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، كذبوا هذا الجزء من الخطة مفسرين عدم صحته بأن قيادة تنظيم الضباط الأحرار كانت في حاجة لجهد كل ضابط ، خاصة في الايام الثلاثة الاخيرة التي سبقت ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبدليل ان عددا ليس بقليل من الضباط الذين تواجدوا ليلة الثورة في وحداتهم ودون أن يكون لهم صلة بالتنظيم السري اشتركوا في التحرك والخروج مع الأحرار حين علموا بالمفاجأة وقد اندفعوا في تادية واجباتهم أشجع الأداء ، وكنا في حاجة اليهم .

وهؤلاء الثوار قالوا لي أيضا أنه بالفعل حرص الرئيس الراحل جمال عبد الناصر على عدم ابلاغ بعض الضباط الأحرار بساعة الصفر ، وبذل جهدا كبيرا في ذلك حتى يحول بينهم وبين الوقوف على موعد التحرك من زملائهم ، فقد كان يخشى وجود هؤلاء الثوار بجانبه اذا نجحت الثورة ، واضعا في حساباته انهم سيخلقون مناخا يتجدد فيه الانقلابات ، وانهم لن يتعاونوا معه ، ولن يرضوا الا بتحقيق أهداف وطموحات شخصية لديهم ، وان ابعادهم

عن الحركة حتى تتم ويكتب لها النجاح لايعنى استبعادهم الى الابد ، ولكن شوكتهم ستكون قد ضعفت بالضرورة، ويصبح من السهولة التعاون معهم ، أو خضوعهم له ، وإذا كانت هذه القصة صحيحة أو تحمل بعض الصحة فمن المؤكد ان الرئيس الراحل لم يكن صائبا ... لأن شوكة هؤلاء الثوار لم تضعف ولم تلتن الا بالقهر والارهاب داخل السجون أو بالتشريد خارجها ! !

هذه قصة لم تستوف حقا من الدراسة والتقصى والبحث حتى الآن ، وهي تشكل جانبا من الهمية التاريخية في الاعداد لثورة يوليو لأنها كانت مدخلا منذ الاشهر الاولى بعد الثورة لصراعات عديدة وقضايا تآمر مختلفة ، بعضها حقيقى وبعضها ملفق ، ولم يتوقف هذا المناخ رغم احاطته بسرية مطلقة حتى يناير ١٩٧٠ ، أى قبل رحيل الرئيس جمال عبد الناصر بشهور تسعة فقط ... وهو ما سنتعرض له عبر الصفحات القادمة.

حمدى لطفى

عمل عظيم تأخر عن موعداه عشرين عاماً

من العدل والانصاف والوفاء أن تبدأ فصول هذا الكتاب بهذا الفصل الخاص بوثيقة ثوار يوليو من الضباط الاحرار ، وكيف جرى أعدادها ... وكيف استردت ثورة يوليو وجهها الحقيقي بملاحمة المصرية. لقد دافع الرئيس السادات بإيمان وثقاء الرجل الثورى عن « حرمة » الثورة التى أعطاها أحلى سنى العمر ، دافع بكل كيانه وامكانياته عن «حرمة» الثورة التى غيرت مجرى التاريخ فى الشرق الاوسط وافريقيا ، حتى تسترد ثورتنا نقائها وأصالتها .

لم تكن حرب اكتوبر الرمضانية عام ١٩٧٣ ، هى العمل الجليل الوحيد الذى رد للمصريين وللعرب كرامتهم وعزتهم بعد أن انتهكتها نكسة ١٩٦٧ ، فحسب ...

كان هناك عمل جليل آخر ، عمل جليل عظيم هو بداية الديمقراطية الحقيقية وليس الشعارات ، بداية لمناخ يمارس الشعب فوقه مجتمع الصمدق والحرية والشرف والامن والطمأنينة ، ذلك المناخ الذى أفرز انتصار قواتنا المسلحة فى حرب رمضان الماجدة ، عمل

جليل عظيم قام به الرئيس السادات ، وان جاء متأخرا
عن مواعده الطبيعى عشرين عاما كاملة ... ولكن الامر
لم يكن بيده !

لقد أخذ الرئيس السادات فى نهاية عام ١٩٧١ يبحث
بواسطة مجموعة من قدامى الثوار المعروفين بطاقتهم
الشابة وثقاتهم وصدقهم الثورى ، يبحث منقبسا فى
أنحاء الجمهورية عن الضباط الاحرار وما وقع لهم ، ثم
وضع وثيقة مصرية ثورية تاريخية فى نوفمبر ١٩٧٢ ،
وثيقة تضم أسماء الضباط الاحرار من مجموعات الصف
الاول ، وأسماء مجموعات الصف الثانى الذين فجروا
الثورة ، لا الذين هربوا وتراجعوا أو انتحلوا الاعذار
هروبا ليلة ٢٢ يوليو وليلة ٢٣ يوليو ، كما سجلت هذه
الوثيقة التاريخية أسماء الضباط من صغار وكبار
الرتب ممن أسهموا مع زملائهم فى التحرك ليلة الثورة ،
دون أن تضمهم خلايا التشكيل السرى للضباط
الاحرار .

ولقد بذل الرجال جهدا مكثفا ولعدة أشهر فى التقصى
والبحث عن ثوار يوليو ، بعضهم صعدت به الايام الى
القمة ، والبعض الى منتصف القمة ، وآخرون هبطت
بهم السلطة الى القاع دون أن يذكرهم أحد !

ولكن ما الدافع خلف اعداد هذه الوثيقة التى
أصدرها الرئيس السادات فى نوفمبر ١٩٧٢ ، ورأى
بإصالة الفلاح المصرى تواضعا ونكرانا للذات إلا يذيع
هذا السر طوال السنوات الخمس الماضية ؟
ما الدافع وقد طويت القضية بين لفائف النسيان ؟

- كل الضباط من الثوار القدامى الذين التقيت بهم
وهم أكثر من مائتى ضابط ، وبعضهم رفاق سلاحه أو

زملاء دفعته ، قالوا لى اجابة عن تساؤلى الذى طرحته
امامهم عام ١٩٧١ و ١٩٧٢ حول هذا العمل بالتحديد :
- انها صفة الوفاء فيه ، احدى دعائمه الاخلاقية
التي نمت مع نمو عمره ، فغمره الاحساس بالعدل
والصدق والرجولة ، صبيا وشابا ثائرا، كما دفع مختارا
من شبابه اعلى الثمن ، دفع حريته الشخصية خلف
أسوار السجون ، ورضى أن يبذل بهجة حياته دافعا
عن مصر وحريتها ، وقد غطت الجراح جسده ، لكن
روحه ظلت نقية ثرية بأرقى النبض البشرى الذى يرتفع
بالانسان فوق المثالب والاهواء .

لقد اهتم الرئيس السادات بعد أن تولى ولاية الوطن،
وبعد أن ازاح مراكز القوى الذين سرقوا ثورة يوليو فى
مراحلها الاولى ، وبعد أن أبعدهم عن المسرح السياسى
فى مايو ١٩٧١ ، اهتم بتسجيل ثورة يوليو - الخالدة
تاريخيا وتصحيح مسارها الوطنى ، ليبقى هذا
« السجل » دليلا أمام أجيال شعبنا وامام التاريخ ...

لم يقبل بأن يبقى الضبباط الاحرار خلف ستائر
الزمن والنسيان، فانطلق يبحث عنهم ويمسح جراحهم،
وما أكثر الذين بذلوا منهم أنبل البذل ، وأعطوا أغلى
العطاء وكانوا دائما فى مقدمة المبادرين ايجابا وتطبيقا ،
لا ينتظرون المقابل على الاطلاق ، وما أكثر الذين تعرضوا
منهم للتنكيل والارهاب جزاء ثوريتهم وتقائهم ودفاعه
الصادق عن « تثبيت » مبادئ الثورة ، ورفضه
الحاسم لمسيرة اجهاض وانتهاك حرمان الثورة !

لقد قال لى أحد الثوار القدامى ممن اقتربوا طويلا
من الرئيس السادات فى الخمسينات والستينات : «أن
السادات عاش مهموما بهذا العمل، وبذل جهدا شخويا

فى نهاية الستينات من أجل اصـدار هذه الوثيقة وتحسين الاوضاع الاجتماعية لكثير من الضباط الاحرار ، وانتـاذ بعضهم مما لحق بهم من كوارث ومحن فرضت عليهم ، ولكنه كان يصطدم دائما بالذين سرقوا الثورة وركبوا موجاتها ، وارتدوا ملابس الثوار ، يبعدون عن طريقهم كل من يعرف حقيقتهم ، أو كل من يحاول ازاحة الستائر الكثيفة عن الحقيقة المحتجبة عنوة وقهرا وكان فى القمة من يتركهم يعيشون بأقـدار مصائر أشرف الرجال . »



ومن هنا ، كان حرص الرئيس السادات على اصـدار هذه الوثيقة الثورية التاريخية المصرية، والعمل فى تجميع تفاصيلها ابتداء من يوليو ١٩٧١ ، لتصدر الوثيقة فى نوفمبر ١٩٧٢ ، وبعد موعدها الطبيعى عشرين عاما كاملة !

كيف . . . ولماذا ؟

انها قصة طويلة ، وبالضرورة لابد من طرحها ومناقشتها صراحة ووضوحا . . . انها قصة البداية .

بعد قيام الثورة بأشهر قليلة ، وجد بعض الضباط الاحرار فى القاهرة ان مجموعة ممن اداروا ظهورهم لحركة الجيش قبل القيام بها ، وبعد نجاحها عادوا وركبوا الموجة الثورية ، وأفلحوا أو كادوا فى نسب مواقف ثورية وهمية لأنفسهم والالتفاف حول قادة الثورة وجد بعض الضباط الاحرار ان هذه النوعية من الضباط تسرق الثورة نهارا وعلنا ففكروا فى اعداد سجل رسمى بأسماء ثوار كل سلاح « المدفعية والمشاة والطيران والاشارة والمدركات » على أن يضم هذا السجل اسم



الضباط وتاريخ تجنيده في خلايا التنظيم السرى ،
والضابط الذى قام بتجنيده ، ثم دوره ليلة الثورة وما
بعدها من أسابيع عصيبة حاسمة .
ولقد شرع ضباط المدرعات والمدفعية ميدان ،
والمدفعية السلاحية بالاسكندرية ، والمدفعية المضادة
للطيران ، في اعداد هذا السجل على مستوى القاهرة
والاسكندرية بعد أن عرض ضباط المدفعية ميدان هذه
الفكرة أو الاقتراح على قائدهم أو ممثل سلاح المدفعية
في لجنة القيادة أو لجنة القاهرة الصاغ كمال الدين
حسين عضو مجلس قيادة الثورة ، وتكررت اجتماعاتهم
من أجل هذا الغرض ، فارتابت « المخابرات » في أهداف
هذه الاجتماعات ، وكتبت تقريراً بمخاوفها الى الرئيس

الراحل جمال عبد الناصر ، الذى طلب من زميله كمال الدين حسين ، كما روى لى الاخير فى بداية العام الماضى ، أن يقنع رفاق سلاحه من ضباط المدفعية بالكف عن هذا النشاط ، وأن يطمئنهم الى وجود سجل بالفعل لدى مجلس قيادة الثورة !

فى ذلك الوقت كان الضباط الاحرار فى مدينة الاسكندرية وغالبيتهم من المدفعية الساحلية ، قد فرغوا من اعداد سجل خاص بهم باشراف قائدهم المقدم عاطف نصار ، وقد ضم هذا السجل أسماء احرار الاسكندرية مدفعية ، وطيران ، واشارة ، وبحرية ، ومهندسين ، وقاموا بوضعه فى ثكنات مصطفى باشا - مقر القيادة الشمالية - وأضافوا اليه ما حدث وقاموا به من مهام يوما بيوم ، وساعة بساعة ، ابتداء من السابعة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مدينة الاسكندرية .

وبعد عدة أشهر اختفى هذا السجل ، وقال البعض انه لم يسرق ، ولكنه انتقل الى القاهرة ، ثم اختفى من القاهرة أيضا ! !

ولاذ الجميع بالصمت ، بينما استمر لصوص الثورة يزحفون اليها والى مراكزها القيادية والحساسة ، ويفرضون ارهابهم بين أسلحة الجيش وضباطه الاحرار ، ويشكلون خلسة وسرا أولى مراكز القوى ، بعاونهم بعض الهوى فى نفوس اقلية من القادة كان لها أغلبية النفوذ والسيطرة ، والرغبة غير المعلنة فى ابعاد عناصر معينة من الضباط الاحرار عن مسرح السلطة !

وبدأت سلسلة من المحاكمات العسكرية السرية ، كما أخذ بعض ضباط المخابرات ممن تسللوا اليها بالتبليغ عن معارفهم عسكريين ومدنيين وعن مؤامرات وانقلابات

وهمية ينسجون خيوطها وقوائم بأسماء ضباط من مختلف الرتب يفترحون فصلهم أو محاكمتهم ، ولقد نجا البعض من هذا المصير نتيجة علاقاته الشخصية بهيئة القيادة ، وكما ضم السجن الحربى أو سجن الأجانب فى بداية السنوات الأولى للثورة مرورا بشهورها الستة الأولى « مرحلة تثبيت الثورة » كما ضمت السجنون مجاميع من العناصر المضادة ، ضمت أيضا كثيرا من الضباط أصحاب الاهتمامات السياسية ممن اعتادوا مناقشة الأحداث التى تعيشها بلادهم وثوراتهم فى لقاءات داخل وحداتهم العسكرية أو فى بيوتهم ، وفى أذهانهم ان رجال القيادة هم رفاق سلاح أو زملاء دفعة لا حرج من مناقشة قراراتهم ، غير ان القيادة كانت ترى فى هذه اللقاءات أو السهرات وما يدور فيها عملا معاديا ونشاطا مضادا ، ورغبات مستترة فى القيام بانقلاب جديد ، وفى مثل هذا المناخ الذى ينشط فيه بعض أصحاب الطموح المنحرف والمشروع ، تطوع عدد ليس بقليل من الضباط ، ومن المدنيين للعمل كعميل للثورة وكما هو معروف لمع نفر منهم بعد ذلك انطلاقا من هذا الأسلوب ، وأحدهم أخذ يحكم مصر حتى وفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وأعنى به « سامى شرف ! »

لقد تخرج سامى شرف فى الكلية الحربية - دفعة فبراير عام ١٩٤٩ ، وحين قامت الثورة كان ضابطا برتبة ملازم أول بالأنوار الكاشفة - سلاح المدفعية المضادة للطائرات بالاسكندرية ، وقد أظهر فرحا شديدا واهتماما وطنيا بالفا بثورة يوليو أمام ضباطه وقادته ، وظل دائم الثناء على كل ضابط استمر فى عمله بعد

حركة التطهير الاول ، وخاصة من يحمل رتبة صاغ أو بكباشى ، كما برع فى اختيار الالفاظ والكلمات التى يعبر بها عن اعجابه بهذا الضابط أو ذاك ، مرددا جملة واحدة يبدأ بها حديثه كلما التقى بهؤلاء القادة : « انا مبهور بأسلوب سيادتك وعسكرية سيادتك يا فندم » ، فأطلق عليه كبار الرتب : « الولد المبهور » !!

وبقى سامى شرف دائم التنقل والتواجد بين ضباط المدفعية فى القاهرة والاسكندرية ، متمتعا بحرية الحركة واجازات لا نهاية لها ، حريصا على البقاء بينهم ليل نهار . . . خاصة طوال المرحلة الدقيقة التى أخذ فيها عدد ليس بقليل من الضباط الاحرار فى المدفعية موقفا مستقلا عن مجلس قيادة الثورة فى ديسمبر ١٩٥٢ ، دفاعا عن مطلب طرحوه فعارضته الاغلبية ، وكان هذا المطلب يتلخص فى ايجاد جمعية عمومية للضباط الاحرار تقوم بانتخاب اعضاء مجلس القيادة ، وأن يعرض مجلس القيادة كل القرارات الهامة قبل اصدارها على هذه الجمعية العمومية ، وقد رفض الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هذا المطلب ، أيده فى ذلك ضباط المدفعية من اعضاء مجلس القيادة ، مثل صلاح سالم وكمال الدين حسين ، وعبد المنعم أمين ، فتعددت اجتماعات الثوار الاحرار من ضباط المدفعية ، ونشط بينهم سامى شرف ، وتردد وقتها انه كان يقوم بابلاغ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كل ما يسمعه ويزيد عليه من عنده ، أقصد من استنتاجاته وتحليلاته !!

تصادف فى نفس الوقت ان الاخوان المسلمين كانوا يجتمعون كثيرا ، وأخذوا يناقشون موقفهم من الثورة ، وموقف الثورة مستقبلا منهم ، وضمت هذه الاجتماعات

عناصر متطرفة من الإخوان المسلمين كانت تشغل وظائف مدنية ، ووظائف عسكرية ، من بينهم النقيب عز الدين شرف الضابط بالشرطة الذى قبض عليه فى بداية عام ١٩٥٣ ، وهو الشقيق الأكبر لسامى شرف ، وقد ترددت فى تلك الايام قصة ابلاغ سامى عن شقيقه أمام السيد زكريا محبى الدين ، ثم أمام الرئيس الراحل ! كما تردد أيضا ان سامى شرف طلب الاذن ليقتل شقيقه عز الدين وأن الرئيس الراحل طلب منه التريث ، وكان يبدى اعجابه بعد ذلك بهذا الضابط الصغير المتحمس للثورة فى كل لقاءاته بالضباط الاحرار بعد ذلك !

ولقد تلقف السيد زكريا محبى الدين وكان مشرفا على جهاز المخابرات هذا الضابط المتحمس ، ثم التقطه على صبرى ، وتمر الايام والسنوات واذا به يحكم مصر ... حتى بقية القصة المعروفة ..

هذا نموذج واحد ، أو مثال واحد لمن صعدوا حتى قمة السلطة بالاساليب المتوية ، ولقد ذكرت سامى شرف لأنه أحد النجوم الذين ظلوا طويلا يعملون خلف الستار ، ثم صعد علانية فوق خشبة المسرح السياسى ، وكان محل ثقة الرئيس الراحل ، وثقة الاتحاد السوفيتى ، كما نشر خلال الاعوام القليلة الماضية ، ومثله كثيرون للأسف ، كل مؤهلاتهم شعار « أهل الثقة قبل أهل الخبرة . »

ليس معنى حديثى هذا ان الثورة لم تواجه عناصر متمردة وأنقلابات ومؤامرات مضادة ، بعضها كاد ينجح بالفعل لولا يقظة بعض الكفاءات الواعية فى أجهزة المخابرات وأفرع الجيش ، وفى قطاعات مدنية كثيرة آمنت بالثورة ، وشاركت فى مسئولية حمايتها ، ولم

تطلب المقابل أبدا ... ولكن كانت هناك في الوقت نفسه مؤامرات وانقلابات وهمية لفقها بعض الضباط في هذه الأجهزة أو تلك للتخلص من « عناصر معينة » من الضباط الأحرار في مختلف أسلحة الجيش ممن رفضوا مسابقة الخطأ والعروض المفرية بمناصب كبيرة في الداخل أو الخارج ، وحاولوا أن يرفعوا أصواتهم عاليا ، ولكن بعض القادة ممن سرقوا الثورة ، واحتلوا مراكز ذات نفوذ على مستويات قيادتها وأجهزتها ، أخمدوا هذه الأصوات على الفور ، وقبضوا على أصحابها بتهمة التآمر ، ثم أخذوا ينشرون سيطرتهم المطلقة على الرئيس الراحل ، وكانوا يقدمون له المؤامرات المزيفة لكي يضمنوا اقناعه بأنهم الحامون لحياته ، وهكذا وقع عبد الناصر أسيرا لهذه الأجهزة ... حتى انه قال ذات مرة لأنور السادات :

— « البلد بتحكمها عصاية يا أنور » .

« ٥٠ أو « ٩٠ » جثيها !

كان طبيعيا في هذا المناخ أن يسكت الجميع عن طلب سجل يضم أسماء الضباط الأحرار للتاريخ والأجيال ، وأن يتفرغ أكثرهم لحماية ظهره من طعنة في لحظة ظلام ، وأن يبذل جهده المشروع وأحيانا غير المشروع للابقاء على وظيفته في الجيش أو في القطاع المدني الذي نقل اليه ، بدلا من الفصل والتشريد والجوع ، وربما لحق به بعد هذا كله اتهام بالتآمر !!

لقد تشرد عدد من الضباط الأحرار ، لا عمل لهم ولا مرتب ولا معاش ، بل بعضهم حصل على وظائف

مدنية في القطاع الخاص فكانت أجهزة السلطة كالمباحث العامة أو رئاسة الجمهورية أو مكتب المشير عامر تطلب فصلهم على الفور ، ولم يكن أحد لديه القدرة ليعترض، وحرصا منى على كرامة العسكرية المصرية رأيت عدم نشر أسماء هؤلاء الثوار الذين اضطر عدد قليل منهم الى كتابة الالتماسات للرئيس الراحل ، بعد أن عضه الجوع كما عض أفراد أسرته ، فيأمر عن طريق سامى شرف ، أو شمس بدران ، أو الآخرين بصرف معاش ما بين ٥٠ و ٩٠ جنيها ... وفي بعض الحالات كان قادة مكتب المشير عامر يصرون على أن يذهب هذا الضابط أو غيره ليتسلم المعونة ... وهى فى الحقيقة معونة وليست معاشا ، يتسلمها من ادارة المخابرات ، فى بداية كل شهر ، مما جعل بعض الضباط من أصحاب هذه الالتماسات يعدلون عن تسليم هذه الهبة بهذا الاسلوب المهين ، وقد ظل آخرون يحصلون على هذه المعونات من ادارة المخابرات ، حتى جاء الرئيس السادات وأمر بإلغاء هذا كله فى منتصف عام ١٩٧١ ، مقررًا لهم معاشاتهم الرسمية ، ثم مسجلا لدورهم فى الوثيقة التاريخية التى أصدرها عام ١٩٧٢ بحصر الضباط الأحرار وتعديل معاشاتهم .

هذه القصص سمعتها من بعض الثوار الأحرار فى نهاية الخمسينات ، وأكدها لى عدد آخر منهم عام ١٩٧٢ والعام الحالى ١٩٧٧ ، وكنت قد شرعت فى إعداد دراسة صحفية عنهم مع بداية عام ١٩٧٢ ، وهى الدراسة المتورة التى نشرها « المصور » فى الأسبوع الأخير من يوليو ١٩٧٢ ، محاولا اليوم استكمالها عبر هذا الكتاب ...

لقد قال لى بعض هؤلاء الضباط :

ـ « ان عددا من زملائنا لم يحصلوا على هذه المعونة الا بعد أن أكدوا بكافة الاساليب أمام سامى شرف ، أو على صبرى ، أو عبد الحكيم عامر ، انهم أصبحوا يؤمنون بالفكر الاشتراكى ، أو بالفكر الماركسى ! »



فى نهاية عام ١٩٦٣ ، كتب السيد سعد عبد الحفيظ وكيل وزارة الثقافة حاليا ، وهو أحد الضباط الأحرار فى سلاح المدرعات ، وكان قد شارك منذ منتصف الأربعينات بنشاط ثورى بارز عبر التنظيمات الثورية المتعددة تلك الايام فى مختلف أسلحة الجيش المصرى ، والتي قدر لها أن تتوحد بعد ذلك ، وبعد الجولة الاولى من الحرب مع اسرائيل فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، تحت قيادة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر - كتب سعد عبد الحفيظ الى اليوزباشى محمود الجيار مدير مكتب رئيس الجمهورية للشئون الداخلية يقول :

ـ « ان الأمر الذى أكتب اليك بشأنه يستحق العرض على السيد الرئيس بوصفه قائدا للضباط الأحرار... »

« لقد نبهتني الضجة والخلاف حول حقائق ثورة ١٩١٩ ، ودور أفراد الجهاز السرى بها الى أن أقترح ما يلى :

فى نطاق القوات المسلحة مهد لثورتنا المجيدة ، وأعد لها وقام بها نفر محدود من الضباط ، وبعد أن قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، انتشروا فى قطاع الخدمة العامة على اختلاف مواقعها ... فمنهم من كانت له وظل على صلة بأحد أبناء الثورة ذوى المناصب المسئولة

ففتح له فرص العمل في المركز المناسب لامكانياته .

« ومنهم من تقطعت عنه هذه الصلة ، فانطلق بعضهم بطاقاته وثوريتته وتمكن من شق طريقه ، وبعضهم تعثرت بهم المقادير أو وقفت في طريقهم المظالم أو الاحقاد . »

« والهدف الذي أريد أن أصل اليه هو ضرورة عمل حصر شامل دقيق للضباط الاحرار الاوائل ودور كل منهم حتى قيام الثورة ثم يتبع ببحث الظروف التي تمر بكل منهم حاليا . »

والغرض من ذلك ...

اولا : استغلال طاقاتهم الثورية العميقة الواعية بتكليفهم بالخدمة العامة في المراكز العامة التي تحتاج اليهم .

ثانيا : تسجيل امين لفترة حاسمة من حياة امتنا للتاريخ والاجيال القادمة .

ثالثا : وفاء الثورة لأبنائها الاحرار ، ورفع «الظلم» ان وجد - وفتح الطريق لمن تعثرت بهم الظروف ...

ولكن لماذا سعد عبد الحفيظ بالذات هو الذي يتصدى الى هذا الطلب في نهاية عام ١٩٦٣ ، وبعد ١١ عاما من قيام الثورة ؟

والاجابة عن هذا السؤال كما سمعتها من بعض رفاقه تقول : « ان سعدا عرف بيننا بجرأته واقدامه على التصدى دائما لمثل هذه الموضوعات الشائكة » ولعلمهم ان الرئيس الراحل كان يقدر دائما في اليوزباشى سعد عبد الحفيظ ماضيه الثورى وصدقته ، وصراحته

وتقديسه للزى العسكرى ، ورفضه للنفاق والتزييف والتزلف للسلطة ... رغم ان هذه الميزات دفعت به فى نهاية عام ١٩٥٢ الى الوقوف فى قفص الاتهام متهما بالتآمر ضد الثورة ، ولكن لا السجن ولا العقاب جعلاه يعدل عن سلوكه المستقيم ، ومن هنا طلب رفاق السلاح أن يكتب للرئيس الراحل طالبا حصر الضباط الاحرار ومعاونته للذين تعثروا منهم ، ففعل سعد على الفور ، ولقد كتب سعد عبد الحفيظ الى محمود الجيار بصفته احد الضباط الاحرار ، مما سيجعله يعجل بعرض الخطاب على الرئيس جمال عبد الناصر والحصول منه على تأشيرة ايجابية ، ولكن سعدا لم يكن يعلم ان الجيار أصبح لابد أن يمر أولا على باب سامى شرف !

ما هو موقفهم الآن ؟ !

أمسك الجيار بخطاب سعد عبد الحفيظ ، وكتب الى « الاخطبوط » الخطاب التالى :

السيد عبد الرؤوف سامى شرف

سكرتير السيد الرئيس للمعلومات

تحية طيبة - مرفق لسيادتكم الاقتراح المقدم من السيد سعد عبد الحفيظ بشأن عمل حصر شامل للضباط الاحرار الاوائل ودور كل منهم ووضعهم فى المكان المناسب .

رجاء التفضل بالعرض مع جزيل الشكر

تحريرا فى ٢ يناير ١٩٦٤

وقرا الرئيس الراحل الاقتراح وكتب التأشيرة

التالية كما هو مبين بصورة الخطاب المنشورة فوق هذه الصفحات ، كتب جمال عبد الناصر مخاطبا الجيار :

« أوافق على الاقتراح ويمكنك مع شمس ، » يعصد شمس بدران « عمل المطلوب . »

« أولا : حصر الضباط الاحرار - ثانيا : ما هو موقفهم الآن ؟ امضاء : جمال »

ويقول محمود الجيار في مذكراته :

ولكن هذه التأشيرة لم تنفذ على الإطلاق . تهرب شمس بدران من عقد أى اجتماع لانجاز المهمة لأنه كان قد حشد أصدقائه ودفعته من الضباط ممن لا صلة لهم بالثورة فى جميع المناصب العسكرية والمدنية لكى يدينون له بالولاء - وهو ما ذكره وتنبه له جمال عبد الناصر ما بين يوليو وأغسطس ١٩٦٧ بعد الهزيمة ، فلجأ شمس الى التسوية ثم التخويف ... تخويف الحاكم من الشعب ! ومن مؤامرات سرية وهمية !

ومضت حكاية حصر الضباط الاحرار الى بر النسيان ولكن الى حين .

قال لى بعض الضباط الاحرار ممن التقيت بهم عام ١٩٧٢ ، وأطلعهم الجيار على تأشيرة الرئيس الراحل فرحا بالنتيجة عام ١٩٦٤ :

- ان التأشيرة تدعو الى التعمق فى كلماتها ، والخروج بنتائج محددة ، منها هذه المواقف :

١ - لماذا اختار الرئيس الراحل «شمس بدران» ليعمل معه « الجيار » فى حصر الضباط الاحرار وهو يعلم ان شمس نكل بأكثر ثوار يوليو وكان بإمكانه أن

يعهد بالمهمة الى بعض الاحرار ممن بقوا في الخدمة العسكرية أو ممن تركوا الجيش الى مناصب مدنية ويتمتعون بسمعة طيبة ؟

ويجيب هؤلاء على « سؤالهم » بقولهم :

— ان معنى ذلك هو الرغبة في نعيم الاقتراح ، وليس الموافقة عليه ... لأن نحر الضباط الاحرار سيفتح على الرئيس الراحل بابا جديدا ، طالما سعى بكل جهده في الاعوام الاولى للثورة على غلقه واحكام غلقه جيدا .

٢ — ان تساؤل الرئيس الراحل ... ما هو موقف الضباط الاحرار الآن ؟ يشير الى أكثر من اتجاه ، وهم يستنبطون هذا التفسير من معرفتهم بشخصية الرئيس الراحل ضابطا بالمشاة وقائدا لخلاياهم السرية قبل الثورة ، وقد احتكوا به طويلا عن قرب وفي أكثر من موقف مختلف ..

هل يعنى ما هو موقفهم الآن من النظام ، والسلطة ؟ أم يعنى ما هو « حالهم » اجتماعيا ومعيشيا وماليا ؟ ويميل أكثر الضباط الاحرار ممن ناقشوا هذه التأشيرة وقتلوها تحليلا وتفسيرا الى الأخذ بالتفسير الاول ، موقفهم من النظام ، ومن السلطة ، ومنه شخصا ، ومن الرجل الاول مكررا كما كان البعض يطلق عليه ، المشير عبد الحكيم عامر ، ومن الصراع الممنع الدائر أو المشتعل سرا بين رئاسة الجمهورية والاتحاد الاشتراكي ، وبين اتقيادة العامة للقوات المسلحة وأجهزة مخابراتها الحربية والعامة ... وكان

معروفا ان السيد صلاح نصر مدير المخابرات العامة
يقف كثيرا في جانب عبد الحكيم عامر !!

انقلاب يناير ١٩٧٠

ومرت الاعوام . ووقعت النكسة ، ومضى عبد الحكيم
عامر الى لقاء ربه ، ولم تتوقف عملية كشف المؤامرات
والانقلابات داخل الجيش منذ قيام الثورة عام ١٩٥٢ ،
حتى يناير عام ١٩٧٠ ، العام الذى صعد فيه جمال عبد
الناصر الى رحاب الله ، ففى يناير من هذا العام ، قبل
وفاته بثمانية شهور ، قبض على عدد قليل من صفار
الرتب العسكرية ، وهى القضية - رقم ٨ - أمن دولة
لعام ١٩٧٠ ، المتهم فيها « نقيب حسن محمد بهجت ،
ومحمد أحمد خميس ، وهشام مصطفى حسين »
وغيرهم ، لأنهم ناقشوا العوامل الحقيقية التى أدت الى
هزيمة يونيو ، وعذبوا ونكل بهم بواسطة بعض من ورث
مهمة شمس بدران ، وحمزة البسيونى ، وأراد استمرار
الدور تقريبا الى قمة السلطة !

وهكذا استمر المناخ يفرز بيئته رغم الشعار الذى
طرحه عبد الناصر فى نوفمبر ١٩٦٧ ، قائلا : « لقد
سقطت دولة المخابرات ! ! » .

لم يطالبه أحد على الاطلاق بإلغاء نظام المخابرات ،
ففى كل أنظمة الدنيا أجهزة مخابرات ، ولكن مطلبنا
الشرعى والمشروع هو اسقاط أسلوب التلفيق والتزييف
وتجريم الاحرار !

فى جو هذا المناخ سمعت ان الرئيس عبد الناصر
وكأنه يشعر يقرب نهايته كان يستدعى بعض رفاق

السلاح من ثوار الامس . المعروفين بصدقهم وصلابتهم الوطنية ، وان الحديث بينه وبينهم تطرق الى موضوعات شتى ، من بينها حصر الضباط الاحرار ، وقيل انه ذكر مؤكداً أن خزينته الخاصة التي اشتراها له السيد حسن التهامي من الخارج بمواصفات معينة تضم كشوف أسماء الضباط الاحرار في كل سلاح ، بل وتضم أسماء الضباط الاحرار الذين هربوا ليلة الثورة ، وأسماء الضباط الذين لم تضمهم خلايا التنظيم السري. ولكنهم بمبادرة وطنية منهم، اشتركوا في الثورة وقاموا بدورهم خير أداء ، ومذكرات شخصية كتبها الرئيس الراحل عن أحداث عامة تتصل بشخصيات لمعت وبرزت خلال سنوات الثورة ، ووثائق على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية تتصل بمرحلة الاعداد للثورة عبر السنوات الاربع التي سبقت عام ١٩٥٢ ، وما بعد ذلك حتى عام ١٩٥٦ ، حين صدر قرار الرئيس بحل مجلس قيادة الثورة ، ومذكرات أخرى عن المراحل والصراعات التي تلت عام ١٩٥٦ ، كلها اختفت بواسطة سامي شرف ، بعد وفاة عبد الناصر بأيام قليلة ، وعملت بعض صنائعه في رئاسات النيابة العامة أيامها على طمس القضية حين حقق في السرقة ، فالكمل كان في التنظيم السري الطليعي سواء !



وتولى الرئيس السادات رئاسة الجمهورية ، وكما قلت ... وفاء منه واصالة ، وحرصا على تصحيح الاخطاء شرع في حصر الضباط الاحرار ، ولم تكن هذه العملية لتمضي في طريقها الذي رسمه لها قبل ابعاد « سامي شرف » وأعوانه من مراكز القوى ، ذلك العمل التصحيحي العظيم الذي حدث في ١٥ مايو ١٩٧١ ،

بعد ذلك عهد الرئيس الى مجموعة من الرجال الصادقين
بالقيام بعمل الحصر ... الاحياء والاموات ... ذلك
السجل التاريخى الذى اشرت اليه فى الفصل الاول .

هذه هى قصة العمل الجليل العظيم الذى جاء متأخرا
عن مواعده عشرين عاما ، العمل التاريخى الذى قام به
السادات ، ليرد لثورة يوليو وثائقها ، وليضع أمام
التاريخ وأمام أجيال شعبنا أسماء ثوار يوليو ، هؤلاء
الشباب الثائر الذين غيروا وجه التاريخ فى الشرق الاوسط
وافريقيا ، حين تحركوا رجلا واحدا ، ذات مساء ،
ليحفروا فوق صفحات نضال شعبنا المصرى الاصيل ،
نضال مصر الموصول أبدا ، يحفروا فوقه يوم ٢٣ يوليو
١٩٥٢ ، أحد الايام التاريخية البارزة التى هزت أسمع
العالم أجمع ..

لقد كان موعد تسجيل هذا العمل الثورى الضخم
مقرونا بمرور ستة أشهر على ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ثم
تأخر الموعد قهرا ، ولكن ارادة الله شاءت تحقيقه فوق
مناخ مختلف ، بعد عشرين عاما من مواعده الطبيعى .

أنور السادات وتنظيم الضباط الأحرار

لم تبدأ انطلاقته الثورية في الكلية الحربية بعد أن التحق بها عام ١٩٣٦ ، بل بدأت من قبل ... في تلا - حين دعا هو وبعض رفاق المرحلة الثانوية المرحوم عبد العزيز فهمي باشا قطب الأحرار الدستوريين ليخطب في أبناء المدينة الريفية الصغيرة « تلا » عام ١٩٣٥ ، وتكلم الطالب أنور السادات بعد عبد العزيز باشا فهمي وقال خطابا كان نفعا جديدا على أذان أبناء تلا والقرى القريبة الذين تجمعوا ليستمعوا الى رجال السياسة القادمين من القاهرة .

لقد تكلم الطالب أنور السادات عن المقاتل المصرى الفلاح ابن الارض الطيبة واستشهد بأقوال جنرالات الانجليز وفرنسا القدامى ، مؤكدا ان المقاتل المصرى العملاق دائما قادر على تحرير الوطن من الاحتلال الاجنبى .

في العام التالى مباشرة قدم الطالب أنور السادات أوراقه الى الكلية الحربية ، ليبدأ مشواره الوطنى الثورى مرتديا أشرف الزى .

أنور السادات ضابطا ١٩٣٨ - ١٩٥٢

كان جيلا مختلفا عن الاجيال التى لحقت به ، ذلك هو جيل العشرينات .. لقد رضع أبناء هذا الجيل حتى شبوا وأصبحوا فتيانا أحداث ثورة ١٩١٩ ، ومن قبلها ثورة الرديف عام ١٩١٦ ، بل عاشوا فوق كل هذا واقعا مستنزفا في وطنهم ، ذلك المجتمع المصرى الذى أخذ يترنج ويتصدع ويتميل للسقوط . بعد أن قدم أكثر مقوماته لقوات الاحتلال البريطانى خلال الحرب العالمية الاولى ، الى ما بعد نهايتها عام ١٩١٨ .

في هذا المناخ ولد القائد الرئيس محمد أنور السادات « ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ » وعاش السنوات الاولى من عمره يملأ خياله ووجدانه ، بل ويتزود كل يوم مثل اطفال جيله بقصص الآباء والابناء مع قوات الاحتلال في الحرب الاولى وما قدمه الوطن من شهداء ، ثم أحداث «ثورة ١٩١٩» الخالدة ، ومحاكماتها البربرية التى أقامها الاستعمار وغطت أنحاء البلاد في الدلتا والصعيد والاسكندرية ، بعد القضاء على الثورة ، ثم مقتل السردار الانجليزى للجيش المصرى عام ١٩٢٤ ، ونزول الجيش المصرى من السودان .

ولكن « ثورة الرديف عام ١٩١٦ » ، كانت تستحوذ في كثير من الايام على فكر وحديث الصبى ، التلميذ بالسنة الاولى الثانوية ، محمد أنور السادات ..

كيف ، ولماذا ؟

— في لقاء مع بعض أصدقاء طفولته وصباه وتلاميذه أحدهم يعمل منذ سنوات في إحدى الشركات العالمية ،

والآخر تفرغ لأرضه . والبعض لازال يؤدي واجبه في صفوف قواتنا المسلحة .. رويوا عن تلك الفترة ، السنوات العشر الأولى من أعمارنا ، التي تنسج شخصية الإنسان وتشكلها وترسم ملامحها سلوكا وبنية وإدراكا .

— « في صبانا ونحن تلاميذ بالمدرسة الابتدائية بقرية « طوخ دلكة » المجاورة لقريتنا ميت أبو الكوم ، ظل مشدودا بعواطفه الى جنود الجيش ، كلما جاء بعضهم في اجازة الى القرية ، يقترب منهم ويجلس اليهم طويلا مستمعا الى احاديثهم ، نفس الاهتمام كان يبدية حين انتقلنا الى مدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية في العاصمة .. » .

ولكن لماذا هذا التعلق بجنود الجيش ، وهو في العاشرة وما بعدها من العمر ؟

يقول أحد أفراد الاسرة مفسرا ذلك الاحساس ، بأن مبعثه هو « جدة الرئيس لأبيه » ..

لقد ولدت هذه « الجدة » يتيمة الأب فقام عمها بتربيتها وقد تعلقت به كما تعلق محمد بجده ، فكانت تروي له كل يوم عن عمها ووطنيته ، وتذكر له أدق التفاصيل ، ولم يكن هذا العم غير ضابط من أعوان « الثائر البطل أحمد عرابي » الذين ضحوا بحياتهم من أجل مصر ..

ولقد كان لهذه « الجدة » تأثير بالغ في تربية حفيدها حين تركه أبوه اليها ورحل هو الى عمله بالسودان . كما كان لأحاديثها تأثير ديني وأخلاقي في تكوينه البشري .. ولقد ربتة على كراهية الاحتلال والسلطة العميلة له ، وأرضعته حب مصر والاخلاص لها ، كما حرصت على

تلقينه يوميا دروسا في القرآن الكريم وتفسيره ، فكان مثال الطفل المتدين المهذب المتفوق في دروسه ، ولفترة طويلة حتى سن الشباب كان أصدقاء الطفولة ينادونه « بالشيخ محمد الضابط » حين يتوجه الى زيارة مصدر قوته وأصالته وإيمانه . قريته « ميت أبو الكوم » .

وفي المرحلة الثانوية ، كان الطالب محمد أنور السادات يبحث عن حقيقة ثورة عرابي ، بينما السلطة تلقن تلاميذها ان عرابي كان جاهلا ، وقد قام بأحداث فتنة في البلاد نتيجة جهله وهمجيته ، وبتنا نرفض هذه السموم من خلال رفض « أنور » لها ، وكان يقول لنا هذه أكاذيب .. لقد روت لي جدتي عنها الكثير ولم نعدم بعض المدرسين الوطنيين الذين لمسوا فينا هذا الاحساس الوطني ، فأخذوا يشرحون لنا حقيقة الاوضاع ، وبطولة عرابي ورجاله ومعاركه ضد الانجليز وقمة السلطة العميلة لهم ... الخديوي توفيق وأسرته المالكة واقطاعيه .. ثم عرج المدرسون الأوفياء لمصر ولابنائهم الطلبة على أحداث ثورة ١٩١٩ . ومن قبلها ثورة الرديف عام ١٩١٦ وقد تركت هذه القصص والاحاديث خطوطا بارزة أشبه بالاحاديث في وجدان ومشاعر ورؤى الطالب محمد أنور السادات ، وربما هي التي دفعته الى الالتحاق بالمدرسة الحربية ، الكلية الحربية فيما بعد ، ليلتقى برفيق الطريق وقائد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ..

١٢ ألف مجند ثائر

ان ثورة الرديف لم تلق حتى اليوم الكفاية أو العناية الكافية من رجال الاعلام او التاريخ لتقديمها الى الاجيال

التي جاءت بعد العشرينات وخاصة بعد قيام الثورة ،
بهدف تصحيح المعلومات التاريخية المزيفة في كتب
التاريخ القديمة ، والتي لقنت للأجيال السابقة .

كانت مصر عام ١٩١٦ وكل مواردها وثرواتها من
الرجال والمحاصيل الزراعية تقدم في سهولة ويسر الى
قوات الاحتلال البريطاني لخدمة جنودها في سسينا
والعراق وفلسطين والدردينل وفرنسا ، خلال الحرب
العالمية الاولى .

وفي ١٦ يناير عام ١٩١٦ اصدر اسماعيل سرى باشا
وزير الحربية بناء على ترخيص من مجلس الوزراء قرارا
بطلب جميع الرجال الموجودين «بالرديف» أى الاحتياطي
للخدمة العسكرية ما عدا المستخدمين منهم بمصالح
الحكومة استجابة لطلب قائد الجيش البريطانى .

وقد جمعت الحكومة المصرية اثنى عشر ألفا من
الرجال ، جندتهم من أنحاء البلاد وعوملوا أسوأ معاملة
وكان الفداء يقدم لهم مرة كل اسبوع فاسدا أو قبللا
فتجمعوا في أول مظاهرة احتجاج لهم أمام قصر عابدين
قادمين من معسكراتهم في عين شمس ، وجاء اليهم رئيس
الوزراء ووعدهم بالاستجابة الى مطالبهم . ولكنه كان
وعدا كبقية عود تلك الفترة من حكم مصر . ولذلك عاد
الجنود مرة أخرى أكثر ثورة وأكثر التحاما ، الى ميدان
عابدين فصدرت الأوامر بإطلاق الرصاص عليهم ، وسقط
عشرات منهم شهداء في ساحة الميدان . وتفرقوا بعد ذلك
بالارهاب وظلت هذه الثورة حدث الجماهير والفلاحين ،
وكانت « ثورة الرديف » كما قال الرئيس السادات ،
هي الأرضية الجماهيرية التي أطلقت بعد ثلاث سنوات
ثورة مصر الوطنية الكبرى ، في ٩ مارس عام ١٩١٩ ،

وقد عادت الى خياله فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وهو
يخترق متقدما العربات المدرعة ميدان عابدين للسيطرة
على وزارة الداخلية ، فقرأ الفاتحة مترحما على ارواح
شهداء ثورة ١٩١٦ . ولم يدر أحد من الضباط الاحرار
حوله سر قراءته الفاتحة أمام قصر عابدين . . حتى
حدثهم بها - أثناء عودتهم الى القيادة العامة بكوبرى
القبّة بعد انتهاء مهمتهم .

ولقد روى الرئيس السادات ضمن ما رواه في
ذكرياته وتاريخه النضالى - ديسمبر ١٩٧٥ - كيف
وعيت ذاكرته وهو فى السادسة من العمر حادث قتل
السردار الانجليزى « سير لى ستاك عام ١٩٢٤ » وعودة
الجيش المصرى من السودان ، وعودة أبيه الذى كان
يعمل هناك مع الوحدات المصرية العسكرية بالخرطوم
الى القاهرة ، وكيف أصبح يعشق سماع مواويل زهران
بطل دنشواى ، وأدهم الشرقاوى ، ثم انتقاله للاقامة
مع أبيه فى منشية الصدر بحمامات القبّة فى العاصمة
وحديث الأب عن الشاعر التركى كمال أتاتورك وثورته فى
تركيا ، وتعلق الابن بسيرته ثم اشتراك التلميذ أنور
السادات فى المظاهرات الشعبية عام ١٩٣٠ - ضد
اسماعيل صدقى باشا - لأنه ألغى الدستور ! .

« وتعلمت وقتها وعمرى ١١ سنة أن رئيس الوزراء
اسمه صدقى ، وأنه ألغى الدستور ، وهتافنا ضده
كلمة واحدة « الدستور - الدستور » وأنا لا أعرف ما
هو هذا الدستور . . . وكانت المرة الاولى لاشتغالى
بالسياسة ، ثم اشتركت فى مظاهرة أخرى ضد وزير
خارجية لندن التى تحتل قواته بلادنا وكنت فى نهاية
المرحلة الثانوية » .

وفي لقاءات حرصت عليها مع بعض أبناء تلا وبعض زملاء المرحلة الثانوية ، ثم مرحلة المدرسة الحربية - عرفت انهم كشباب لم تكن لهم حياة خاصة ، كانت مصر كل حياتهم وغرامهم ، وقضية سيادة مصر واستقلالها تملأ كل اهتماماتهم ، وفي منتصف الثلاثينات يتجمعون في تلا أو ميت أبو الكوم أو القاهرة ، وكل منهم يقترح أو يطرح وعاء يحتوى طاقاتهم وانشغالهم بالقضية الوطنية ، كانوا في السابعة عشر أو فوق ذلك بقليل ولكنهم كشباب جيلهم أعطوا مصر وقضية خلاصها من الاحتلال كل طاقاتهم ، فتوجهوا بكل النقاء الى الاحزاب والهيئات السياسية يحاولون الانضمام اليها وممارسة النشاط الوطنى أو الفدائى معها اذا تطلب الأمر ذلك . ولكنهم صدموا جميعا حين أدركوا ان الكثير من المشتغلين بالعمل السياسى لا يفعلون شيئا غير رفع الشعارات وترديد لها فقط واستغلال هذه المظهرية فى الحصول على المال والمنصب والنفوذ ..

ذات يوم جمع « أنور السادات » عددا من زملائه عام ١٩٣٥ وتوجهوا الى « تلا » علم نفقتهم الخاصة لمناقشة « المرحوم عبد العزيز باشا فهمى » وكان قد جاء المدينة ليخطب فى أبنائها كما قلت فى بداية هذا الفصل ، ثم وضح بعد ذلك ان الطالب أنور السادات وبعض زملائه كانوا خلف زبارة قطب الدستور بين الاحرار ، للالتقاء بجماهير بلدتهم بوحى من اهتمام هذه المجموعة الصغيرة من الشباب الوطنى المتحمس لقضية الأرض المصرية واسترداد سيادتها ، قبل السحت عن الخبز ، كما كانوا يطرحون من أفكار ثورية تضبع بين الزحام المفتعل لمحترفى الاشتغال بالقضية الوطنية .

وتكلم « الطالب أنور السادات » خطيباً أكثر من مرة وكان حديثه ذا نفعة جديدة على الأذان . اذ دأب على الحديث في المعارك التي خاضها الجيش المصرى ، ثم يستشهد بما قاله قادة الانجليز عن المقاتل المصرى الفلاح ابن هذه الارض الطيبة . فى حملة فريزر على رشيد ، ومعركة الاسطول المصرى فى نفارين « جنرال ستىوارت » الذى قال : « ان الجنود المصريين لا يكثرثون بالمصائب عندما تسقط فوقهم اثناء القتال » و جنرال كودرنجتون البحرى : « لقد اصابنا من الجنود المصريين والسفن المصرية أكثر مما كنا نتوقع وأكثر مما نحتمل » .

وكان واضحاً فى سيف ١٩٣٥ ان الطالب محمد أنور السادات سيجاول الالتحاق بالمدرسة الحربية حين فتحت القيادة الانجليزية فى مصر باب الالتحاق بالمدرسة أمام انباء الشعب السطاء لامتناس غضب الجماهير المصرية ولتنفيذ خطة استعمارية أعدوها سرا ، وكان أنور السادات أحد الذين طبقت عليهم الخطة الاستعمارية فذهب الى الصحراء الغربية بعد تخرجه ضابطاً برتبة ملازم ثان فى ٦ فبراير عام ١٩٣٨ . ثم الحق به الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بعد أربعة شهور من تخرجه .

كانت د بطانيا تخطط استراتيجياً للحصول على جيش مصرى شاب قوى بتخرج فى المدرسة الحربية بعد فتح أبواب القبول أمام الطبقات الشعبية الفقيرة عام ١٩٣٦ لكم تدفع به الى شمال افريقيا للدفاع عن مصالحها الاستعمارية فى المنطقة . . وكان هذا سرا وقتها .

لقد اقترن عام ١٩٣٥ و ١٩٣٦ بأزمة الحبشة وايطاليا كما اقترن بالحرب الاهلية فى اسبانيا ، وقام هتلر يهدد فى المانيا وكان طبيعياً أن تتوقع لندن مواجهة أزمة دولية

نتاجا لهذا المناخ ، قد تدفعها للدخول في معارك حربية ، فتصورت دورا للجيش المصرى وقد تزود بشباب جدد تدفع به وهى المسيطرة على مصر الى اية معركة قادمة للدفاع عن استعمارها في افريقيا شمالا والشرق العربى جنوبا ، ولذلك ارسلت بالمتفوقين ممن تخرجوا عام ١٩٣٦ و ١٩٣٧ الى بعثات عسكرية في انجلترا ، كما ارسلت بالمجاميع الجيدة من الضباط المصريين الذين تخرجوا في أعوام ١٩٣٨ و ١٩٣٩ الى الصحراء الغربية ومنطقة القناة والحرب العالمية الثانية تدق الابواب .

مصرى فى رئاسة الاركان

تخرج أنور السادات فى ٦ فبراير عام ١٩٣٨ ، وفى رأسه أحلام وطنية كثيرة ونفس عامرة ايمانا بالعسكرية المصرية وقدرتها على أداء دور وطنى فى سبيل خلاص مصر... غير ان رؤى ضابط حديث السن تبلورت فى بداية الخدمة حول تمصير كل ما هو عسكرى مصرى واسترداد السيادة المصرية على كل قطعة أرض عسكرية أو معدة قتال يملكها الجيش المصرى .

وكان على رأس الجيش تلك الايام « رجلان » برزا فى تاريخ العسكرية المصرية ، أولهما اللواء المرحوم محمود شكرى باشا وقد تولى رئاسة أركان حرب الجيش المصرى فى بداية عام ١٩٣٧ وبدأ عمله بمباحثات عسكرية مع « ميجر جنرال جيمس مارشال كورنوال » رئيس الجانب الانجليزى لتجهيز القوات المصرية بمعدات الحرب الميكانيكية واستقلال قياداتها ولم يكن الانجليز فى مباحثاتهم جادين ، خاصة وان رئيس الجانب الآخر « اللواء محمود شكرى » هو أول قائد مصرى ينتزع

رئاسة أركان حرب القوات المصرية من جنرالهم الانجليزى « سينكس باشا » بعد أن ظل مسيطرا عليها ١٣ عاما كاملة - ولذلك دخلوا معه فى صراع طويل أحرز القائد المصرى خلاله عدة انتصارات ؛ فأنشأ مدرسة الضباط العظام ؛ ومدرسة أركان حرب ؛ وسلاح الصيانة الملكى وكان « حدثا » بالنسبة لمعدات الجيش وحاجتها الملحة الى الصيانة الدائمة وآلات مدفعية سواحل جديدة .
وعدة مدارس عسكرية لصف ضباط ؛ كما انتزع عددا من الطائرات الانجليزية ؛ زود بها سلاح الطيران المصرى وكانت هذه الاعمال الوطنية محل تقدير اكبار واهتمام ومتابعة الضباط الوطنيين صفار السن ؛ غير ان القيادة الانجليزية خشيت من استفحال هذا التيار الوطنى بين قيادات جيش مصر وضباطه ؛ فعملت على استصدار قرار ملكى باحالة الى المعاش فى نهاية اغسطس عام ١٩٣٩ ، وقد ترك خلفه مناخا وطنيا عريضا .

هذا عن الرجل الاول .. اما الرجل الثانى ؛ فهو المرحوم الفريق عزيز المصرى باشا ؛ وقد تولى منصب المفتش العام للجيش المصرى فى نهاية الشهر السابق على تخرج الرئيس السادات بالكلية الحربية ؛ أى فى ١٩ يناير عام ١٩٣٨ ، وذلك كما هو وارد فى ملفه العسكرى رقم « ٢٢٣٥ » ولقد ظل هذا الملف ينتقل بين قيادة الجيش ورئاسة أجهزة البوليس السياسى وممثل القيادة البريطانية حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؛ فعاد الى مكانه الطبيعى بادارة شئون الضباط بعد أن اختفت منه أهم الاوراق والتقارير والمعلومات العسكرية التى كانت تحمل اسم المرحوم الفريق عزيز المصرى . وخاصة فى فترة الثلاثينات حتى بداية الخمسينات ؛ وكما هو معروف لدى قطاعات الشعب عن وطنية الرجل وتحمسه

لأى عمل وطنى جماعى يخلص البلاد من الملك والاسنعمار
البريطانى ، أصبح معروفا منذ بدايه الثورة ان أجهزه
البوليس السياسى وخاصة جماعات الملك السابق هى
التي انتزعت أوراق وتقارير « عزيز المصرى » من ملفه
العسكرى رقم « ٢٢٣٥ » وبات من المستحيل استردادها
بعد عام ١٩٥٢ ، أو الوصول الى مكان اخفائها .

ولقد أسسند منصب رئيس أركان حرب القوات
المصرية الى الفريق عزيز المصرى بعد ترقيته الى رتبة
فريق فى ٢٠ اغسطس عام ١٩٣٩ ، وبولى المنصب
الجديد فى ٢٧ اغسطس من نفس العام خلفا للواء محمود
شكرى وكان توليه هذه القيادة بداية جديدة لسلسلة
طويلة من الوقوف فى وجه القيادة البريطانية ومحاولات
سيطرتها ، وقد برز اسم « الضابط ملازم محمد أنور
السادات » بين الشباب من العسكريين كزعيم لهذه
الموجة الوطنية المتدفقة على وحدات الجيش ، وبات
اسم « السادات » حديث الضباط دون أن يروه أو
يلتقوا به - وفى احدى زيارات المرحوم الفريق عزيز
المصرى للقوات المصرية فى الصحراء الغربية ، سأل أحد
مساعديه الملازم أول محسن متولى :

- هل سمعت عن اسم محمد أنور السادات ؟

- نعم أنا دفعة واحدة ..

وتساءل رحمه الله فى مكر مكشوف :

- وهل صحيح ما يشاع عنه ؟

- نعم ..

- اذن ابحث عنه ، وعد به ، اننى فى شوق لمعرفة

هذا الوطنى الصغير ..

كانت بداية طريق ثورى طويل .. ولقاء زاخر متجدد

بالقوة والارادة والايمان بأن شباب مصر قادر على خلاصها .

رفض السيطرة الاجنبية

كان رفضه حاسما حادا لسيطرة الضباط الانجليز على وحدات الجيش المصرى - وقد روى لى كثير من رفاق السلاح عن هذا الرفض الوطنى المشفوع بالانضباط العسكرية فى الوحدات التى خدم بها حتى ان الفريق عزيز المصرى قال ذات يوم بعد ان أحيل الى المعاش : « ان الانجليز سيحتارون فيه ، واعتقد انهم لن يتمكنوا منه ، ولن يدعهم هو يفعلون به ما يريدون » .

هذه القصة رواها لى « اللواء محسن متولى » عام ١٩٦٩ احد مساعدى الفريق عزيز المصرى فى الاربعينات كما ذكر لى أكثر من رفيق سلاح ان عزيز المصرى كان يصف السادات بأنه « مؤسس الوطنية المصرية بين ضباط وجنود الجيش المصرى ، ويدعوهم الى التعرف به والالتقاء معه كثيرا » .

ولقد خدم السادات كضابط مشاة أول عهدده بالعسكرية المصرية بالاورطة الرابعة مشاة بالمكس فى الاسكندرية وهذه معلومة لايعرفها الكثير من الضباط ، ثم انتقل الى الاشارة فى القاهرة ومنقباد ، فالصحراء الغربية مرتين وأخيرا بكتيبة الاشارة بسلاح الحدود ، وبعد عودته للجيش عام ١٩٥٠ خدم فى رفح ، وسيناء حتى عاد ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ الى القاهرة .

قالوا عنه

حين أحال الملك - الفريق عزيز المصرى الى المعاش فى نهاية عام ١٩٤٠ جاء باللواء ابراهيم عطا الله باشا ياوره الخاص الى رئاسة الاركان حرب وكان لهذا القرار أكبر الاثر لدى السادات ولدى كل ضابط وطنى، فعمل

هو ورفاق السلاح على تكوين « رأى عام » ضد هذا التصرف الملكى بين الوحدات العسكرية وبين دوائر معارفهم من المدنيين كالاقارب والاصدقاء وظل هذا « الرأى العام » ينمو ويشمل أخطاء الملك ناهيا .

كان أنور السادات قبل اخراجه من الجيش كرشية الانجليز والملك فى ٨ أكتوبر عام ١٩٤٢ . يرفض أن يقوم الضابط الانجليزى بالتفتيش على وحدته العسكرية . ويصمم فى ارادة حديدية على أن يكون الضابط الانجليزى فى صحبة ضابط مصرى وللحق كان هناك بعض كبار الرتب من الضباط المصريين يشجع هذا العمل سرا ، ولقد اهتزت القيادة العليا المصرية بادىء الأمر ثم أذعنت بالرغم منها وانتشر هذا السلوك الوطنى بين الوحدات العسكرية الاخرى الكثيرة ، فطلبت أجهزة البوليس السياسى معلومات عن هذا الضابط الاسمر أنور السادات ومن يتبعه من زملائه فى مختلف الاسلحة . . ولكنه لم يتهدد ولم يلب قط ولم يتراجع وكانت كلها مؤشرات ثورية . .

واستمرت لقاءاته بالجنود كثيرة وعديدة وكلها دروس فى الوطنية والتوعية السياسية . وقد ذكر لى الفريق جمال عسكر أن عددا كبيرا من صفار الضباط كانوا يحضرون هذه الاجتماعات بحب ورغبة ونزعة وطنية وقد جنسد منهم القادرين على الحركة والانتشار لنشر هذه الافكار وعقد لقاءات مماثلة فى الوحدات العسكرية المجاورة لنا . .

وعلى المستوى العسكرى ظل السادات حريصا على الارتفاع بمستواه الفنى الى مستوى ضباط البعثة

الانجليزية التي تقوم بتدريب سلاح الإشارة وقد اعتاد أن يدخل معهم في مناقشات فنية حول تطبيقات معدلات اللاسلكي وأحب الانجليز هذه المزايا الفنية فيه رغم كراهيتهم له سياسيا وعاش ضابطا بالإشارة ميالا للابتكار وتطوير أجهزة وحدته الدقيقة . وما مل الاستقصاء والمعرفة أبدا ، وما بخل بوقت أو جهد يعطيه لزملائه من الضباط الجدد حتى أسندت اليه القيادة أول قسم ثابت لإشارة لواء متساة وكان انشاء هذا القسم حدنا مثيرا في جيشنا تلك الايام .

وفي الصحراء الغربية والقوات المصرية تعمل هناك أيام الحرب العالمية الثانية ، كان النقيب أنور السادات يقود حركة تمرد ضد القيادة البريطانية التي عملت على استغلال كل مقاتل مصري وتعريضهم لغارات الطائرات والمدفعية الألمانية من أجل تلقي الصدمات والخسائر في الأرواح بدلا من القوات الانجليزية ، فأصدرت القيادة الانجليزية قرارا بتسليم القوات المصرية أسلحتها الى الوحدات البريطانية وعلى الفور استطاع السادات أن يطوف بزملائه وأن يقنعوا قاداتهم برفض هذا القرار ، وأن يضعوا خطة سرية مشتركة لتنفيذها اذا حاول الانجليز نزع سلاح القوات المصرية بعد ذلك .

كانت الخطة تقتضي توجيه المدفعية الثقيلة الموجودة بين أيدي الجنود المصريين نحو مخازن الذخيرة الانجليزية ومواقع الشئون الادارية التابعة لها وتدميرها اذا لم تتراجع القيادة البريطانية عن مطلبها وتسمح للوحدات المصرية بالعودة الى القاهرة بكامل أسلحتها ما دام التعاون وفقدان الثقة بينهم وبين الانجليز في ميدان العمليات قد تعذر أو بلغ هذا الحد .

ولقد نجح الضباط المصريون الوطنيون في وقفهم الشامخة الصلبة ، وعادوا مع جنودهم بكامل أسلحتهم الى معسكراتهم بالعاصمة .

وجاءت مرحلة جديدة ، مارس فيها الضباط الوطنيون من صفار الرتب - الضباط الاحرار فيما بعد - مارسوا فيها نشاطا عمليا كان أشبه باختبار امكانياتهم ...

وأنا أعود هنا الى ذكريات الرئيس السادات التي أشرت اليها قبل سطور ، تلك التي رواها في ديسمبر ١٩٧٥ « الجزء الاول من الذكريات » ..

« عام ١٩٣٩ ، كنا قد بدأنا في اقامة التنظيم السرى للضباط الاحرار ، ولكنه كما كتبت في جريدة الجمهورية عام ١٩٥٣ ، لم يكن قائما على نظام الخلايا ، لم يكن تنظيما بمعنى التنظيم ، والاحداث العالمية تتوالى ، غير ان تنظيمنا كان قائما على العلاقات الشخصية بين الضباط الاصدقاء ، وتوالى الاحداث العالمية أمامنا يدفعنا للعمل كتنظيم ، خاصة عندما جاء روميل الى العلمين ، وعرفنا أيامها ان مصر ستكون من نصيب ايطاليا حين تتقدم الجيوش الالمانية والايطالية نحو الاسكندرية فالقاهرة » .

« وبدأنا نفكر ، وقررنا الاتصال بروميل لكي يعرف ان في مصر حركة وطنية ضد الاحتلال البريطاني ، ونحن على استعداد للحرب معه بشرط ألا يستبدل الاحتلال البريطاني لمصر باحتلال ايطالى ، وعلى الفور صورنا جميع المواقع العسكرية الانجليزية في بلادنا وقررنا ارسالها الى روميل عن طريق الجو كدليل على حسن نوايانا وبواسطة أحد أعضاء التنظيم ، المرحوم طيار أحمد سعودى ، كان التنظيم يضم أيامها عبد اللطيف

بسدادی . وحسن عزت ، وحسن ابراهيم ، وأحمد
سعودی . ولهم من الطيران ... »

ویمضی الرئيس السادات فی قصته التي انتهت
بإستشهاد الطيار أحمد سعودی بواسطة المدفعية الألمانية
المضادة للطائرات . وهي قصة سنعود إليها بالتفاصيل
حين نتعرض لحركة الضباط الأحرار بسلاح الطيران فی
صفحات فادمة من الكتاب .

نعود الى التنظيم ، وبداية تكوينه ، لنعرف كيف
جمع بين السادات ضابط الإشارة ، وبين ضباط الطيران
من السببب الثائر . وكيف تركه السادات ليتولى قيادته
بعد ذلك الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، كما قال -
الرئيس السادات فی الجزء الثاني من ذكرياته - ديسمبر
عام ١٩٧٦ : « لقد تركت العمل صيف عام ١٩٤٢ ،
نتيجة الاعتقال ، وجاء عبد الناصر وتولى فی نهاية العام ،
 واحتفظ بأعضاء الهيئة التأسيسية التي لم تكن قد
تحولت بعد الى مجلس قيادة الثورة .

احتفظ بالبغدادي ، وحسن ابراهيم ، وخالد محيى
الدين ، وبدأ عبد الناصر يعمل فی تكوين خلايا التنظيم » .

هذه هي القصة التي ذكرها الرئيس السادات
بتركيز واختصار ، وقد حرصت على التنقيب فی
تفاصيلها حتى تكتمل الصورة أمامی ، باحثاً عن إجابات
لعدة أسئلة رئيسية ... كيف التقوا فی البداية ؟

أين ذهب الطيار حسن عزت ؟

كيف انضم اليهم ضابط الفرسان خالد محيى الدين ؟

كيف التقوا بالرئيس أنور السادات ؟

ومن الذى قاد عبد الناصر اليهم أو قادهم اليه ؟

لقد اكتشفت في جولة بحثي بين نوار يوليو ان بين زملاء دفعة الرئيس أنور السادات ، الضابط الثائر بكباشي عبد المنعم عبدالرءوف ، هكذا كانت رتبته عند قيام الثورة ، وقد انضم عبد المنعم عبد الرءوف الى سلاح الطيران ، وكان شابا متدينا مؤمنا مثل زميل دفعته أنور السادات، جمع بينهما التدين والايمان بالله وبضرورة خلاص مصر من الاحتلال البريطاني ومن يسانده من حكام مصر وباشواتها ، وقد قاد الطيار عبد المنعم عبد الرءوف زميل دفعته ضابط الاشارة أنور السادات الى لقاءات تعددت مع زملائه الطيارين الذين يؤمنون بفكر واحد . وآمال واحدة ، فضلا على تقارب أعمارهم واحلامهم ، وهم المرحوم الطيار أحمد سعودي ، وحسن ابراهيم ، وعبد اللطيف بغدادى ، وحسن عزت ، وكانت بداية التجمع الثورى ونشوء الفكر الوطنى المتحرر الرافض لمقاييس الحكم الملكى واعمدته التى تسانده وهى فى الدرجة الاولى قوات الاحتلال البريطانى فى مصر . وكان هؤلاء الثوار من صفار الضباط خلف فكرة الاتصال بالفيلد مارشال روميل ، وارسال صورالمواقع العسكرية الانجليزية المنتشرة فى أنحاء المملكة المصرية اليه عن طريق الطيار المرحوم أحمد سعودي الذى سقطت طائرته قبل أن يصل الى القوات الالمانية فى الصحراء الغربية ، بينما نجح «صول» فى اليوم التالى قاذب طائرة استكشاف للبحث عن طائرة سعودى ، نجح فى الوصول الى الالمان ، وفضل البقاء معهم حتى دخلت قوات الحلفاء برلين فى نهاية الحرب فأعادوه الى مصر وحوكم وصدر الحكم بسجنه ١٥ عاما وتفريمه ثمانية آلاف من الجنيهاات ثمنا للطائرة المصرية التى هرب بها ، وبقي فى السجن حتى قامت الثورة وأخرجه عبد اللطيف بغدادى من السجن !

وحين قبض على الضابط الثائر اليوزباشى محمد أنور السادات ، قبض فى الوقت نفسه على الضابط الثائر الطيار حسن عزت وكان برتبة ملازم أول ، وكان الاثنان يعملان معا فى الاتصال بالقوات الألمانية لاسلكيا وهى القضية المعروفة التى أشار اليها الرئيس السادات بالتفصيل فى حديث الذكريات - الجزء الاول - ديسمبر عام ١٩٧٥ « قضية عوامة الراقصة حكمت فهمى ... والجواسيس الالمان » .

ووضعوا الضابط أنور السادات فى ميس ضباط المدفعية - فقد كان محرما وضع أى ضابط مصرى فى حالة التحقيق معه أو تحت التحفظ قبل ادانته داخل السجون ، ذلك أسلوب لم يطبق بين ضباط الجيش المصرى الا فى نهاية عام ١٩٥٢ ، وبعد قيام الثورة للأسف! لقد وضعوا « السادات » فى ميس المدفعية تحت حراسة ضابط المدفعية نقيب محمود ماهر الرمالى محافظ سوهاج حتى عام ١٩٧٢ ، وهو زميل دفعة السادات فى الوقت نفسه ، كما وضعوا الطيار حسن عزت فى ميس الفرسان تحت حراسة ضابط الفرسان ملازم أول خالد محبى الدين ، ومن هنا نشأت أول علاقة بينه وبين الضباط الاحرار فى الطيران ، الذين قرروا التحرك فور القبض على زميليهما فى النشاط السرى أنور السادات ، وحسن عزت ، ولقد روى لى تفاصيل هذه المرحلة السيد عبد اللطيف بغدادى عضو مجلس قيادة الثورة قائلا :

- « بعد القبض عليهما ، كان الزميل الطيار محمد وجيه أباطة قد انضم إلينا ، وقررنا أن نقوم بتهريبهما ، أنا أقوم بتهريب الرئيس السادات ، ووجيه أباطة يقوم

بتهريب حسن عزت ، وذهب وجيه أباطة الى خالد محيي الدين الذي يتولى التحفظ أو الحراسة على « حسن » وفاتحه في الامر مخاطبا فيه مشاعره الوطنية ، فرحب على الفور ، وعندما بلغ السادات وحسن عزت نبأ اعتزامنا تهريبهما اعتذرا وقالوا ان الانجليز سيطلقون عليهما النار اذا ضبطا بعد الهرب للتخلص منهما بلا محاكمة ، وانهما يرحبان بالمحاكمة بدلا من الهرب الذي قد يودي بحياتهما اذا عثروا عليهما، وهو احتمال لا بد من وضعه في الحساب ، واقتنع ثوار الطيران ، واكتفوا بالوقوف الى جانب أسر زملائهم خلال فترة الاعتقال ، وبدأت علاقتهم بخالد محيي الدين ضابط الفرسان الذي التحم بهم وقاد اليهم بعض زملائه في السلاح ، مثل جمال منصور وكيل وزارة الخارجية سابقا ورئيس مكتب العلاقات المصرية - السورية في دمشق حاليا ، وهو الذي جاء بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر اليهم بالاشتراك مع زميله خالد محيي الدين ، وبدأ عبد الناصر بأسلوبه وشخصيته وأقدميته في الرتبة يسيطر عليهم ويتولى قيادتهم ضباط الطيران والفرسان فالمشاة ، وهي مرحلة أخرى سنتعرض لها في صفحات قادمة عن حركة الاحرار في المدرعات والمشاة والمدفعية .

هذه الجزئية الصغيرة تفسر لنا قول السادات : « لقد تركت العمل صيف عام ١٩٤٢ ، وتولى عبد الناصر في نهاية العام واحتفظ بأعضاء الهيئة التأسيسية ، بغدادى ، وحسن ابراهيم ، وخالد محيي الدين ، وأخذ يشكل الخلايا السرية للتنظيم » .

ومرت أعوام عصيبة ما بين أعوام ١٩٤٢ و ١٩٤٩ ، اعتقل السادات خلالها في معتقلات المنيا والزيتون ، وسجن الاجانب ، ثم هرب في نهاية عام ١٩٤٤ ، فطورد

من المخابرات الحربية الملكية المصرية ، ومن الاجهزة السرية التى أنشأها الملك لتعقب مثل هؤلاء الثوار ، كالحرس الحديدى مثلا ، ومن المخابرات البريطانية وأعوانها « كاخوان الحرية » من المصريين للأسف ، ثم سقطت الاحكام العرفية ، فى سبتمبر عام ١٩٤٥ ، وقام على الفور بتأسيس جناح مدنى للثوار الاحرار بين شباب الجامعات المتحمس للعمل الفدائى الوطنى ، وقد ضم هذا الجناح « المهندس عمر » الشقيق الاصغر للمرحوم الطيار أحمد سعودى ، غير انه ما لبث أن قبض البوليس السياسى على هذه الجمعية السرية أو الجناح المدنى للضباط الاحرار ، الذى قام بعدة عمليات فدائية ضد القوات البريطانية ، أصابت قيادتها برعب شديد ، وبالتالي فكروا فى التخلص من أعوان الانجليز فى مصر ، فأطلق أحدهم وهو الثائر القديم حسين توفيق النار على أمين عثمان باشا وزير المالية الوفدى ، وأحد عيون ورجال الاحتلال البريطانى المخلصين ، واعترف حسين توفيق على أنور السادات ، فجاءوا به الى السجن مرة أخرى فى يناير عام ١٩٤٦ ، وبقي به ٣١ شهرا ، وغادره فى نهاية يوليو عام ١٩٤٨ ، بعد أن صدر الحكم ببراءته .

كانت قصة الضابط الاسمر الثائر أنور السادات على كل لسان فى أسلحة الجيش المختلفة بين الضباط والجنود ، وبين جماهير الشعب التى تعاطفت معه والأسر الارستقراطية ممن قرأوا قصة المحاكمة ، محاكمة هذه الجمعية السرية ، وأعجبوا بثورة المتهم أنور السادات حين وقف غاضبا شائرا فى قفص الاتهام ، صارخا بقوله :

— « اننى أفضل الشنق على أن أقف وأستمع الى

النائب العام وهو يسحب الكلام الوطنى الذى قاله ممثل
النيابة أمس حين هاجم الاستعمار البريطانى لبلادنا .

ولقد اهتمت الصحافة المصرية بقصة الثائر الشاب
أنور السادات وأبرزت مراحل نضاله وكفاحه وقصة
حياته ، مما ساعد على تعقبه وفرض رقابة سرية كاملة
عليه ليل نهار .

وجاء عام ١٩٤٩ ، وقد تحول أنور السادات للعمل
الصحفى ، ثم عثر على شقة مناسبة بشوارع مصر
والسودان فاستأجرها هربا من سكنى البنسيونات ،
وكانت هذه الشقة تعلو محلا تجاريا صغيرا لتجارة
الخردوات يملكه شاب اسمه « سعد منصور » وهو
الشقيق الأكبر لضابط الفرسان الثائر جمال منصور .

وفى هذا المحل وفى أكثر أمسيات الأسبوع كان جمال
عبد الناصر بعد عودته من الجولة الأولى فى الفالوجا
عام ١٩٤٩ ، يلتقى بجمال منصور وخالد محيى الدين
وحسن إبراهيم وعدد قليل من أبرز ضباط المشاة
والمدرعات ، وإذا بعبد الناصر يشاهد ذات عصر بينما
هو جالس الى « كيس » المحل كعادته زميل المرحلة
الأولى من الخدمة العسكرية فى منقباد والصحراء الغربية
والقاهرة ، أنور السادات يغادر باب البيت الملاصق
للمحل ، محل الخردوات .

والتقى عبد الناصر بالسادات مرة أخرى ، وعرف أنه
يسكن أعلى المحل ، وكانت بداية لتجدد العلاقات
واللقاءات والنشاط السرى ، ومن هذا المحل خرج ثانى
منشور ثورى بتوقيع الضباط الأحرار وبإشراف جمال
عبد الناصر ، وكان المنشور الأول الذى حمل توقيع

الضباط الاحرار قد أصدرته مجموعة أخرى من الثوار داخل سلاح الفرسان يقودها الضابط الثائر سعد عبد الحفيظ ، وعلم الرئيس الراحل بحساية هذا المنشور والتشكيل السرى الذى أصدره ، فأوكل الى خالد محيى الدين ضابط الفرسان فى الوقت نفسه ، أن يفتح زميله سعد عبد الحفيظ وبقية رفاقه فى توحيد العمل السرى تحت قيادته ، ونجح خالد فى ذلك ، وهى مرحلة كما سبق وقلت سنتعرض لها فى الجزء الخاص بالفرسان أو احرار المدرعات بين صفحات هذا الكتاب .

ومضى عام ١٩٤٩ ، وعاد الرئيس السادات الى الجيش المصرى فى ١٥ يناير ١٩٥٠ ، وصدر القرار بنقله بعيدا عن القاهرة ، ليخدم فى العريش ثم رفع حتى ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ، التى استقل فيها قطار غزة عائدا الى العاصمة ويقوم بدوره ليلة الثورة ، وهو دور رواه الرئيس السادات بكافة التفاصيل ، فى حديث الذكريات الجزء الثانى « ديسمبر ١٩٧٦ » .

الضباط الأحرار وفن الطيرات

حوار مع قائد الجناح عبد اللطيف بغدادى يوليو ١٩٧٥

بداية ، يروى لنا ثائر الطيران القديم عبد اللطيف بغدادى بعد طول صمت ، قصة نشوء الفكر الثورى فى الجيش المصرى مع بداية الاربعينات ، ودور ضباط الطيران فى الخروج بالعمل الوطنى من دائرة النقاش الى مجال التطبيق ، قبل أن يظهر الرئيس جمال عبد الناصر ليقود تجمع الثوار فى تنظيم واحد ، وهى مرحلة من أهم مراحل العمل بفكرة التغيير داخل الجيش ، ثم على مستوى مصر بأكملها ، تلك التى عاشها شباب مصرى يافع من صفار الرتب العسكرية فى العشرينات من أعمارهم مع بداية الحرب العالمية الثانية .

مرحلة نضال متصل مستمر ، لم يتوقف ولم يهدأ ، حتى توجوه بالعمل الخالد ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

هل تذكر متى ظهر اهتمامكم بالقضية الوطنية

وأيـن كنتم ؟

— عام ١٩٣٥ ، وكنت طالبا بالمرحلة الثانوية بالمنصورة ، جيل أكبر من عمره ، تميزه الجدية والخشونة والاهتمامات الوطنية فى صيغتنا كنا نسمع قصة ثورة ١٩ ، التى ولد أكثرنا خلالها ، والمحاكمات الانجليزية لجماهير الشعب الثائر ، واعداد المواطنين

بالعشرات ، وسجن وجلد المئات من أقصى الصعيد حتى الإسكندرية ، وأورثتنا هذه القصص كراهية مطلقة للاحتلال البريطاني ، وشحنتنا دائما بالمشاعر الوطنية ، والتجمع من أجل عمل شيء ندافع به عن كرامتنا وحريتنا .

كانت أحلام وآمال شباب في الخامسة عشر من العمر أو أكثر قليلا ، ولكنها تملأ رءوسنا وحياتنا الخاصة ، وكان حرص هذا الجيل على ممارسة الرياضة البدنية كبيرا ، ربما كنا نفرغ طاقاتنا في الهوايات الرياضية ، كما كان حلم كل شاب أن يلتحق بالجيش ضابطا .

في نهاية عام ١٩٣٥ ، سمع الشعب بقصة فتح أبواب المدرسة الحربية أمام أبناء الفقراء والبسطاء من الجماهير ، وكان حدثا مثيرا إذ نشرت الصحف يومها أنها قبلت أكثر من أربعين طالبا .

ووقعت إنجلترا مع مصر معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وفي نهاية العام أعلنت المدرسة الحربية عن قبول دفعة جديدة من الطلبة المصريين ، واستمر تدفق الشباب المصري على المدرسة حتى التحقت بها في سبتمبر عام ١٩٣٧ وتخرجت « طيارا ثانيا » في يناير ١٩٣٩ .

لقد قدمت أوراقى في المدرسة الحربية ، ومدرسة الشرطة ، وكلية الزراعة ، وفوجئت بقبولى فى الزراعة والشرطة ، قبل اعلان قبول الحربية ، والتحق بالشرطة فعلا ، ودفعت المصاريف ، ثم استدعيت لكشف الهيئة بالحربية ، وحين قبلوا أوراقى حولت من الشرطة اليها .

وبعد مرحلة الاعدادى فى المدرسة الحربية ، تقدمت

للطيران ونحن فى مرحلة المتوسط ، وتخرجنا فى يناير ١٩٣٩ ، من أجل الاستعداد للحرب ، وكانت تهديدات النازية فى ألمانيا تنذر بها ، والانجليز فى بلادنا يخططون لاستخدام الجيش المصرى وقد تدعم بعناصر كثيرة من الشباب اذا قامت الحرب .

ماهو دورنا ؟ . .

كنا مجموعة صغيرة من الضباط الاصديقاء فى سلاح الطيران ، تتكون من اربعة اشخاص ، اربعة طيارين متقاربين فى الاعمار .

انا والمرحوم الطيار احمد سعودى ابو على ، ووجيه اباظة ، وحسن عزت ، لنا جلسات وسهراتنا ، ودائما حديثنا عن مصر ، وما تعده انجلترا مستقبلا للشعب المصرى .

قلت له . . كنتم اول دفعتكم . . اليس كذلك ؟

— نعم ، وخدمت فى مطار الدخيلة ، محطة الطائرات المقاتلة « جلاديو تير » وهى طائرات بريطانية ، وكان الطيران البريطانى يستخدمها فى نفس الوقت ، وفى عام ١٩٤٠ نقلت الى مطار حلوان للاشتراك فى الدفاع عن القاهرة .

فى تلك الفترة من الزمن شهد الجيش المصرى ميلاد الافكار الثورية الرافضة للسيطرة البريطانية ، وكانت بعثة عسكرية انجليزية هى صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة داخل اسلحة الجيش المصرى ، وكنا نحن الاصديقاء الاربعة فى اسراب المقاتلات نبحث عن طريق يقودنا للخلاص ، ونتحدث عن التبعية المطلقة فى القصر والحكومة للاحتلال ، ونتصدى للفطسة الانجليزية ،

ونأمل في تمصير الادارة العسكرية ، ويحمل الجميع في الطيران والجيش شحنات للعمل الوطنى ، مؤمنين أن مصر وخلصها في أيدينا ، وكلنا على استعداد للتضحية بالروح من أجل تحقيق هذا الحلم الكبير .

وتساءلنا .. ماذا يمكننا أن نقوم به ؟

ما هو الدور الذى نستطيع تأديته ؟

واتجهنا بأنظارنا الى ألمانيا ..

في ذلك الوقت ، وفي حدود مفهومنا السياسى ، وتقديرا للموقف ، ورفضنا النامى مع صباننا أيام المرحلة الثانوية ، والقيام بالمظاهرات ضد الاحتلال البريطانى ، لم تكن قسوة النازية أو أسلوبها فى الحكم أو تطبيقاتها قد وضحت لنا ، كل ما نراه ويملاً أحلامنا هو التخلص من الاحتلال البريطانى ، حتى عن طريق الألمان .

ولم تكن هذه المشاعر والمفاهيم تخصصنا وحدنا ، بل كانت تخص جماهير عريضة من الشباب والرجال الأكبر سناً في مختلف البيئات والمهن المصرية .

وفي نطاق عملنا كطيارين ، تبلورت فكرة التجمع المستمر قبل أن نصل الى فكرة التنظيم ، وفي تجمعاتنا اليومية تقريبا يدور الحديث والنقاش حول الدور الذى يمكننا تحقيقه والمقابل الذى يمكن الحصول عليه من مطالبنا الوطنية .

واهتدينا في النهاية الى تهديد الانسحاب الانجليزى .

كان الألمان يحرزون نصراً يتبعه نصر آخر في الصحراء الغربية ، وأخذت القوات الانجليزية أو البريطانية تعد للانسحاب ، وقررنا ضرب خطوط مواصلاتها .

من هنا نشأت فكرة تنظيم أنفسنا حين وصلنا لغرض معين لدور محدد نقوم بتأديته ، وحتى نؤديه على الوجه الأكمل لابد من وجود تنظيم يمضي بالفكرة الى خطة مدروسة ، نضمن تنفيذها بالامكانيات المتاحة بين أيدينا ، فلم يكن لاحدنا صلة بأي تنظيم آخر . او سبق له الاتصال به .

وخلال دراسة واعداد الخطة ، وجدنا انه لابد من تأييد جماهيري لعملنا ، ذلك أن الانجليز سيكتشفون حتما ضرب خطوط مواصلاتهم من الداخل ، وربما قبضوا علينا ، وهنا لابد من حماية لظهورنا، ورأينا توفير هذه الحماية بايجاد مدنيين يستطيعون اشغال الراى العام دفاعا عنا ، وعن عملنا ، ويكون هذا العمل بمثابة ضغط على الانجليز ، خاصة وهم يعانون من الهزيمة . وفي مرحلة الانسحاب .

قلت للسيد عبد اللطيف البغدادي :

متى بالتحديد مارستم هذا النشاط في سلاح الطيران؟

— ما بين عام ١٩٤٠ و ١٩٤٢

عدت أقول :

كان هنا نشاط آخر معاد للاحتلال والسيطرة الانجليزية على الجيش المصرى فى سلاح الحدود ثم المشاة فالاشارة ، يقوده النقيب أو اليوزباشى أنور السادات ، وقد روى لى بعض كبار القادة ممن تركوا الجيش قبل الثورة ، وبعد سنواتها القليلة الاولى ، أن ضباطهم كانوا يتحدثون عن النشاط الوطنى للضابط الشاب أنور السادات دون أن يروه ، وأن قصص

اصطدامه بالقادة الانجليز ، كانت تنتقل من معسكر الى معسكر ومن سلاح الى سلاح .. ما بين ١٩٤٠ و ١٩٤٢ - هذه حقيقة ، فقد كان لنا نشاط موحد ضد البعثة الانجليزية في الجيش المصرى وضد قوات الاحتلال البريطانى ، وكنا كضباط طيران نعمل فى نطاق تجمعنا ، وأصدقائنا حتى تلك المرحلة كانوا جميعا من رفاق السلاح ، وكان للبوليس السياسى وللمخابرات الملكية ، وللانجليز ، عيون ترصد نشاط صفار الضباط فكان لابد من الحيلة والحذر .

قلت .. نعود الى خطتكم .. ماذا فعلتم بعد أن انتهيتم الى ضرورة الاتصال بالمدينين ؟

- فكرنا فى الاتصال بالمنظمات أولا ، وبرز لنا الحزب الوطنى ، والثائر عبد العزيز على أحد أعضاء الحزب ، وعضو منظمة اليد السوداء خلال ثورة ١٩ ، وما بعدها وذهبنا اليه ، ووجدنا تشجيعا منه ، وارتبط بنا كما ارتبطنا به ، ثم ذهبنا الى المرحوم الشيخ حسن البنا زعيم الاخوان المسلمين .

كيف فكرتم فى الشيخ حسن البنا والاخوان ؟

- منذ مرحلة الثانوية كان لى صديق دراسة وهو ابراهيم العزبى ، وقد ظللنا أصدقاء منذ طفولتنا ، وكان لنا نشاطنا الوطنى كطلاب ثانوى فى المنصورة ، ثم اتجه هو الى الاخوان المسلمين ، وعن طريقه ذهبت الى حسن البنا .

ولقد أبدى الرجل استعدادا للعمل معنا ، ومساندتنا، وأذكر أنه قال لى « عندي مايقرب من نصف مليون عضو بالجمعية ، وهذا العدد الكبير من البشر فى حاجة

الى قادة يرسمون الخطة ويقودون التنفيذ .

واتفق معنا على أنه لا يهدف ولا يعمل من أجل الحركة الدينية ، وبالحرف الواحد قال : « لسنا مشايخ طرق .. بل لنا أهداف وطنية في الدرجة الاولى » تم طلب دمج تنظيمنا العسكرى مع تنظيمه الدينى ، وهنا تراجعنا قليلا ، وكانت لنا تحفظاتنا ، فقد خشينا أن ندوب في الأخوان ، وتضيع شخصياتنا وامكانياتنا كضباط طيران ..

ولكنه عاد ووافق على التعاون معنا دون الدمج ..

وفى خلال هذا النشاط للالتقاء مع المنظمات المدنية ، ذهبنا الى طلبة جامعة فؤاد « القاهرة الآن » عن طريق « أمين العربى » شقيق صديقى ابراهيم ، وكان أمين زعيما سياسيا لطلبة كلية التجارة بشارع قصر العينى ، وأصبح أمين بعد ذلك حلقة الاتصال مع شباب الجامعة وفى سرية تامة .

ومن بين الواجبات التى كلفنا بها طلبة كلية التجارة مراقبة نشاط وتحركات القيادة الانجليزية وكانت فى حى جاردن سيتى قريبا من مبنى كلية التجارة ، رقابة نهائية وليلية مستمرة .

وأخذنا نعمل على توسيع الدائرة بنظام الخـلايا ضمـانا للسرية ، كل خلية تضم خمسة أشخاص ، وكانت مهامنا نحن ضباط الطيران الاربعة ، الاصدقاء ، البحث عن الاشخاص الذين يمكن ضمهم للتجنيد عن طريق المناقشات السياسية غير المباشرة عدة مرات ، ومتابعة العضو المرشح ومراقبته اثر كل حوار معه حتى يتقرر تجنيده أو اسقاطه من حساباتنا .

وبدانا في جمع الاشتراكات ، وأخذنا مسئولاً عن
عن اللجنة السياسية لتنظيم ، ومسئولاً عن اللجنة
المالية ، واشترينا أسلحة صغيرة ، وفنابل يدوية ،
وفنابل مولوتوف ، واستأجرنا شقة بمنشيه البكرى ،
واحضرنا محركه كهربائي إلى الشقة فام بسرائها الطيار
حسن عزت ، وذلك لاستخدام المواسير اللازمة لصناعه
الفنابل ، تم فكرنا في الاستعانة بالضباط الوطنيين في
أسلحة الجيش الأخرى .

لقاء مع السادات

وأخذنا نناقش ضم بعض الضباط الوطنيين من الأسلحة
المختلفة لتنظيمنا . ورشح الطيار حسن عزت « الرئيس
أنور السادات » لمعرفته به ، والتقيناه وتحدثنا طويلاً ثم
انضم السادات إلى التنظيم .

اتصلنا أيضاً بالمرحوم عز الدين ذو الفقار ، وكان في
ذلك الوقت ضابطاً بالمدفعية ليكون ممثلاً لسلحه داخل
التنظيم .

وأخذنا نتوسع ونتغلغل داخل الجيش ، وأصبح للفكر
الثورى على مستوى الأسلحة كلها قاعدة بشرية من
صفار الضباط ، وحرصنا على أن نجمع لدينا كل
المعلومات التى تتصل بقوات الانجليز في بلادنا ،
معسكراتهم ، قياداتهم ، مخازن تموينهم ، ذخائرهم ،
تجمعات حملاتهم الميكانيكية ، وكطيارين قمنا بتصوير
جميع المنشآت الانجليزية من الجو ، واعدنا رسمها على
كروكيات باليد ، وكانت بداية ناجحة .

عدت أسأل :

حتى عام ١٩٤٢ ، من انضم إلى تنظيمكم من أصحاب

الاسماء التى برزت بعد الثورة : غير الاسماء التى جاء ذكرها فى حديثنا ؟

— من الطيران « حسن ابراهيم والمرحوم جمال سالم ووجيه أباطة والمرحوم محمد شوكت وعمر الجمال السفير بعد ذلك .. ثم انضم اليها على صبرى ، وشقيقه حسين ذو الفقار صبرى ومصطفى مرتجى السفير بعد ذلك أيضا وصادق القرموطى وحمدى أبوزيد وزير الطيران السابق وعبد الرحمن عنان وعبد المنعم عبد الرؤوف » وليس هنا مجال لسرد كل الاسماء ، خاصة وأن جميع ضباط الطيران اشتركوا فى الثورة منذ ليلتها الاولى ..

نعود الى حديثنا .. حول توزيع جهودنا ونشاطنا . فكرنا فى الاتصال بالمرحوم الفريق عزيز المصرى فقد كان بالنسبة لنا الاب الروحى والقائد الوطنى المشجع . وقال رحمه الله « ان الموقف بالنسبة للألمان فى منطقة العلمين يمثل عنق زجاجة ، ومن السهولة ايقاف تقدمهم فى هذه المنطقة ، والبديل لذلك هو أن يتجه الالمان الى الفيوم ، ثم يتقدموا الى منطقة القناة ، ليصبحوا خلف خطوط الانجليز مباشرة » .

وتساءلنا .. كيف يمكن تحقيق ذلك ؟

فى تلك الايام كان الالمان قد بعثوا بأحد جواسيسهم الشبان الى القاهرة ، والتقى بشاب مصرى وطنى من أم المانية وأب مصرى ، وقد نشرت الصحف اسمه خلال محاكمته بعد ذلك ، وهو الشاب حسين جعفر ، وكان حسين صديقا عن طريق مصرى آخر ، للطيار حسن عزت عضو التنظيم .

واتصلنا بالجاسوس الالماني بواسطة حسن عزت ،
والرئيس أنور السادات ، واكتفينا بهما ضمانا للسرية ،
وأردنا أن نجعل من الجاسوس حلقة اتصال بيننا وبين
القيادة الالمانية ، غير أنه قبض عليه بعد أن اكتشف
البوليس أنه يستخدم عملة مصرية مزيفة ، وكان ضعيفا
أمام النساء والخمر ، فروقب ثم وقع في قبضة البوليس ،
وقبض أيضا على الطيار حسن عزت والرئيس السادات
وحقق معهم ، وأصرأ على الإنكار ، وأمام تماسكهما
وأصرارهما وثباتهما لم يكتشف الانجليز وجود التنظيم
السرى العسكرى المصرى .

ولقد قامت القيادة المصرية بناء على تعليمات
القيادة الانجليزية ، بالتحفظ على الضابطين السادات
وحسن عزت ، الاول تحفظوا عليه فى سلاح المدفعية ،
والثانى فى سلاح الفرسان ، وكان الضابط المنوط به
حراسة الرئيس السادات ، هو النقيب محمود ماهر
الرمالى ، المحافظ فيمما بعد ، والضابط المنوط به
حراسة الطيار حسن عزت ، هو الملازم اول خالد
محيى الدين ، عضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، ولم
يكن قد انضم الى أى تشكيل سرى داخل الجيش حتى
ذلك الوقت ، ثم أصبح وثيق الصلة بنا وموضع ثقتنا ،
وأصبح مرتبطا بالتنظيم بعد أن فاتحناه فى أمر تهريب
حسن عزت وأنور السادات عن طريقنا وبمعاونته لنا
كضابط حرس على حسن عزت ، وذلك على اثر قرار
اتخذناه وهو أن أتولى أنا تهريب الرئيس السادات ويتولى
وجيه أباطة تهريب حسن عزت ، وخاطب وجهه أباطة
فى خالد محيى الدين مشاعره الوطنية فرحب بالفكرة
ووافق على المشاركة فيها رغم ما سيتعرض له من

حساب .. الا أن حسن عزت والسادات رفضا فكرة الهروب وقررا مواجهة المحاكمة .

وكنا قد فكرنا فى ارسال المعلومات الموجودة لدينا عن القوات البريطانية الى القىـادة الالمانية فى الصحراء الغربية ، ووضعنا خطة ، وكان المسئول عن اعداد الخرائط اللازمة للمرحلة هو الطيار وجيه ابازة ، يعاونه « صول » من رجالنا هو الصول أو المساعد « محمد رضوان » وقد اثار ضجة قبل وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وسنعود الى قصته ..

المهم كانت الخطة تتضمن أن يظل « حسن ابراهيم » مستغرقا فى النوم تاركا طيارته للمرحوم الطيار سعودى ، ووضعنا الاوراق داخل حقيبة بمفجر مع شحنة ديناميت حملها حسن عزت واختبأ بها فى أحد

الخنادق بالقرب من الطائرة حتى مر به سعودى وتسلم الحقيبة ، وارتفعت الطائرة فى الجو ، ولكنها أسقطت بواسطة المدفعية المضادة للطائرات أغاب الظن !

ولقد طارت طائرات الاستكشاف اول وثانى يوم ، بحثا عن الطائرة ولم تجد شيئا ، غير انه فى اليوم الثانى كان المساعد محمد رضوان يقود طائرة استكشاف ، ولانه يعلم بحقيقة الموضوع وتفصيله ، فقد فكر فى الذهاب الى الالمان ، وفعلوا ترك تشكيله الجوى واتجه الى الصحراء الغربية ، وهبط هناك وظل مع القوات الالمانية طوال انسحابهم من شمال افريقيا الى ايطاليا حتى أوربا وألمانيا وحين دخل الحلفاء برلين فى نهاية الحرب قبضوا

عليه ، وأعيد الى مصر لمحاكمته وصدر الحكم بسجنه ١٥ عاما ، وغرامة « ٨ » آلاف جنيها تعويضا عن الطائرة ، وظل سجيننا حتى قامت الثورة ، وتدخلت

للافراج عنه ، والحق بالعمل في ادارة الشؤون العامة
للقوات المسلحة .

نعود الى هروب « رضوان » بالطائرة ، فقد
شعرت القيادة البريطانية بأن العملية أكبر من اختفاء
طائرة المرحوم سعودى ، وانه لابد من وجود شىء خطر
خلف هذا الحادث يدعو الى البحث والحذر ، فأوقفت
الطيران بالنسبة للضباط المصريين ، ورفعوا موزع
الكهرباء من الطائرات ، لمدة ستة أشهر حتى انسحب
الامان من العلمين ، فسمحوا لنا بالطيران مع وقود
يكفى ساعة زمنية واحدة وتقييد الطائرات وهى على
الأرض بالسلاسل والاثقال داخل حظائرها .

ولقد حققوا مع عدد من الطيارين المصريين على
فترات مختلفة ، ولم يكتشفوا تنظيماً ، واكتفوا بنقل
١٢ ضابطاً من غير أعضاء التنظيم الى وحدات أخرى ،
وأخروا أقدمية حسن ابراهيم ، لاعتقادهم باشتراكه في
العملية ، ونقلوه الى سلاح خدمة الجيش لمدة ثلاث
سنوات ، ثم أعيد الى الطيران مرة أخرى .

سألت السيد عبد اللطيف البغدادي :

— ما هى تفاصيل محاولة هرب الفريق عزيز المصرى
بالطائرة الى الالمان ، وما هى خلفية تلك المحاولة ، وهل
كانت من اعداد تنظيمكم السرى ؟

— لم تكن المحاولة من اعداد أو من تفكير التنظيم ،
كانت الخطة أو الاتفاق بين ثلاثة فقط ، هم الذين قاموا
بالمحاولة « الفريق عزيز المصرى » ، والطياران عبد المنعم
عبد الرؤوف وحسين ذو الفقار صبرى « وذلك خلال
ثورة رشيد على الكيلانى في العراق ، وكانت محاولة لم
يكتب لها النجاح .

* وماذا بعد تلك المرحلة : وانسحاب الالمان من الصحراء الغربية ؟

- حين نزلت القسوات الامريكية تونس ، وهاجمت الالمان من الغرب ، وقام « مونتجمري » بهجومه المضاد من الشرق ، وحصر الالمان بين فكي الرحى ، ثم تقهقروا في محاولة للانسحاب من شمال افريقيا - اسقطنا الامل في استغلال قواتهم ضد الاحتلال الانجليزى لبلادنا ، غير ان نشاطنا الوطنى لم يتوقف ، وأعدنا الاتصال مرة ثانية بالاخوان المسلمين ، وكان حلقة الصلة بيننا وبينهم طيار على المعاش من الاخوان وهو « المرحوم محمود لبيب » ، وكان مسئولاً أمام قيادة الاخوان عن التنظيم الاخوانى داخل الجيش .

ولقد سهل لنا الاخوان كتابة مقالات سياسية وعسكرية فى مجلاتهم وكنا نكتب عن ضرورة اصلاح اسلحة الجيش والطيران الى جانب وجهات نظرنا فى الموضوعات السياسية ، ونشر هذه المقالات بدون توقيع ، وكان لها اثر طيب لدى الجماهير ، وجذب اهتمام الراى العام الى مطالبنا .

جمعية شيوعية

قلت للسيد عبد اللطيف البغدادى :

- لقد ترددت قصة فى بداية الثورة حول اتصالكم بأحمد حسنين باشا رئيس الدewan الملكى عام ١٩٤٢ عقب حوادث ٤ فبراير الشهيرة حين حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين .. ما هى حقيقة هذه القصة ؟

- انها قصة حقيقية .. فمشاعر الشعب والجيش

ازاء هذا الحادث كانت متعاطفة مع الملك ، واجتمعنا كضباط .. كبار الرتب وصفارها في نادينا لدراسة الموقف ، واقترح الضباط الكبار تسجيل الاسماء بسجل التشريفات تأييدا للملك ، ووقفت بينهم مطالبنا بضرورة تكوين خلايا سرية من صفار الضباط وصف ضباط لاغتيال أى سياسى ينحرف ويتعاون مع الانجليز وكنت متأثرا بقيام مثل هذا التنظيم في اليابان أيامها ، فقام الكبار وأخرجونى عنوة من النادى ..

وتوجهت ومعى زميلى الطيار عبد الحميد الدغيدى وكان عضوا بالتنظيم السرى الى أحمد حسنين باشا ، وطلبنا منه معرفة موقف النحاس باشا الذى لم يكن واضحا لنا ، وذكرنا بأننا سنقتله لو كان قد تعاون مع الانجليز من أجل السلطة ، فحاول اقناعنا بأن نترك هذا الامر لمولانا كما جاء على لسانه ، ليتصرف فيه بحكمته ، وأفهمنا ان الانجليز كانوا يهدفون لعزل الملك عن العرش ولكنه قوت عليهم غرضهم ، وخرجنا مقتنعين بأن موقف النحاس باشا هو موقف من يحاول انقاذ ما يمكن انقاذه فى تلك الازمة .

كان موقفنا موقف الشباب المتحمس لوطنه بكل طاقاته .

واستطرد السيد عبد اللطيف البغدادى :

— لم يتوقف نشاطنا قط ، وأخذنا نبحث عن أى ميدان وطنى نعمل به ، وأذكر أثنى ومعى بعض أعضاء التنظيم انضممنا الى جمعية تحمل اسم « الرياضة وأوقاع الفراغ » وهى جمعية شيوعية بقيادة المرحوم حسنى العرابى، وتعمل تحت ستار استغلال وقت الفراغ بالرياضة ، وكنا نجتمع فى أماكن مختلفة لتدرس لنا

الماركسية ، واستمررنا معهم فترة من الوقت : وكل منا يدفع جنيها كاشتراك شهري ، وذات مساء ذهبت الى منزل حسنى العرابى خلف محلات الصالون الاخضر حاليا ، فوجدت بعض الاعضاء المؤسسين يتقاسمون الاشتراكات ، ولم يشعروا بى أثناء دخولى فانسحبت صامتا ، ولم أعد أو يعد اليها أحد من تنظيمنا بعد أن عرفنا حقيقة هؤلاء الماركسيين !

* ما هو دوركم فى الجولة الاولى مع اسرائيل فى فلسطين ؟

— عام ١٩٤٧ ، كان القائد السورى فوزى القاوفجى يقود جيش فلسطين ، وعلى الفور طلبنا التطوع ، غير أن قيادتنا العليا رفضت الطلب ، ثم أوكلوا لى مهمة نقل الاسلحة الصغيرة جوا الى دمشق ومطار المفرق فى الاردن ، وكان معى عبد الحميد الدغيدى حين سعيينا للالتقاء بالقاوفجى فى دمشق ، وعرضنا عليه أن نساھم معه فى المعركة ، وذلك باعداد طائرات مقاتلة نظير بها من القاهرة الى سوريا ، لاستخدامها لمساعدة جيش التحرير العربى فى معركة ضد الصهيونية فى فلسطين ، ولكنه تردد فى البداية خوفا علينا فى حالة الفشل ، ومحاكمتنا بتهمة الهروب من خدمة القوات المسلحة ، ووافق فى النهاية تحت الحاحنا ، وقال انه سيتصل بطيارين عراقيين للقيام بنفس دورنا ، لكى يستخدم الطيران كعنصر مفاجئ فى معركة فاصلة مع اليهود .

وطالبتة بمطـار سـرى شرق دمشق وعلى مسافة ٦٠ كم من العاصمة السورية ، ووقع اختيارنا على حسن ابراهيم وزكريا سليمان ، لكى تطلب الحكومة السورية انتدابهما ، تحت ستار انشاء سلاح جوى سورى

فلم يكن لدى سوريا طيران ايامها ، على أن يتولى حسن ابراهيم الاشراف على انشاء المطار الجديد ، ويقوم زكريا سليمان وكان يشغل رئيس قسم التسليح بالطيران المصرى ، باعداد ذخيرة الطائرات مستغلا المصانع السورية ، كما اتفقنا على ارسال طيارين سوريين الى مصر للعمل معنا تحت ستار التدريب لانشاء سلاح الطيران السورى ، ولقد حضرا بالفعل « محمود الرفاعى ، والدالاتى » والحقا بسلاح الطيران المصرى ، وبعد اسبوعين تسلمت القاهرة خطابا من وزير الدفاع السورى يطلب انتداب حسن وزكريا ، وقبل أن يطيران الى القاوفجى صنعنا جهازا لاسلكيا بواسطة الرميل « عبد الرؤوف عبدوش » عضو التنظيم للاتصال بالقاوفجى ، ثم اعددنا ١٥ طائرة مقاتلة مسلحة بمدافعها ، ولم تكن مركبة بها وزودناها بحاملات قنابل ، واتفقنا مع مجموعة من الميكانيكين المصريين الوطنيين للعمل معنا هناك ، واعددنا طائرتين داكوتا من طائرات النقل لتحملهم الى سوريا ، وبقينا ننتظر التعاليمات .. ولكننا لم تصل ابدا .

خرجنا من هذا النشاط بنتيجة هامة ، وهى قدرتنا كتنظيم سرى على اعداد الطائرات وتسليحها دون علم القيادة ، واعدادها للطيران فى أى لحظة ، وبفعالية مكتملة ، ظلت تنمو باستمرار ، وكنا نحافظ عليها جيدا .

جمال عبد الناصر

اسمح لى بسؤال : متى ظل نشاط الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ومتى التقيتم به كتنظيم ؟
— بعد حادثة هرب الفريق عزيز المصرى واسقاط

طائرتة ، ومعه عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين
ذو الفقار صبرى ، نقل عبد المنعم الى سلاح خدمة
الجيش ، كما نقل حسين صبرى الى السودان ،
وانتشرت القصة بين مختلف الوحدات .

ولقد اتصل الزعيم الراحل قبل الجولة الاولى فى
فلسطين بعبد المنعم عبد الرؤوف ، فى مرحلة كنا كثوار
صفار السن والرتب نتجه فيها بكل مشاعرنا الى الاخوان
المسلمين ، وكان عبد المنعم بارزا بنشاطه الاخوانى
والثورى معا ، وعن طريق عبد المنعم التقى بكمال الدين
حسين وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين ، ثم التقيت
به بعد حرب فلسطين ، وذلك عام ١٩٤٩ ، وكانت بداية
تكوين الضباط الاحرار ..

نعود الى الاربعينات .. اين كان الزعيم الراحل
جمال عبد الناصر عام ١٩٤٠ وما بعدها خلال سنوات
نشاطكم كتنظيم داخل القاهرة ؟

— نقل الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر
عام ١٩٤٠ الى السودان ، وعاد عام ١٩٤١ ، ليبقى ثلاثة
اشهر غرب الاسكندرية ثم نقل للسودان مرة اخرى
وظل هناك حتى عام ١٩٤٣ ، وربما ذهب للصحراء
القريبة بدلا من السودان ، لا اذكر الآن .

ايضاح :

عدت الى الملف رقم ٢٤٢٤ وهو الملف العسكرى
الشخصى للرئيس الراحل جمال عبد الناصر فوجدت
الآتى من خلال الوثائق الرسمية .

* ٩ مارس ١٩٤٠ نقل الى بور سودان حتى ١١
نوفمبر عام ١٩٤١ .

* نقل الى الصحراء الغربية في ١٢ نوفمبر ١٩٤١ وظل بها حتى فبراير ١٩٤٢ .

* بقي بالقاهرة ضابطا بالكتيبة الثالثة مشاة ابتداء من مارس ١٩٤٢ حتى نهاية أكتوبر ١٩٤٢ ، ثم تنقل بين الكلية الحربية ، وضابط شئون ادارية بكلية اركان حرب حتى نهاية نوفمبر ١٩٤٦ ثم التحق بالكتيبة السادسة مشاة بالعريش لمدة اربعة ايام ، ثم سافر في مهام مختلفة بين البحر الاحمر وسيناء والصحراء الغربية والقاهرة حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وكان قد حصل خلال هذه الفترة على دورة اركان حرب ونجح فيها عام ١٩٤٨ ، وفي ١٦ مايو من نفس العام سافر الى فلسطين ليقا تل معركة في عراق المنشية بالفالوجا ، ويعود الى منطقة القرش شرق القناة في ٢٥ ابريل ١٩٤٩ ويبقى حتى ٩ أغسطس من نفس العام ، ويذهب للعمل في جبل عتاقة يوم ٧ نوفمبر ١٩٤٩ ، وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٥١ ، يقع عليه الاختيار لينضم الى هيئة التدريس بكلية اركان حرب ، ومن هناك قاد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ويستطرد السيد عبد اللطيف البغدادي ، في حديث الذكريات فيقول :

— في نهاية ١٩٤٩ ، بعد الجولة الاولى في فلسطين ظهرت حركة تجمع ضباط الجيش بين الوطنيين منهم ، وممن قاموا بأدوار بطولية ، وأصحاب المواقف الوطنية القديمة ، وبرز الزعيم الراحل بيننا بنشاطه الشخصي ، وأوقف اهتمامه على تجميع الخلايا وتنظيمها دون أن تقترب خلية من أخرى ، وقدراته على رعايتها بدقة بالغة ، وأمكانياته في دعم العمل السري من خلال شخصيته الكتومة ، الى جانب عناصر عديدة حوله ،

تبذل جهدها حتى الحسد الأقصى في سبيل التشكيل وحمايته وصولاً الى الهدف الأكبر .

ولقد استطاع عبد الناصر تجميع ودمج كل أصحاب النشاط الثورى والفكر الوطنى فى تنظيم واحد تحت قيادته . . حدث هذا فى نهاية عام ١٩٤٩ ، واتصل بنا لضم ضباط الطيران الى التشكيل السرى ، وانضممنا معه ثلاثة ضباط ، كل من المرحومين صلاح سالم وعبد الحكيم وانا ، ولم تكن ثلاثتنا قد التقينا فى نشاط سرى موحد مع الرئيس الراحل حتى نهاية ذلك العام .

وكان المرحوم جمال عبد الناصر قد أجرى اتصالات سابقة مع عبد المنعم عبد الرؤوف وكمال حسين ، وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين .

سألته : ماذا كنتم تشغلون أيامها ؟

— فى عام ١٩٤٨ توليت قيادة القاعدة الجوية غرب القاهرة بالإضافة الى توليتى قيادة أسراب القاذفات حتى عام ١٩٥٠ ، ثم عينت مساعداً لمدير تدريب القاذفات والمواصلات برئاسة القوات الجوية حتى ليلة الثورة .

واين كان المرحوم قائد الجناح جمال سالم ؟

— ظل ثلاث سنوات قبل عام ١٩٥٠ يعالج بانجلترا نتيجة حادث طائرة أصابه فى العمود الفقرى ، وأجريت له ١٣ عملية جراحية ، وحين عاد الى القاهرة ، اصططحبته معى الى أحد اجتماعاتنا ، ثم انضم الى اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار ، وهى التسمية التى أطلقناها على مجموعتنا .

وسافر جمال صالح للعلاج مرة أخرى عام ١٩٥١ الى أمريكا ، ثم عاد قبل نهاية العام ، وبذلنا جهدا ليخدم في العريش ، وليتابع نشاط التنظيم هناك بالإضافة الى وجود عبد الحكيم عامر وصالح سالم ، والرئيس أنور السادات الذي انضم الى اللجنة عام ١٩٥١ وكان يخدم في « رفح » .

ماذا كان دور الضباط الأحرار بعد الغاء الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ ، في تلك الايام من نهاية عام ١٩٥١ ؟

— لقد ساندنا قرار الوفد بتدريب الفدائيين في منطقة الشرقية ، وكان وجيهه أباطة مسئولاً عن ادارة هذه العملية باعتباره أحد أبناء أسر الأباطية في منيا القمح ، وقام أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ، في الطيران والجيش بتزويد الفدائيين بالأسلحة والخرائط ، وأعطينا الإخوان كميات كبيرة من السلاح ، وجدناها عام ١٩٥٤ مخبأة بالكامل في عزبة أحد أعضاء الإخوان ، وقام صلاح هدايت وبمعاونة بعض أصدقائه بصنع لغم كبير أطلقنا عليه « التيتل » لنسف السفن بالقناة ، وقمنا كضباط طيران بفك اللغم وتحميله في طائرتي نقل الى العريش ، وتسلمه هناك المرحوم جمال سالم والرحوم عبد الحكيم عامر ، ونقلاه الى المنطقة الشرقية بالقناة ونقل وجيهه أباطة بعض الاجزاء ، أو متفجرات اللغم عن طريق السيد قواد سراج الدين وزير الداخلية في ذلك الحين وبواسطة القطار . ثم عدلنا عن العملية بعد أن خشينا ثورة الرأي العام العالمى ضدنا لو نسفنا سفينة وعطلنا الملاحة بالقناة .

وحصلنا من فلسطين وبعض الدول العربية على سلاح للفدائيين الى جانب الاسلحة التى نحصل عليها سراً من

مخازن الجيش عن طريق مجدى حسنين ، وقد قمت بالاتفاق مع على صبرى . وكان مديرا للمخابرات الملكية الجوية باخفاء السلاح عنده كأمثل مكان أمين وأذكر أن حسن التهامى وكمال رفعت والبلتاجى كانت لهم أدوار هامة خلال هذه الفترة تدريبا وهجوما على القوات البريطانية .

وبعد قيام الثورة اكتشفنا فى وزارة الداخلية أن بعض من ارتدوا أقنعة العمل الفدائى كانوا جواسيس علينا لحساب البوليس السياسى والقصر الملكى ، فقد وجدنا أسماء بعضنا وتفاصيل لقطاعات من نشاطنا السرى فى تقارير هؤلاء العملاء .

ووقع حريق القاهرة ، وقدنا معركة الانتخابات فى مجلس نادى الضباط بالزمالك ، واستطعنا التأثير فى الأغلبية الكبرى لضباط الجيش ، تحديا لرغبات الملك فاروق ومحاولته فرض بعض الأشخاص ممن يضمن ولاءهم له فى مجلس إدارة النادى ، وانتخب من قام الضباط الاحرار بترشيحهم فى هذه الانتخابات ، وأدركنا أن التنظيم أصبح يعتمد على رأى عام عسكري كبير يؤيده ويسانده .

كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يرى أن الموعد المناسب للقيام بالثورة هو عام ١٩٥٥ ، وبعد حريق القاهرة ، ومعركة انتخابات النادى ، طالبت بين أعضاء اللجنة التأسيسية بضرورة التعجيل بالثورة حتى لا تسبقنا الاحداث ، وبعد أن أصبح الزمن عاملا أساسيا فى معركتنا وضرورة سبق الملك فى التحرك ، ثم اقتنعت اللجنة بعد أن أمر الملك بإغلاق نادى الضباط وحل مجلس إدارته وكأنه يتحدى ضباط الجيش والضباط

الاحرار بالذات بهذا الاجراء ، فضلا على الخطوة التالية له ، وهى محاولة القضاء على التنظيم فكان لابد لنا فى النهاية أن نتحرك بسرعة .

متى انتخبتم جمال عبد الناصر رئيسا للجنة القيادة ؟

— عام ١٩٥١

تردد أنه أعاد طرح الثقة به بين أعضاء اللجنة قبل القيام بالثورة .. لماذا فعل ذلك ، ومتى ؟

— كان نتيجة صدام فى الراى بينى وبينه ، وبعد قرار اتخذه لاغتيال « حسين سرى عامر » أحد أعوان الملك فى الجيش دون الرجوع الى اللجنة التأسيسية وانضم اليه كل من حسن ابراهيم وحسن التهامى وكمال رفعت وقد أطلقوا الرصاص عليه فعلا ولم يصب الرجل ، وناقشته وكان حوارا ساخنا احتدم بيننا ، لأنه لم يكن يملك حرية التصرف فى مثل هذا الأمر دون الرجوع كما قلت للجنة التأسيسية لكي يصدر مثل هذا القرار بأغلبية الاصوات ، فمثل هذا العمل كان من الممكن أن يهدم التنظيم كله لو اكتشفت الأجهزة البوليسية أمرهم ، فعرض طرح الثقة به ، وأعطى رحمه الله صوته لحسن ابراهيم بحكم اشتراكه معه فى تنفيذ هذه العملية كان ذلك يوم ٨ يناير عام ١٩٥٢ .

وانتم لمن أعطيتم صوتكم ؟

— له طبعا ، فهو زميل كفاح ، وقد انتخبناه بمحض ارادتنا ، وأعطيته صوتى حين أعاد طرح الثقة بنفسه بكل الايمان به ، صدقا وزمالة ورفقة سلاح ومعركة وهبنا أرواحنا من أجل نجاحها .

((٩)) أم ((١٢)) ؟

نعود الى ما قبل قيام الثورة ..

سؤال : هل كان عبد المنعم عبد الرؤوف أحد أعضاء اللجنة التأسيسية والى متى ؟

— نعم ، وقررنا بالاجماع تنحيته لانه عمل ضد قرار سبق للجنة أن اتخذه بعدم الدمج بين الجيش والايوان اكتفاء بالتعاون فقط ، وقد صدر هذا القرار قبل عام تقريبا من قيام الثورة .

قيل في بداية الثورة ان عدد أعضاء مجلس قيادة الثورة تسعة ضباط ثم قيل ١٢ ضابطا .. ما هو العدد الحقيقي ؟

— ليلة قيام الثورة كانت لجنة القيادة تضم تسعة ضباط فقط وهم المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر ، والرئيس أنور السادات ، ثم المرحومين صلاح سالم وجمال سالم وعبد الحكيم عامر ، بغدادى ، كمال حسين ، حسن ابراهيم ، خالد محيى الدين .

وفي ١٥ أغسطس عام ١٩٥٢ بعد قيام الثورة ، تقرر ضم كل من زكريا محيى الدين وخسين الشافعى ، والرحوم يوسف منصور صديق ، والعقيد عبد المنعم أمين الى مجلس قيادة الثورة ، وأصبح عددنا ١٣ ضابطا ، وفي نفس العام ، انفصل كل من يوسف صديق وعبد المنعم أمين عن المجلس .

بعدها أصبح عددنا « ١١ ضابطا » يضاف اليهم رئيس المجلس اللواء محمد نجيب ، فيصبح العدد ١٢ ضابطا ، وهو ما أذيع خلال الأشهر الأخيرة من عام ١٩٥٢ أو بداية ١٩٥٣ .

ليلة الثورة .. ماذا قمتم به ؟

— كنت مسئولاً عن مهام الطيران الى جانب مسئوليات أخرى فوق الأرض ، فالخطة العسامة للتحرك أعدت لتعزز بعضها بين الجيش والطيران معا .

الطيران كان مركزاً في المأظرة وحلوان وغرب القاهرة ، وسرب للرشح الصحي في الدخيلة ، وطائرات أخرى ، أحداها هي التي طارت حسين سري عامر أثناء هربه في الصحراء الغربية حتى تم القبض عليه ..

وليلة الثورة اجتلت الضباط الاحرار من الطيران قواعدنا الجوية ، وتركزت دبابتان أمام باب القاعدة الجوية في المأظرة ، ومصر الجديدة ، ومع أول ضوء كانت الطائرات فوق سماء القاهرة ، وفوق قوات الانجليز في منطقة القناة ، وفوق الاسكندرية ، لمنع فاروق من مغادرة المدينة جواً أو بحراً .

وكان دورى هو الاشتراك مع أعضاء اللجنة التأسيسية التي ستقوم باحتلال القسيادة على رأس الكتيبة « ١٣ مشاة » بمنطقة كوبرى القبة ، وكان دور الكتيبة الاولى مدافع ماكينة بقيسادة المرحوم يوسف صديق ، أن تأتي لتدعيم القوات التي ستحتل كوبرى القبة ومقر القيادة ، ولكن يوسف صديق جاء مبكراً عن الموعد المحدد بأكثر من ساعة ، واقتحمنا القيادة بقواته البسيطة حتى جاءت قوات الكتائب الأخرى ، وتم القبض على بعض قادة الملك الذين تجمعوا في المناطق المحيطة بالعاصمة ، اذ كانوا قد علموا بتحركنا في التاسعة أو العاشرة من ليلة ٢٣ يوليو .

ولكن ارادة الله فوق كل ارادة ، وبدأنا مرحلة أخرى من المسئوليات .

أحرار المدرعات

عاش أحرار الفرسان أحداثا وفصولا مثيرة منذ بدأوا حركة نضالهم الثورى فى منتصف الاربعينات حتى قيام الثورة عام ١٩٥٢ ، وطوال عامى ٥٣ و ١٩٥٤ .

واذا كان هناك من يقول أن تنظيم الضباط الاحرار فى الجيش لم يبدأ من فراغ ففى قصة ثوار الفرسان أو المدرعات أقوى دليل على ذلك ، ففى عام ١٩٤٥ كان ثمة ضابط صغير برتبة ملازم ثان يتزعم عددا من زملائه لكى يخلعوا عن سلاحهم تلك الصفة التى اقترن بها سلاح السوارى كما كان يطلق عليه أو المدرعات بعد الثورة ، وهى أنه سلاح الملك !

لقد ظل سلاح السوارى أو الفرسان طويلا محل اقبال أبناء الأسر الارستقراطية وفروع الاسرة المالكة التى تفخر بأنها لا تنتسب للجنسية المصرية بل التركية ، ومن هنا أطلق عليه سلاح الملك . . غير أن واقع الامر كان يختلف تماما داخل السلاح ، حيث انتشرت الافكار الثورية خلال الاربعينات بين ضباطه ، وحيث بدأت أول حركة منظمة سرية يقودها الضابط الصغير الذى أشرت اليه ، وهو الملازم ثان سعد عبد الحفيظ صاحب الخطاب الشهير الذى أرسله الى الرئيس الراحل عام ١٩٦٣ ، يطالب فيه بانقاذ الضباط الاحرار

من الحالة التي بلغوها - مقترحا عمل حضر لهم ، وهو
الخطاب الذي جاء ذكره في الفصل الأول من الكتاب
بعنوان « عمل عظيم تأخر عن مواعده عشرين عاما » .

وسعد عبد الحفيظ هو أول ضابط يقبض عليه من
ضباط الفرسان بتهمة التامر ضد الثورة ، حدث هذا
في يناير ١٩٥٣ ، وفي أول قائمة يقرر مجلس قيادة
الثورة القبض عليها من الضباط ويقدمها للمحاكمة
السرية ، بهدف ارهاب باقى الضباط من الاحرار الذين
قال عنهم عبد الناصر قبل نهاية ديسمبر ١٩٥٢ « لن
ينسوا أنهم ثوار ، وأنهم قاموا بثورة ونجحوا ، وكل
منهم يريد أن يحكم وأن تكون كلمته مسموعة ، ولن
يتروني اذا تركتهم يتحركون كما يشاءوا ، انهم صداع
كبير بالنسبة لى ، ولا بد من وقفة » .

هذه العبارة ذكرها لى بعض الاحرار من المقربين
لعبد الناصر في بداية عام ١٩٥٣ ، واكدوها لى مرة
أخرى عام ١٩٧٢ .

ولنعد الى سعد عبد الحفيظ وزملائه . . كان سعد
واحدا من عشاق العسكرية المصرية ، وهو من أبناء
شبراخيت بحيرة ، حصل على مجانية التعليم بالجامعة
عام ١٩٤١ نتيجة تفوقه في شهادة التوجيهية ، والتحق
عاما بكلية العلوم ، ولكنه آثر أن يلتحق بكلية الحربية
عام ١٩٤٢ ، عام الوسطات الوفدية كما يقول ، ولتفوقه
ايضا أصبح باشجاويش الكلية على الطلبة .

وتخرج عام ١٩٤٤ ، وكان أول دفعته ، والتحق
بسلاح الفرسان ، فتألق فيه وبرز وقاد المجموعة
الصغيرة من زملائه داخل السلاح ، وفي أسلحة أخرى

بهدف القيام بعمل عسكري ثوري ، وكان الضباط يطلقون عليه ساحر الفرسان .

ومضى هؤلاء الثوار في نشاطهم دون أن تكون لهم فلسفة تحتويهم وتقودهم نحو خطة محددة أو هدف محدد ، حتى سعى اليهم جمال عبد الناصر في أوائل عام ١٩٥٠ ، وعمل على ضم نشاطهم الثوري تحت قيادته وقد نجح في ذلك مستغلا في هذه العملية صديقه رائد خالد محيي الدين ضابط الفرسان وعضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، وكان خالد قد ارتبط بالفكر الماركسي ، وبدأ يعمل في تكوين قاعدة مدنية ماركسية بين طلاب جامعة القاهرة ، التي كان يتولى فيها قيادة التدريب العسكري ، إلى جانب بعض علاقات وارتباطات فكرية ماركسية أخرى مع عدد قليل من ضباط السلاح مثل ثروت عكاشة وأحمد المصري ونيل المرصفي ، وكانت اجتماعاتهم تتم في بيت ثروت عكاشة أو خالد محيي الدين ..

وفي هذه الفترة بداية الخمسينات استطاع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أن يضم إليه الرائد عبد الفتاح علي أحمد محافظ الدقهلية السابق ، واحد نواب وزير الحكم المحلي ، وكان الرائد عبد الفتاح من الضباط المؤمنين المتدينين الذين قادوا مجموعة ثالثة من أحرار الفرسان للعمل السري يعاونه في ذلك البكباشي حسين الشسافعي ضابط الفرسان الملحق على رئاسة الجيش ، وتحت إشراف دقيق من البكباشي جمال عبد الناصر .

لقد أكد لي عدد ليس بقليل من أحرار الاسلحة الأخرى ممن عاشوا هذه الفترة أن عبد الناصر كان يخشى

نشاط سعد عبد الحفيظ وزملائه المتطرف داخل سلاح الفرسان ، وكان يضع في حسابه عدم السيطرة عليهم ، فعمل على تكوين جناح آخر بقيادة حسين الشافعي وعبد الفتاح على أحمد ، وتردد عام ١٩٥٢ ، أن هذا الجناح كان يضم ليلة الثورة ٣٦ ضابطا من المدرعات ، ومما يؤكد هذا القول أن الرئيس الراحل لم يبلغ سعد عبد الحفيظ وزملائه بساعة التحرك ، لم يعلموا بها الا صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، بل حرص على تجميد نشاطهم وتحركهم لفترة قصيرة قبل الثورة .. مما سيأتي شرحه من خلال تقرير سري أعده سعد وزملائه في نهاية عام ١٩٧٥ وأرسلوا به الى لجنة اعادة كتابة تاريخ الثورة وهي اللجنة التي يرأسها السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية ، ولقد ذكر هذا التقرير جميع التفاصيل التي تعطينا في النهاية صورة كاملة للحركة الثورية داخل سلاح الفرسان منذ منتصف الاربعينات ، ومن هنا حرصت على نشره كاملا وبأسلوبه الأصلي ، وهذا هو التقرير ، على الصفحة التالية .

السيد اللواء محمد حسن غنيم
مساعد وزير البحرية
ورئيس اللجنة الفرعية العسكرية لتاريخ
ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢
تحية طيبة وبعد :

لقد كان طيبا أن تطلبوا منا اعداد تقرير عن دورنا
في ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وتسجيل ما قمنا به في
هذه الثورة .

ونود أن نحيطكم علما بأننا قد رأينا أن نكتب هذا
التقرير « جماعيا » إذ ان دورنا في الثورة لم يكن دورا
انفراديا بل كان عملا جماعيا منسقا بيننا ، ونحن -
اقتناعا منا بأن العمل الوطنى الذى تحقق فى فترة
الاعداد للثورة والتمهيد لها كان الدعامة الحقيقية
والاساسية لانطلاق ثورة الاحرار - وايماننا منا بحق
مصر علينا وبدور الطلائع التى عاصرت هذه الفترة
وعاشت الفكرة وصورت الامل وأحست بكل حركة وكل
سكنة فيها - نقول ان هذا الايمان يدفعنا الى أن نضع
بأقلامنا الاحداث صادقة مسجلين سطور الحق على
صفحات تاريخ أمتنا لكى نرد الامانة الى أمتنا - مصر
الغالية - فالتاريخ ليس ملكا لصانعيه ولكن الامة
وحدها هى مالكته وصاحبه .

وانا اذ نتحمل مسئولية الكلمة أمام الله والضمير
والتاريخ - فانا نسأل العلى القدير أن يجنبنا مغيبة

الانزلاق الى مهاوى الفرور والتفاخر الاجوف وحسبنا ان ما قدمناه من جهد أو تضحية كان احتساباً لوجه الله والوطن فلسنا أول المضحين من أجل مصر ولا آخر من جاهدوا في سبيل عزتها وكرامتها .



بعد أن اطلعنا على الاسئلة الموجهة الينا - وجدنا ان الاجابة عليها على نحو نمطى قد لا توفى الموضوع حقه من الايضاح أو تضىفى عليه صادق صورته وواقع أمره .

ومع تسليمنا بأن الكتابة عن هذه الفترة الهامة من تاريخ ثورتنا - ونعنى فترة التمهيد والاعداد لها - قد تحتاج الى مجلد بأكمله - فاننا قد رأينا أن نتبع في تقريرنا أسلوب الرد التاريخى مع الحرص على ذكر الاسباب - وذلك على النحو التالى :

أولاً : مرحلة التمهيد للثورة والاعداد لها : مرت هذه المرحلة بالفترتين التاليتين :

١ - الفترة بين عام ١٩٤٥ وحتى حرب فلسطين : وفى هذه الفترة قمنا بتكوين « اللجنة التأسيسية للتنظيم » ومارست هذه اللجنة نشاطها تحت تنظيم سمي فى ذاك الوقت باسم « ضباط الجيش » وكانت هذه اللجنة تتكون من : عبد الحميد كفاقي ، مصطفى نصير ، جمال منصور ، سعد عبد الحفيظ ، محمد حلمى ابراهيم (سلاح الفرسان) .

وقامت اللجنة التأسيسية :

١ - بتوسيع دائرة نشاطها الى الاسلحة الاخرى فى الجيش وتشكيل خلايا فى المدفعية والمشاة والطيران والاشارة وخدمة الجيش فى القاهرة والاسكندرية وسلاح الحدود - العريش ورفع .

ب - صدر عن هذه اللجنة منشورات باسم « ضباط الجيش » تناولت العديد من المسائل السياسية الداخلية والخارجية - وذلك لتعبئة الراى العام وتبصير الشعب والجيش بالظروف السيئة التى كانت تعيشها مصر ويعانى منها كل مصرى .

وكان الهدف الاساسى لهذا التنظيم فى هذه الفترة هو وضع قوة الجيش فى خدمة الشعب لتحقيق أهدافه .

٢ - الفترة من عام ١٩٤٩ وحتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ :

وفى هذه الفترة عاد تنظيمنا « ضباط الجيش » الى نشاطه بمزيد من الحماس بعد كارثة حرب فلسطين وزيادة الوعى بين الضباط واقتناعهم بأن الامل الوحيد هو فى قيام الجيش بتغيير الاوضاع فى البلاد معتمدا على قوته ومستندا على السواد الاعظم من الشعب المغلوب على أمره ، وقد قمنا باختيار اسم جديد للتنظيم وتم ذلك فى أوائل عام ١٩٥٠ تحت اسم « الضباط الاحرار »

ثانيا : المنشورات ..

كان لابد لنا من وسيلة للتعبير عن دوافع الفكرة وتكتيل الضباط حول الحركة وقمنا بمهمة كتابة المنشورات وطبعها وتوزيعها - وقد مرت هذه المهمة فى المراحل التالية :

١ - قامت لجنتنا باعداد المنشورات - واستعانت فى كتابتها على الآلة الكاتبة بالسيد / محمد شوقى عزيز الموظف بمصلحة السكة الحديد - (وهو صديق وزميل للسيد سعد منصور شقيق الملازم جمال منصور) - وقام السيد شوقى عزيز بكتابة هذه المنشورات على

ورق الاستنسل على الآلة الكاتبة وذلك فى المكتب الذى كان يعمل به بعد الظهر وهو مكتب « القطان » المحاسب - بميدان لاطوغلى .

٢ - أما عملية طبع المنشورات فكانت تتم فى البداية فى سطح مبنى مصلحة السكة الحديد بمحطة مصر ، وباستعمال ماكينة الطباعة الخاصة بهذه المصلحة - وكان يشرف على هذه العملية السيد / شوقى عزيز بالتعاون مع أحد السعاة الأميين المسئولين عن طباعة نشرات السكة الحديد نظير أجر للساعى .

٣ - استمرت عملية الكتابة والطبع على هذا الحال منذ بدء الحركة فى عام ١٩٤٥ وحتى نهاية حرب فلسطين .

٤ - قامت اللجنة بشراء ماكينة طباعة « رونيو » من شركة استاندرد ستيشنرى - وتم الشراء باسم السيد محمد شوقى عزيز حتى نتجنب أى شبهات اذا ما تم الشراء باسم أحد أعضاء اللجنة ، وقام بدفع ثمن هذه الآلة السيد سعد منصور شقيق الملازم جمال منصور وكان ثمنها ٣٣ جنيها (ثلاثة وثلاثون جنيها مصريا) دفعها من جيبه الخاص . وكان ذلك فى عام ١٩٥٠ .

٥ - تم ايجار شقة فى أوائل عام ١٩٥٠ فى ضاحية الزيتون وباسم السيد/سعد منصور - لى توضع فيها آلة الطباعة « الرونيو » وليجتمع فيها أعضاء اللجنة للاتفاق على النقاط التى يتضمنها كل منشور على حدة وفى كل مناسبة . وكانت هذه الشقة هى آخر مكان اجتمعت فيه لجنتنا قبل قيام الثورة .

٦ - قامت اللجنة بتسمية الحركة باسم « الضباط الاحرار » وهذه التسمية جاءت من ابتكار هذه اللجنة

٧ - وتم ذلك في الشقة في ضاحية الزيتون وبحضور أعضاء اللجنة التأسيسية والسيد خالد محيي الدين .

٧ - أصدرت اللجنة أول منشور باسم « الضباط الاحرار » وأرسل للصحف وقد تضمن المنشور أول هجوم على الملك وتحذرت عنه كافة الصحف - ونذكر في هذه المناسبة انه بمجرد ظهور هذا المنشور - حضر البكباشي جمال عبد الناصر والتقى بالملازم جمال منصور بمحل شقيقه بحدائق القبة (شارع مصر والسودان حاليا) - وعاتقه مبديا اعجابه وتقديره بما جاء في المنشور وتأثيره العظيم على ضباط الجيش الأمر الذي زاد من تكتلهم حول الفكرة وتمسكهم بضرورة التغيير.

٨ - كانت لجنتنا هي التي تتولى وحدها عملية المنشورات من الكتابة الى الطباعة الى التوزيع - ولكن أرادت المجموعة التي كان يرأسها عبد الناصر - أن تقوم بكتابة بعض المنشورات - وتم كتابة احداها بمعرفتها - الا انه اتجه الى مهاجمة الاشخاص (مثل محمد فريد سكرتير عام وزارة الحربية) - وخرج المنشور المذيل باسم الضباط الاحرار - بعيدا عن المضمون المطلوب .

٩ - ثم حدث اتصال مباشر بين المجموعة التي يرأسها عبد الناصر وتنظيمنا وأظهرت هذه المجموعة تخوفها على ماكينة الرونيو التي كانت في حوزتنا - واحتمال أن يكون بعضنا تحت المراقبة بواسطة البوليس السياسي وعلى ذلك طلب الينا تسليم الماكينة الى قائد السرب حسن ابراهيم - وتم نقل الماكينة من شقة الزيتون في عربة الملازم جمال منصور وتم تسليمها الى حسن ابراهيم في الشارع المجاور لقهوة « سفير » بمصر الجديدة وتم

نقلها بعد ذلك الى منزل الطيار عبد الرحمن عنان .

ونظرا لقلة خبرة هذه المجموعة بطريقة تشغيل ماكينة الطباعة - فكان جمال منصور يذهب كل مرة الى منزل عبد الرحمن عنان في مصر الجديدة لكي يقوم بتشغيل الماكينة وطبع المنشورات التي لم تكن - بكل أسف - على المستوى الذي ظهرت عليه المنشورات في بداية عام ١٩٥٠ والمذيلة باسم الضباط الاحرار .

ومع ذلك فقد استمرت لجنتنا في عملها في استلام المنشورات وتوزيعها كالمعتاد ، وكان يعاوننا في التوزيع السيد / عبد الجواد عبد الحافظ (الموظف بإدارة الذخيرة) ابن عم الملازم سعد عبد الحفيظ .

ثالثا : أهم الاحداث ..

١ - في اوائل عام ١٩٤٧ - التقينا بمجموعة مريبة كان يتولاها اليوزباشي مصطفى كمال صدقي وعن طريق هذا اللقاء - تمكنت السلطات من الكشف عن جانب من أعضاء تنظيمنا وتم القبض على مجموعة من الضباط وصار التحقيق معهم فيما سمي بقضية المؤامرة الكبرى وبين المتهمين الصاغ رشاد مهنا .

٢ - كان من بين المقبوض عليهم - اثنان منا هما : مصطفى نصير ، وعبد الحميد كفاقي - وقد قامت باقى اللجنة (سعد عبد الحفيظ وجمال منصور) باعداد منشور أثناء القبض على هؤلاء الضباط - بفرض احداث وقیعة بين الملك وابراهيم عطا الله - والقاء السخط كله على الفريق عطا الله - وقد جازت الخدعة على الملك ، وتم الافراج عن الضباط المعتقلين والاستغناء عن خدمات ابراهيم عطا الله .

٣ - أعيد الضباط المقبوض عليهم الى القوات المسلحة وتم لقاء بينهم وبين الفريق حيدر باشا - وتمت كذلك لقاءات بين الملك فاروق وضباط الجيش بنادى الضباط حاول فيها الملك اكتساب جانب الضباط وكان ذلك مؤشرا لاحساسه بالخطر .

٤ - تم لقاء بين عبد الحميد كفاى والفريق عثمان المهدي رئيس أركان حرب الجيش وذلك بمكتبه بعد إعادة الاول للخدمة في الجيش .

٥ - في أوائل عام ١٩٥٠ - عبر الصاغ خالد محيى الدين عن اقتناعه بسياسة تنظيمنا الذي كان يفتى كافة الاسلحة - وبعمل هادفا الى تحرير الوطن وتحقيق أمانى الشعب فى الحرية والعدالة الاجتماعية وأوضح لنا خالد محيى الدين أنه يمثل تنظيم من ذوى الرتب الكبيرة وهم يؤمنون بهذه الاهداف - وطلب منا أن يندمج التنظيمان فى تنظيم واحد على أن يكون لكل سلاح خلية رئيسية يتفرع منها خلايا فرعية داخله .

٦ - وافقنا على اندماج التنظيمين : تنظيمنا والمجموعة التى كانت بقيادة عبد الناصر .

وقد قبلنا هذا الاندماج لسببين :

أ - لأهمية وجود رتب كبيرة فى التنظيم .

ب - لتجنب ما نتج عن اعتقال كل من مصطفى نصير وعبد الحميد كفاى (قضية عطا الله - المؤامرة الكبرى) وتعرضهما - وبالتالي باقى لجنتنا للمراقبة اذا ما استمر نشاطنا على مستوى الجيش كله .

وقد عرفنا ان جمال عبد الناصر هو الوجه للتنظيم

الآخر - وتعرفنا على بعض عناصره ومن بينهم حسن ابراهيم ، وكمال الدين حسين ، وعبد الرحمن عنان .

٧ - ونود أن نوضح هنا انه حتى هذا الوقت لم يكن أى من التنظيمين يطلق عليه اسم « الضباط الاحرار » ثم اختارت لجنتنا التأسيسية هذا الاسم وجاءت المنشورات بعد اندماج التنظيمين مذيلة باسم « الضباط الاحرار » .

وقد اندمجت خلايانا في الأسلحة والوحدات المختلفة في التشكيل الجديد واتضح لنا ان التنظيم الآخر كان يتكون من عدد محدود من الضباط من ذوى الرتب الأكبر - ونذكر منهم جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، خالد محيى الدين .

٨ - بعد الاندماج أصبحت لجنتنا هي اللجنة التأسيسية لسلاح الفرسان وتشكلت من عثمان فوزى خالد محيى الدين ، عبد الحميد كفاى ، جمال منصور ، مصطفى نصير ، سعد عبد الحفيظ ، وقمنا بالتوسع في تجنيد ضباط الفرسان وتشكيلهم في خلايا حسب وحداتهم ومتابعة نشاطهم والاشراف على برامج تثقيفهم سياسيا .

٩ - اقترحنا على التنظيم ضرورة تحديد وبلورة الاهداف السياسية للحركة وقمنا بوضع هذه الاهداف في صيغة مبادئ للثورة - وتمت مراجعتها ووضعها في صيغتها النهائية ، وكان ذلك في منزل الصاغ عثمان فوزى وكانت هذه المبادئ التى وضعتها لجنتنا هي نفسها مبادئ الثورة الستة التى جاءت في كتاب « فلسفة الثورة » .

١. - عندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .
عين اليوزباشى مدرعات عبد العزيز صادق مندوبا
للقيادة في وزارة الداخلية - وقد عثر في مكتب اللواء
محمد ابراهيم امام مدير البوليس السياسى - على كشف
به أسماء ثلاثة عشر ضابطا مطلوب القبض عليهم في خلال
٢٤ ساعة - وكان على رأس القائمة اسماء اعضاء
لجنتنا : مصطفى نصير ، عبد الحميد كفاى ، جمال
منصور ، سعد عبد الحفيظ . وقد قام عبد العزيز
صادق بتسليم هذا الكشف الى البكباشى جمال عبد
الناصر .

ولقد علمنا - بعد ذلك - ان امر القبض على هؤلاء
الضباط - كان قد تسرب الى علم جمال عبد الناصر
مما دعا الى الاسراع بالبدء بالثورة .

رابعا : الاتصال بالاحزاب والهيئات ..

قامت لجنتنا منذ بدء نشاطها - بالاتصال بالاحزاب
الثورية في البلاد بأمل التعاون معها لايجاد نوع من التجمع
الوطنى يلتقى فيه قوة الجيش مع الشعب .

١ - في خلال عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ نشطت مظاهرات
الطلبة والعمال ضد الانجليز وضد احزاب الاقلية -
وأخذت جماعة الاخوان المسلمين في ممارسة نشاطها في
الجيش وانضم اليها مجموعات من الضباط وكان يقوم
تجمعهم ويدير جلساتهم في تدارس الدين وشرح آيات
القرآن - الصاغ المتقاعد محمود لبيب - وقد حدث
اتصال بين عبد الحميد كفاى ومصطفى نصير وسعد
عبد الحفيظ من جهة ، والصاغ لبيب من جهة أخرى
- كما تمت لقاءات مع المرشد العام حسن البنا ونشطت

لجنتنا في العمل على احتواء مجموعات الضباط التي كان قد كونها الصاغ محمود لبيب .

٢ - حدث اتصال غير مباشر بيننا وبين أحد أعضاء حزب « حدثو » (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني) وكان ذلك بسبب تعطل ماكينة الرونيو التي كنا نطبع عليها المنشورات - فقدم إلينا الصاغ خالد محيي الدين - القاضي احمد فؤاد (مدير بنك مصر حاليا) - وكان عضوا في حزب حدثو - وتطوع السيد فؤاد بالقيام بطبع أحد المنشورات التي كنا قد سبق أن أعدناها - وسلمنا كل النسخ - وتم توزيعها بمعرفتنا .

٣ - حدث اتصال مباشر بيننا وبين الحزب الاشتراكي (احمد حسين) وتم التعاون معه في مجالات العمل الفدائي في قنال السويس .

خامسا : العمل الفدائي :

١ - قامت لجنتنا بتدريب بعض الافراد على الاعمال الفدائية وكان التدريب على الاسلحة الصغيرة بطريقة نظرية في الشقة في ضاحية الزيتون - ثم التدريب العملي في منطقة المقابر لاستخدام الاسلحة والقنابل اليدوية بطريقة عملية وبالدخيرة الحية - وكنا نحصل على الاسلحة من مركز التدريب الجامعي حيث كان يعمل الملازم جمال منصور - أما القنابل اليدوية والدخيرة ، فكنا نحصل عليها من الاسلحة المختلفة بواسطة الضباط المتعاونين مع الحركة .

٢ - قام بعضنا بأعمال فدائية ضد القوات الانجليزية في منطقة القنال - وتم مهاجمة معسكر التل الكبير ، ونسف السكة الحديد أمام بداية المعسكر - وقد صدر

بتلك العملية بيان من محطة الاذاعة البريطانية في لندن :

وقد ترتب على ذلك ان قامت القوات البريطانية وقتها باحتلال التل الكبير حتى تحد من العمليات الفدائية - وقامت مجموعات من شباب الجامعة بالتطوع في العمل الفدائي في منطقة القنال تحت قيادة أعضاء اللجنة .

٣ - قمنا بتجنيد مجموعة من الشباب المتحمس للتدريب على عملية تفجير سفينة بواسطة لغم بحري أثناء عبورها في قنال السويس - وعرفت هذه العملية فيما بعد باسم « التيتل » .

وتم اتصال بأحد الشبان من خريجى كلية الهندسة واسمه « الشايب » وكان يسكن أمام قصر عابدين - وطلبنا منه تجهيز اللغم البحري المطلوب تفجيره وعمل كل توصيلاته الكهربائية لامكان تفجيره من على شاطئ القنال .

٤ - تم تدريب مجموعة فدائية من ثمانية من الشباب للقيام بهذه العملية الجريئة وكان التدريب عليها لعدة أسابيع - في نهر النيل بالقرب من الحوامدية في أواخر عام ١٩٥١ .

٥ - قام جمال منصور ، وعبد الحميد كفاى بالسفر الى منطقة القنال لرسم المنطقة وتحديد المكان المناسب لوضع اللغم البحري - وقد قام الزميلان ومعهما السيد صلاح منصور شقيق الملاح جمال منصور - قاموا جميعا بالسفر الى منطقة رأس العش عن طريق بحيرة المنزلة بمركب شراعى - وتم رسم المنطقة وتحديد المكان الانسب للقيام بالعملية وكان الغرض منها هو تفجير

اللفم البحرى لتعطيل القنال - وغلقها - امعانا فى تحدى
انجلترا التى كانت تدعى ان وجودها هناك كان لحماية
الملاحة فى القنال .

سادسا : أحداث قبل الثورة مباشرة ..

- ١ - قام الملازم جمال منصور ، والملازم سعد عبد
الحفيظ بتحرير وتوزيع آخر منشور تمت كتابته قبل
قيام الثورة بعدة أيام تحت عنوان : « هدية العيد » .
- ٢ - علم البكباشى جمال عبد الناصر بخبر تركيز
المخابرات العسكرية والبوليس السياسى - الاضواء على
أعضاء اللجنة التأسيسية لسلاح الفرسان - فأرسل الى
كل من عبد الحميد كفاى ، ومصطفى نصير ، وجمال
منصور ، بذلك الخبر راجيا منهم ان تتوقف لجنتنا عن
النشاط والابتعاد عن أى اتصالات أو اجتماعات حرصا
على امن الحركة كلها .

٣ - طلب خالد محيى الدين من الملازم جمال منصور
أن يبلغ أعضاء اللجنة أن يتوقفوا عن أى نشاط والغاء
كافة الاجتماعات حيث ان جهات الامن فى الدولة قد
وضعت هذه الجماعة تحت الرقابة الشديدة - كما تم
هذا التبليغ الى مصطفى نصير عن طريق ابن عمه محمد
عبد الرحمن نصير بتكليف من جمال عبد الناصر .

٤ - سافر عبد الحميد كفاى ، ومصطفى نصير الى
الاسكندرية فى اجازة - وابتعد باقى الاعضاء الى أن
قامت الثورة فى ٢٣ يوليو - فعاد الجميع الى القاهرة
للعمل على تأمين الثورة وحمايتها .

سابعاً : أحداث بعد الثورة . .

١ - بعد مرور حوالي أسبوع على قيام الثورة - طلب جمال عبد الناصر أن يجتمع به الزميل عبد الحميد كفاي في مكتبه بالقيادة - واقترح الأخير عقد لقاءات دورية يحضرها كل من مصطفى نصير ، وجمال منصور ، وسعد عبد الحفيظ - وقد تم عدد من هذه اللقاءات وكانت المناقشات حول خط سير الثورة وكيفية المحافظة عليها وتأمينها وخطة الثورة في اصلاح الجيش وموقفها من رجال الحكم السابقين وطريق الحكم الذي يضمن تطبيق المبادئ التي قامت من أجلها الثورة .

٢ - في ١٧/٨/١٩٥٢ - تقدم أعضاء اللجنة التأسيسية في سلاح الفرسان بطلب الى القائد العام (اللواء محمد نجيب) يتضمن ما يلي :

أ - تنظيم هيئة الضباط الاحرار وتكوين رئاسة لها بالانتخاب من بين مندوبين الاسلحة وتتبع رئاسة القوات مباشرة - على ان تعتبر هذه الهيئة في مجموعها كبرلمان تناقش فيه الآراء والمقترحات في كل ما يخص الجيش والبلاد .

ب - توزيع ونشر مبادئ الضباط الاحرار - على كافة ضباط الجيش حتى تكون دستورهم في العمل لا يحيدون عنه .

٣ - لم يجد هذا الطلب استجابة من القيادة - ولم يمض وقت طويل حتى صدر قرار بالغاء تنظيم الضباط الاحرار باعتبار انه قد استنفذ أغراضه - ونتيجة لذلك أحس « الضباط الاحرار » بأبعادهم عن مهامهم الثورية واقتلاع جذورهم من الارض التي أنبتوا فيها بذور

الثورة وان أمر الثورة أصبح مشروكا بين يدي القيادة ولا يعنى أى فرد من تنظيم الضباط الاحرار .

٤ - كان لهذا الاجراء - رد فعل قوى - أدى الى تجمع الضباط الاحرار - وزيادة تشبثهم بتنظيمهم - فلم يكن مستقبل البلاد والجهد المبذول فى سبيل انجاح الثورة ليترك بهذه البساطة دون ما رقابة أو حساب - لقد كانت الامانة التى حملناها طيلة سنين الاعداد للثورة تستوجب منا أن نكافح فى تلك المرحلة اللاحقة للحفاظ على مكاسب الثورة وتوجيهها لخدمة الشعب .

٥ - ولقد حرصنا على العلاقة الودية التى نشأت بيننا وبين عبد الناصر خلال العمل السرى قبل حدوث الثورة - وهذا ما حدا بنا الى الابتعاد عن أى مظهر يوحى بالانشقاق أو التمرد فى صفوف الثورة - ولم يتعد الأمر من جانبنا سوى الاجتماع والمناقشة وابداء الراى حفاظا منا على أن تسير الثورة على طريقها القويم لتحقيق الاهداف التى قامت من أجلها .

٦ - ورغم صدور هذا القرار - صمم الضباط الاحرار على بقاء تنظيمهم وبدأت عملية أخرى لتنظيم لجان الضباط الاحرار عن طريق الانتخاب على أساس انشاء لجان جديدة تضم الضباط الاحرار وغيرهم من الصالحين وان لم يكونوا قد اشتركوا فى الثورة - وقد تم هذا فى أسلحة الفرسان والمدفعية والمشاة وسميت اللجان المركزية للأسلحة .

٧ - وقد كان طبيعيا أن يتم انتخاب كل أعضاء لجنتنا نظرا لما كانت تتمتع به من شعبية وقدرة عظيمة

على التأثير في مجموعة الضباط سواء في سلاح الفرسان أو باقى الاسلحه .

٨ - تم ابلاغ القيادة بتكوين هذه اللجان الجديدة - وقد كان رد الفعل هو صدور قرار بنقل كل من عبد الحميد كفاى ، ومصطفى نصير ، وجمال منصور خارج سلاح الفرسان والى وحدات غير مقاتلة - ولكن الضباط الاحرار اصرروا على بقائنا فى مراكزنا حتى يتم ايضاح اسباب هذا النقل .

٩ - فى اواخر سبتمبر عام ١٩٥٢ - طلب جمال عبد الناصر عقد اجتماع يحضره كافة الضباط الاحرار ، فى سلاح الفرسان لمناقشة كفاى ، ونصير ، وجمال منصور، وسعد عبد الحفيظ - امام باقى الضباط لوضع حد لهذا الموقف وكان الاجتماع فى ميس سلاح الفرسان ، وحضره عبد الناصر، وحسين الشافعى ، وكل من كفاى، ونصير - ولم يتمكن جمال عبد الناصر من كسب جانب الضباط الى وجهة نظره فكان هذا تعبيرا واضحا عن تمسك الضباط الاحرار بلجنتنا وتأكيدا لما كانت تتمتع به من شعبية عظيمة وقدرة على التأثير .

١٠ - ازاء هذا الموقف - طلب عبد الناصر من كفاى ونصير أن ينفذا قرار النقل بشكل صورى حفاظا على هيبة القيادة لدى باقى الاسلحه - وأقسم بأنه سوف يعيد كفاى ونصير الى سلاح الفرسان بعد بضعة أيام .

١١ - تم نقل كفاى الى الواحات البحرية - ونصير الى الحدود على طريق مصر الاسكندرية - وجمال منصور الى التدريب الجامعى - أما سعد عبد الحفيظ فقد عرض عليه أن يعمل ضابطا للاتصال بوزارة الداخلية - فلما أصر على البقاء فى الفرسان - صدر أمر نقله الى

السلاح البحري ثم تم القبض عليه كما سيأتى ذكره فيما
فيما بعد .

١٢ - وتصادف في هذه المرحلة - أن قام أحد
الضباط بكباشى حسنى الدمنهورى « مشاة » قام
بالتحدث علنا مع الضباط في سلاح الفرسان منتقدا
الأوضاع والطريق الذى تسير عليه الثورة - وما كان من
القيادة إلا أن أصدرت قرارا بالقبض عليه - وكذا
مجموعة أخرى من الضباط وأودعوا جميعا بسجن
الأجانب وكان من بينهم الزميل سعد عبد الحفيظ -
وكذا محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت من سلاح
المدفعية - وقد حوكم الضباط بأحكام مختلفة وكان
الفرض من هذه المحاكمة هو التخويف وتكميم الأفواه .

١٣ - بعد محاكمة الضباط في مؤامرة الدمنهورى -
تم إلغاء اللجان المركزية وتشتيت الضباط الأحرار حتى
يخلو الميدان من أى معارضين - ولكن ظلت الآثار السيئة
لهذا الإجراء كامنة في نفوس الضباط الأحرار .

١٤ - تمت اقالة محمد نجيب كرئيس للجمهورية
بدون أى مقدمات أو أى تحضير ذهنى للضباط أو
للشعب - وأحدث هذا الإجراء رد فعل عنيف فى صفوف
الشعب والجيش - وتم اجتماع فى ميس سلاح الفرسان
وطالب الضباط بالديمقراطية وعودة الحياة النيابية
للبلاد على أن يقتصر دور القيادة على معاونة ومراقبة
سير الحياة النيابية حتى تأخذ مجراها الطبيعى ويبتعد
الجيش عن الحكم .

١٥ - وقد كان هذا الموقف الحازم الذى وقفه
ضباط الجيش فى سلاح الفرسان - أزاء « أحداث

مارس ١٩٥٤ « هو استمرار للعمل الثوري الذي نبت مع الفكرة التي حملتها لجنتنا منذ بدء الاعداد والتمهيد للثورة .

١٦ - تظاهر عبد الناصر في هذا الاجتماع بالموافقة على عودة الحياة النيابية - واقترح خالد محيي الدين رئيسا للوزارة لفترة مؤقتة يقوم خلالها بالتمهيد للعودة بالبلاد الى الحياة الديمقراطية - واتفق على أن يذهب خالد في اليوم التالي الى القيادة ليتلقى هذا التكليف منها - وعند وصوله قوبل بمظاهرة عدائية عنيفة وتم الاعتداء عليه بالضرب بواسطة كمال رفعت وأحمد أنور - وطرد من القيادة ثم تم نفيه الى سويسرا - واعتقل عدد كبير من الضباط .

١٧ - ولعل وضوح قوة لجنتنا التأسيسية للضباط الاحرار - ومدى شعبيتها وقدرتها على التأثير في صفوف الجيش - أثارت الانتباه الى ازاحتها عن مدار الثورة - وزاد الاقتناع بالتخلص منها حينما أصرت هذه اللجنة على استمرار وتعزيز تنظيم الضباط الاحرار كضمان لحماية الثورة في تحقيق اهدافها وحين حرصت على أن يتم اعلان مبادئ الثورة ونشرها للالتزام بها في كل خطوة تخطوها الثورة - وحين طالبت بعودة الحياة النيابية ونيل الحكم الفردي .

١٨ - ولقد لجأ بعض أعضاء القيادة الى احاطة أنفسهم بكثير من الانتصار والاتباع مما أدى الى توسيع دائرة الاختصاص والهيمنة على مؤسسات الدولة - ومن هنا نشأت مراكز القوى وتحول الجيش الى مؤسسة سياسية وانصرف عن أداء أهم واجباته العسكرية - فكان فشل حرب اليمن ونكسة ١٩٦٧ .

خاتمة :

١ - مع اقتناعنا بوجود حركات وطنية سبقت حركة الضباط الأحرار أو واكبتها - إلا أن ما سبق سرده يوضح بصورة جلية - أن لجنتنا في مرحلتها قامت بمجهود أساسي في سبيل التمهيد للثورة وسارت على طريق الإعداد لها فقطعت معظم الطريق أن لم يكن كله :

(أ) فقد حملت لجنتنا الفكرة منذ بدايتها - وعملت على تكتيل الضباط حولها وتنبيه الرأي العام في البلاد من أجل نجاحها .

(ب) وتولت كتابة المنشورات وطبعها وتوزيعها .

(ج) واشترت آلة الطباعة « الرونيو » لتأمين عملية الطبع .

(د) واسمت الحركة باسم « الضباط الأحرار » .

(هـ) وضعت لجنتنا مبادئ الثورة الستة كما جاءت تماما في كتاب فلسفة الثورة .

(و) وقامت بنصيبها في العمل الفدائي ضد قوات الاحتلال البريطاني .

٢ - ويجب أن نوضح أن لجنتنا كانت تنظيما أساسيا قائما بذاته - وقد جند حوله لجان فرعية في جميع أسلحة الجيش - وكان هذا التنظيم وما قام به من أعمال في فترة الإعداد - هو الأساس الذي قامت عليه الثورة .

٣ - ولقد كان اللقاء في عام ١٩٥٠ بين تنظيمنا والتنظيم الذي كان بقيادة جمال عبد الناصر يعنى اندماجنا بين التنظيمين - ولكنه لم يعن بآية حال قيام قيادة أو إشراف من قبل التنظيم الآخر على تنظيمنا

وفروعه - ونشهد بأن تنظيمنا لم يكن له في يوم ما اى
تطلعات رئاسية .

٤ - ونود أن نوضح أن اللجنة التأسيسية لسلاح
الفرسان كانت قد اجتمعت في أغسطس ١٩٥٢ لى تبدأ
فى تسجيل أحداث ما قبل الثورة وفترة الاعداد لها -
وكان علينا أن نبلغ مجلس الثورة بذلك ووافق المجلس
على البدء فى هذا التسجيل - ولكن لم تمض أيام ثلاثة
حتى جاءنا السيد خالد محيى الدين - ليبلغنا بأن
المجلس يريد أن يطلع أولا بأول على ما نكتبه ووافقنا
على ذلك ووافقنا المجلس بكل ما سجلناه منذ البداية
- ولكن جاءنا نفس الرسول بعد ذلك ليحمل الينا قرارا
من مجلس الثورة بوقف الكتابة فى هذا الموضوع حتى
لا تحدث بلبلة فى النفوس خاصة وأن الثورة كانت تعيش
ربيعها الاول .

ونعترف بأننا لم تكن سعداء بهذا القرار - ولكننا
قبلناه وفاء منا للرابطة الاخوية والقومية التى كانت
تربطنا ببعض اعضاء المجلس منذ ان كنا نعمل سويا فى
ظلام الليل قبيل فجر الثورة وتفجيرها .

لذلك نقول ان هذا الفصل من تاريخ الثورة - كاد ان
يجد طريقه على صفحات التاريخ فور نجاح الثورة لولا
ما حدث .

٥ - وقد كان امرا حسنا أن يطلب منا أخيرا - أن
نعود بالذاكرة الى ما يقرب من ربع قرن مضى لى نسرّد
وقائع التاريخ بعد أن ظلت حبيسة فى النفوس مغلقة فى
الصدور طيلة هذه الفترة - وبذلك تكون قد سجلنا
سطور الحق وصورنا الاحداث صادقة لى تشع فى

تاريخنا لمحّة النور التي كادت تخبو أو تنطفى .

٦ - وأخيرا نقول :

لقد أخطأ من قال « الثورة كانت خبطة عشوائية وقعت بين ظلام الليل وفجر النهار أو مقاومة عفوائية حدثت تحت أجنحة الظلام ساعة غياب الحاكم :

ولكننا نقول - ونحن من روادها - ان الثورة كانت فكرة جامحة بين الطلائع وكان نجاحها مرتبطا بجدية التمهيد والاعداد لها - والعمل في حرص ومثابرة وسكون - ونشهد بأن فترة التمهيد والاعداد كانت جهدا وعرقا ومخاطرة - عاشتها طلائع مصر من شبابها وضباطها - وقامت لجنتنا في هذه الفترة بدور أساسى وفعال منذ عام ١٩٤٥ - وتخطت الصعاب ومهدت السبيل الى أن تحقق الأمل وظهر مع الفجر ... في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . مع وافر الاحترام ..

توقيع :

عبد الحميد كفاوى - مصطفى نصير -
جمال الدين منصور - سعد عبد الحفيظ

واجبات المدرعات

وقبل ليلة الثورة نسق الرئيس الراحل مع عبد الفتاح على أحمد لى يتولى أركان حرب المدرعات ، ومع خالد محيى الدين ومع ثروت عكاشة ومع حسين الشافعى ومع ضباط آخرين من أسلحة أخرى لى يعملوا مع المدرعات مثل كمال رفعت ، ومجدى حسنين ، وحين عاد الرئيس أنور السادات الى القاهرة

قام ببعض مهامه مع مجموعة من المدرعات فجر ٢٣ يوليو .
وكانت واجبات المدرعات ليلة الثورة كما جاءت بخطة
التحرك وكما طبقت بعد ذلك هي :

ـ احتلال رئاسة الجيش ، وقصد سبقت قوات
البكباشى يوسف صديق قائدا للكتيبة الاولى مدافع
ماكينة قادمة من هاكستب ـ ثوار المدرعات وقوات
يوسف صديق ـ وهى القوات التى جاءت مبكرة عن
موعدھا ساعتين وأنقذت الثورة من الفشل ، كما سيأتى
شرحه فى فصل قادم . وقد حدث تعاون والتحام بينهما
بعد وصول أحرار الفرسان وسيطرة أحرار مدافع
الماكينة على القيادة واحتلالها .

ـ تأمين مداخل كوبرى القبة والعباسية باعتبارها
مناطق عسكرية تضم القيادات العليا لاسلحة الجيش ،
وذلك بالتعاون مع وحدات المدفعية وأحرارها من
الضباط بقيادة كمال الدين حسين .

ـ احتلال اذاعة القاهرة ومحطات الارسال .

ـ معاونة جماعات الاعتقال فى القبض على قادة الجيش
من رجال الملك .

واشترك ليلة الثورة كل من :

ـ الاى الخامس سيارات مدرعة .

ـ الاى الثالث دبابات .

ـ الكتيبة الميكانيكية .

ـ أساس الفرسان وقد قام الضباط والجنود من

هذا الأساس بدورهم كقوات مشاة للمدرعات .

ـ الاى استطلاع من المدرعات ، وساهم فى القبض

على القادة القدامى بأشراف كمال رفعت .

بـ الآلى الخامس فرسان وكان على رأس أحرار المدرعات فى التحرك الى الاسكندرية يوم ٢٥ يوليو ومحاصرة رأس التين صباح اليوم التالى مع قوات المشاة والمدفعية الساحلية تحت حماية الطيران ، وبالإشتراك مع عناصر من البحرية .

وقد روى لى « السيد عبد الفتاح على أحمد » انه كان كأركان حرب السلاح ليلة الثورة مسئولاً عن تجهيز الوحدات للتحرك وامتدادها بالذخيرة ، وقد نسق معنا السيد الرئيس السادات بعد الواحدة صباحاً للسيطرة على الاذاعة فطلب من الزميل مجدى حسنين أن يقود تروب استطلاع من المدرعات للتوجه الى أبى زعبل وتأمين منطقة الارسل ولحقت بهم قبل أول ضوء ، ثم قام السادات مع آلى استطلاع من المدرعات أيضاً ، وكان معه قوة بقيادة ملازم أول محمود حجازى وملازم ثان فكرى بطاح للسيطرة على وزارة الداخلية ، ومديرية الأمن والقبض على قادة البوليس السياسى الملكى وتأمين شبكات اللاسلكى المدنية فى أنحاء العاصمة ، وكذلك مصلحة التليفونات .

وعندما تحركت وحدات المدرعات الى الاسكندرية سبقها كل من الرئيس السادات وحسين الشافعى والمرحوم يوسف صديق للتعاون فى تنفيذ الخطة التى وضعها زكريا محيى الدين وأشرف عليها حتى يتم طرد الملك ، وقد أسند الرئيس الراحل قيادة هذه المهمة ميدانياً للبكباشى مدفعية م - ط عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، وعاونته بكباشى عبد المنعم عبد الرؤوف الذى ظهر فجأة بعد أن قطع وصلاته

بالضباط الأحرار في بداية عام ١٩٥٢ ، لرفضهم الارتباط
بالإخوان المسلمين الذين ينتمى اليهم عبد المنعم
عبد الرؤوف منذ الأربعينات ومنذ كان طيارا بسلاح
الطيران ، ومحاكمته بتهمة الهرب الى الالمان أثناء
الحرب العالمية الثانية مع الفريق عزيز المصري باشا ،
ومعهما زميله الطيار حسين ذو الفقار صبرى ، ثم اعادته
للجيش ضابطا بالمشاة مبعدا تماما عن الطيران ، وقد
فر عبد المنعم عبد الرؤوف الى السعودية عام ١٩٥٤ ،
وصدر الحكم غيابيا باعدامه ، ولم يعد الى الوطن الا
عام ١٩٧٢ .

يوسف صديق والخطأ الذي أنقذ ثورة يوليو

قال عنه توار يوليو في الأيام الأولى للثورة انه أسطورة ، وكانوا يشيرون الى دوره ليلة الثورة بالاكبار والاعجاب والتقدير ، ويتحدثون عن جسارته وجراته واقدامه ، تلك الصفات التي ظل يتمتع بها حتى لحظاته الأخيرة ، والتي كانت عاملا هاما خلف نجاح الثورة .

انه بكباشي المشاة ، والثائر القديم ، وبطل يوليو ، يوسف منصور صديق ، قصة مثيرة من قصص ثورة يوليو الخالدة ، وخلفياتها الأكثر اثارة .

ولقد عرفت المرحوم يوسف منصور صديق في يونيو ١٩٥٢ بعد قيام الثورة ، وكنت حريصا على زيارته في نهاية عام ١٩٧٠ ، وأسعدني الحظ بلقائه أكثر من مرة عام ١٩٧١ ، ودار بيننا حوار صريح ، لم يسمح لي بنشره الا في يوليو ١٩٧٢ ، وقد تعرض أكثر مما اتفقنا على نشره للحذف والشطب والتأجيل .

ان نجاح الثورة مدين لخطأ تاريخي صغير ارتكبه المرحوم يوسف صديق ، فقد تردد بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ان يوسف صديق ورجاله تحركوا قبل منتصف الليل ، ليلة ٢٣ يوليو الى منطقة كوبري القبة للمعاونة في احتلال مبنى رئاسة الجيش - وكان الواجب

الرئيسى فى هذه المنطقة من نصيب الكتيبة ١٣ مشاة بقيادة العقيد أحمد شوقى ، والصاغ صلاح نصر ، وجاء يوسف صديق قبل مواعده بساعتين وقيل ثلاث ساعات ليجد قادة الملك قد اجتمعوا فى مبنى القيادة أو رئاسة الجيش بعد ان علموا بنبا تحريك الثوار ، تجمعوا واتخذوا قراراتهم وهموا بمغادرة المبنى لضرب الحركة بتحريك مضاد حين فاجأهم يوسف صديق فقبض على بعضهم فى الطريق وقبض على رئيس الاركان المرحوم حسين فريد باشا داخل مكتبه . . . وهى قصة سيأتى ذكرها بالتفاصيل عبر الحوار معه . . لكن ما يهمنا هو لماذا قام يوسف صديق بالتحرك مبكرا عن مواعده ساعتين أو ثلاث ساعات ؟

هل لان اليوزباشى زغلول عبد الرحمن رسول عبد الناصر اليه ، أبلغه خطأ بالموعد . . كما قال الرئيس عبد الناصر ذات يوم ، وكما ردد يوسف صديق نفسه بعد ذلك ؟

أم أن هناك سرا لم يدع بعد ؟

لقد تردد هذا السر همسا خلال الاسابيع الاولى للثورة ، وسمحت لنفسى أن أسنعيده أمام المرحوم يوسف صديق عام ١٩٧١ .

قيل أن يوسف صديق كان قد تناول نصف بطيخة مثاجة ظهر يوم ٢٢ يوليو داخل معسكره بالهاكستب ، وهى منطقة عسكرية فى نهاية مصر الجديدة على طريق السويس ، وانه كان يحتفظ لديه بزجاجة صغيرة بها كأسين من البراندى ، فتناولهما لايقاف بعض الآلام التى شعر بها فى أمعائه ، لكنه ما لبث أن وجد نفسه فى حاجة ماسة الى قليل جديد من البراندى ، فتحرك مبكرا ،

وغادر منطقته العسكرية في الحادية عشر مساء بدلا من الواحدة بعد منتصف الليل ، وقضى وقتا طويلا داخل « بار محل بالميرا بمصر الجديدة » منتظرا وصول الكتيبة ١٣ مشاة التي ستقوم بالواجب الرئيسى فى منطقة كوبرى القبة ، ولكنها لم تصل ، حتى نهاية القصة التى نقرأها فوق الصفحات القادمة .

ولقد قلت للمرحوم يوسف صديق وهو يستمع لى ضاحكا :

— « ان كاسين من الخمر أنقذا الثورة ، وهذا لايعيب الثورات ، فكم من الاخطاء الصغيرة أنقذت أعمالا تاريخية كبيرة .. »

واتسعت ضحكة المرحوم يوسف منصور صديق قائلا :

— حتى لو صدقت هذه القصة فما هو الضرر ؟

لقد أنقذت بواسطة رجالى الشجعان ثورتنا من الفشل ، وأبعدت جبل المشنقة عن رقاب زملائى ثوار يوليو ، والفضل كله يعود الى تحركى أو تحركنا نحن ثوار الكتيبة الاولى مدافع ماكينة قبل موعدا بثلاث ساعات أو ساعتين ، لا اذكر الآن بالتحديد كم كان فارق الوقت ..

وفى لقاء آخر ، وحول هذا الموضوع ، دار حوار جديد معه ، وقد صحح لى القصة قائلا :

— اننى أؤمن بالانضباط ، ولم أكن أتحرك لآى سبب على الاطلاق قبل الموعد المحدد لى حسب الخطة ، وأنا أعلم أننا نتحرك لتغيير وجه التاريخ فى البلد ، لاسقاط النظام الملكى وطررد قوات الاحتلال الاجنبى ، وهو عمل

ضخم يحتاج في الدرجة الأولى للانضباط والدقة والتفطية الكاملة .. فاذا افترضنا أن بعض الضباط من عيون الملك شاهدوا تحركي وأنا أغادر هاكستب قبل موعدى ، هل كانوا سيكتفون بالمشاهدة ، أم بالعمل والتحرك المضاد ؟!

لقد قيل بين ما قيل الى جانب قصة البراندى أن يوسف منصور صديق خرج مبكرا عن مواعده بساعتين حتى يلحق باحدى الصيدليات يتناول فيها حقنة مضادة للنزيف الذى أصيب به قبل الثورة بفترة طويلة ، وأنه أى أنا أصبت به نهار الاستعداد للثورة ، نهار ٢٢ يوليو .. وكل هذا حدث فعلا ، لكننى لم أتحرك مبكرا من أجل الصيدلية ، ولا من أجل اللحاق بالبار .. لقد تحركت مبكرا تنفيذا للموعد الذى حددته لى اليوزباشى مشاة زغلول عبد الرحمن رسول عبد الناصر لى ، وحين وصلت مصر الجديدة لم أجد الكتيبة ١٣ مشاة كما هو متفق عليه من قبل ، فأخفيت قواتى فى شارع جانبى فى نهاية منطقة الكربة وعرجت على بار بالميرا وتناولت كأسين من البراندى ثم عدت الى قواتى لأجد عبد الناصر وعبد الحكيم مقبوضا عليهما بواسطة الملازم ثان محمد أحمد غنيم ، أحد ضباطى .. فأفرجت عنهما .. ثم بقية القصة التى رويتها لك .

وها هى القصة بالكامل أرويها للحقيقة والتاريخ ، قصة الكتيبة الأولى مشاة بنادق وقائدها المرحوم بكباشى يوسف منصور صديق والذى كان يرافق الرئيس الراحل فى أكثر زياراته لدول العالم سرا ولم يكن هذا مسموحا بإذاعته أو نشره ، وقيل تبريرا فى هذه الرقعة الاجبارية ، أن الرئيس الراحل كان يخشى تحرك يوسف

صديق ، وضعف بعض الضباط من ابنائه ، وأنه قد
ينجح في القيام بانقلاب سريع يطيح بالثورة ، وقيل أيضا
أن الرئيس الراحل كان متألما لفرض وتحديد الإقامة
على يوسف صديق داخل بيته وعزله عن أصدقائه ،
وأنه كان يرفه عنه باصطحابه معه خلال جولاته وزياراته
العالية .. وهذا التفسير أقرب الى التصديق والمنطق .

قالوا عنى « اننى ملحد » فذهبت الى قبر الرسول ،
وساعدنى الرئيس السادات فى الحج الى بيت الله برفقة
زوجتى وأولادى .

قالوا عنى اننى يسارى ، فعلمت أولادى دروس
القرآن الكريم وحرصت على أن يحفظوا آياته .

حاولوا أن يقنعوا الجماهير بأننى ساهمت فى ثورة ٢٣
يوليو لغير خدمة مصر ، فكتبت مذكراتى للحقيقة
وللتاريخ .

لقد قدر للبكباشى نائل المشاة يوسف صديق أن
يتوارى خلف الستار زمنا طويلا حتى صعدت روحه الى
رحاب الله .. وحين كتبوا عنه انحرفوا بتاريخه بين
سطور كتاباتهم ، واستغل البعض فترة عاشها الرجل
متأرجحا باحثا عن الحقيقة ، فنسج قصصا تخدم أهدافا
أخرى بعيدة تماما عن حياة وفكر وعطاء وتاريخ البطل
العملاق المرحوم العقيد يوسف صديق . الرجل الذى
ارتكب خطأ صغيرا ليلة ٢٣ يوليو فأنقذ الثورة ، وغير
مجرى التاريخ فى المنطقة العربية والافريقية من العالم .
كل من ذهب الى مجلس قيادة الثورة بكوبرى القبة -
مقر وزارة الحربية الآن - خلال الايام القليلة التى تلت
٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كان بالضرورة سيتوقف بالتأمل فى

شخصيات جيسل الشباب من الثوار الضباط وفي مقدمتهم البطل الثائر الراحل المغفور له العقيد يوسف صديق ، لما فيه من شخصية قيادية مهيمنة . وسلوك رفيع ونضج ، وقدر كبير من الوضوح والثقة والصراحة والجرأة ، الى جانب التفاف عدد كبير من صفار الضباط حوله ، وقد ظلوا دائما معه رغم التباعد والتمزق الذي عانوه ، حتى صعدت روحه الى الخالق عز وجل في الثانية من صباح ٣١ مارس ١٩٧٥ .

وفي الأسبوع الأخير من يوليو ١٩٥٢ ، كان عدد كبير من الضباط الاحرار الذين تواجدوا في مجلس قيادة الثورة ، قد أخذ يتحدث في تفاصيل ليلة الحركة ، وعرف الصحفيون الذين ذهبوا اليهم «وكنتم أصغرهم» ان عددا ليس بقليل من خلايا التنظيم تقاعسوا في اللحظة الأخيرة ، وتمارضوا أو اختفوا ، بل ان بعضهم اعترف في جرأة بجبنه وخوفه ، كما عرفوا ان عددا كبيرا ممن لم ينضم قبلا الى التنظيم قد خرجوا مع الثوار حين تبينوا الهدف ، وكانوا يحكم مهامهم داخل وحداتهم ليلة ٢٣ يوليو .

وثمة أسرار كثيرة مرتبطة بتلك الليلة المحفورة في تاريخ وطننا لم تدع حتى الآن غير ان أهمها وأبرزها ما اتصل بالمرحوم العقيد يوسف صديق . فقد وصفه الضباط الاحرار بأنه منقذ الثورة حين تعرضت لشبه نكسة قبل العاشرة من مساء ليلة خروج الوحدات العسكرية الثائرة الى قلب القاهرة .

وفي سبتمبر ١٩٥٢ ، أجريت حديثا صحفيا مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وكان ضابطا عاديا

بين أعضاء مجلس الثورة ، وسأله صراحة ما رددته الضباط الثوار عن « البكباشي يوسف صديق » فأيده بالتفصيل . . إلا أن هذا الحديث الصحفي لم يكتب له النشر الكامل فقد حذفت الرقابة الجزء الخاص بالكتيبة الأولى مدافع ماكينة ، وهي كتيبة يوسف صديق .

وفي عام ١٩٧١ . أخذت أبحث عن الضباط الأحرار ، وقد التقيت بأكثر من مائة ، وكان من بينهم بطبيعة الحال بطلنا الراحل العقيد يوسف صديق رحمه الله ، وبعض ضباط كتيبته والكتائب الأخرى ١٣ و ١٦ و ١٧ و ١٩ و ٢٠ مشاة إلى جانب ضباط المدفعية والمدفوعات والإشارة وسلاح خدمة الجيش ثم الطيران ممن ضمهم تنظيم الضباط الأحرار .

كان يوسف صديق يردد دائما أن ثورة ٢٣ يوليو لم تولد من فراغ في الجيش ذلك لأن المصري عاش منذ ثورة القائد البطل أحمد عرابي خصائص شعبه ، ومنذ غزو الاحتلال لبلادنا ، والمد الثوري لم يتوقف بين الضباط المصريين ، ولم يكف عسكري وطني واحد عن الانتظار المتشوق إلى ظهور مجتمع مصري جديد .

للحقيقة والتاريخ . .

قال لي رحمة الله ونحن نقضي سهرة ريفية عسكرية في بيته بمدينة المهندسين بالقاهرة :

— للحقيقة وللتاريخ ، بدأ الضباط في وحداتهم يسمعون في بداية الأربعينات عن الضابط الجريء « أنور السادات » ويتناقلون قصص اصطدامه مع القسادة دون أن يعرفوا شكله أو ملامحه ، ثم بدأنا نسمع عن

ضابط آخر هو « المرحوم الشهيد بمحمد وجيه خليل » يملك صفات ووطنية السادات ، وفي عام ١٩٤٢ ، سمعنا عن أبعاد « السادات » عن الجيش عقابا له على نشاطه المعادى لقوات الاحتلال البريطاني .

وكان لهذا الأبعاد أثره في نفوس الذين عرفوه ، والذين سمعوا به ، كما قلل الى حد كبير من لقاءات الضباط الذين تشغلهم قضية مصر ، وصلتها بالحرب العالمية الثانية ، حتى جاء نوفمبر عام ١٩٤٧ ، وكان المرحوم العميد عبد الواحد سبل مدير هيئة التدريب من الضباط المعروفين بوطنيتهم ورجولتهم ، وكنت أحد المقربين منه للصفات التي تجمعنا .

في هذه الايام جاء ابراهيم عطا الله باشا رئيس الاركان الى العميد سبل وطلب منه في نهاية الزيارة الموافقة على صلاحية صفقة سيارات ، اعترض عليها سبل من قبل تم رفض قبولها . . وصمم امام ابراهيم عطا الله على استمرار رفضه ، وتنتهى القصة باحالة الرجل الشريف الى الاستيداع .

وانتشرت هذه القصة بين ضباط الجيش وسعيت ومعى بعض زملائي الى اقامة حفل تكريم لهذا الرجل ، وتحدث ١٧ من الضباط في هذا الحفل عن الفساد في البلاد ، وبعد ايام اعتقل الملك بعض هؤلاء الضباط ، وأمر بتشتيت الباقي الى المناطق النائية ، وكانت منقباد من نصيبى ثم تحركنا الى فلسطين ، غير ان قصة هذا الحفل وما جرى لنا بعده خلقت مناخا ثوريا بين جميع الوحدات التى حاربت فى فلسطين ، واستطاع الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بمقدرته الفائقة على تكوين

الخلايا السرية الثورية والنشطاء التنظيمي بين الضباط . وبأسلوب فريد يعتمد على الكتمان والسرية ، أن يستغل هذا المناخ أحسن استغلال ، وبدأ على الفور في تكوين الخلايا على مستوى ضباط الجيش ثم الطيران والبحرية .

هامش :

— « كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ضابطا بالكتيبة السادسة مشاة بندق في منطقة الفالوجا ، وكان البطل الراحل يوسف صديق ضابطا بالكتيبة السابعة مشاة بندق التي حررت أسدود ، وذلك قبل أن ينتقل الى الكتيبة الاولى مدافع ماكينة التي استولت على القيادة العامة ليلة ٢٣ يوليو » .

« كيف وأين ومتى ؟ »

ولقد سألت المرحوم يوسف صديق :

— كيف التقيت بجمال عبد الناصر ، وأين ومتى ؟
— كضابط له اهتمامات وطنية قبل أن أتخرج في الكلية الحربية عام ١٩٣٠ ، وكان عمري عشرين عاما ، لم أنقطع عن لقاء أصحاب الافكار الثورية بمختلف اتجاهاتها على الإطلاق ، وفي الجيش عرفت جماعات عديدة كان لها نفس الاهتمامات ، ولم يكتب لبعضها أن تشترك بعد ذلك في ثورة يوليو ، الا أنني لم أكن أقتنع في أعماقي بجدية بعض هؤلاء الضباط ، حتى جاءني صديقي الضابط وحيد جودة رمضان ، وقد التحمنا في حرب ١٩٤٨ ، جاءني في بداية عام ١٩٥١ ، وحدثني عن جمال عبد الناصر وكنت بحكم ما ذكرته لك قد سمعت به ، ثم وضع « وحيد » أمامي بعض منشورات الضباط

الاحرار لاتبين مدى اتجاهاتهم وخططهم الوطنية وكنا
فى القنطرة شرق ، واقتنعت بها ، وانضمت الى
التشكيل السرى بقيادة الزعيم الراحل ، وعهد لى بتجنيد
من اراه صالحا للعمل معنا ، وشرعت على الفور فى تجنيد
صفار الضباط الذين يخدمون تحت قيادتى وظللنا نعمل
لليوم الكبير بكل الحماسة والامل فى مستقبل جديد
لوطننا ، حتى صدر قرار عسكرى بنقل كتيبتى الى
اسوان وفى ١٣ يوليو ١٩٥٢ ، وصلت القاهرة قائدا
لمقدمة الكتيبة فى انتظار وصول بقية القوات لنرحل الى
اسوان ، وبهذه المقدمة احتلنا القيادة العامة للقوات
المسلحة وقبضنا على كبار ضباطها وعلى رأسهم رئيس
الاركان أيامها بعد تسعة أيام من وصولنا .

كان عدد افراد المقدمة ٧٥ جنديا ، و ١٢ ضابطا
يشكلون القوة الادارية للكتيبة وأذكر ان أكثرهم من
الضباط الأحرار ، وفى منطقة هاكستب تمركزنا ، وذهبت
الى لقاء الزعيم الراحل وزملائى من أعضاء الهيئة
التأسيسية للتشكيل ، وتقرر يومها قيام هذه المقدمة
كمفرزة أولى أو كطليعة قوات بالهجوم على القيادة
العامة مع بعض كتائب المشاة حتى زارنى الزعيم الراحل
يوم ٢١ يوليو ، وأبلغته أن قواتى على استعداد للتحرك
وعرفت منه أنه سيرسل لى بساعة الصفر .

وتوجهت الى قيادتى وصباح ٢٢ يوليو عرفت من
أركان حربى النقيب عبد المجيد شسيد ان الضابط
النوبتجى لم ينم فى المعسكر ، وان حادثا قد وقع لأحد
الجنود ففكرت على الفور فى استغلال هذا الموقف حتى
يقضى جميع الضباط هذه الليلة بالكتيبة دون أن يعلموا
بساعة الصفر حرصا على زيادة الكتمان والسرية فقلت

في اجتماع ضم الجميع :

ـ « عقابا لكم على غياب هذا الضابط ستنامون جميعا هذه الليلة بالمعسكر ، وسأكون معكم حتى لا يتخيل أحدكم اننى سأكون بعيدا في بيتى » .

وفي بداية المساء جاءنى اليوزباشى زغلول عبد الرحمن وأخبرنى بأن أتحرك في الواحدة بعد منتصف الليل بدلا من الثانية عشرة مساء ، الموجد المتفق عليه من قبل ، ولو فعلت ما طلبه منى لقضى علينا جميعا قبل أن نتحرك من معسكراتنا جميعا !! خطأ صغير غير مجرى التاريخ .

مفاجأة في « الكرية »

ومع حديث الذكريات سألت المرحوم يوسف صديق ، زيادة في الشرح .. نتحدث قائلا :

ـ ليلة الثورة ، قدم ثلاثة من أحرار المدفعية الى بيت زميل لهم يصحبونه للقيام بالواجبات التى كلفوا بها ـ وكان هذا الضابط في أجازة ، وقد اندهشت أمه حين رآته يرتدى بدلتة العسكرية ، ثم أخبرها انه سيقضى السهرة مع أصدقائه في أحد الملاهى .. وشعرت الأم ان ابنها يدبر شيئا خطيرا ، فاتصلت بشقيقه الأكبر وكان على صلة برجال السراى وأخبرته بهواجسها ثم عادت تقول لولدها الأصغر أنها اتصلت بأخيه الأكبر حرصا عليه !!

وذهب الضابط الصغير يروى ما حدث من أمه للزعيم الراحل ، ولم يكن هناك مفر من الاستمزار في تنفيذ الثورة .

ولقد اتصل شقيق هذا الضابط بالسراى الملكية التى
اتصلت بدورها بحسين فريد باشا رئيس الاركان وقتها ،
وفى الحادية عشرة مساء كان قادة الاسلحة من باشوات
الملك على مائدة واحدة بمقر قيادة الجيش بكوبرى
القبه ، يضعون خطة قيام ثورة مضادة لثورة الضباط
الأحرار .

وفى دقائق انتهى الاجتماع وانصرف كل قائد الى مقر
قيادته للسيطرة عليه ومنع الضباط والجنود من
التحرك .

وعندما تحركنا ، وبعد ٨٠ مترا من الهاكستب التقينا
«باللواء عبد الرحمن مكى باشا» فى الطريق الينا ، وعلى
الفور قبضنا عليه ، وكانت مفاجأة شديدة له ، لو تأخرنا
قليلا لدخل المعسكر وقبض علينا .

ومضينا فى طريقنا ، فالتقينا بالقائد الثانى « أميرالاي
عبد الرؤوف عابدين بك » وكان يحاول اللحاق بمكى
باشا ، فقبضنا عليه هو الآخر وركب بجانب قائده ،
وفى تلك اللحظة عرفت أن القدر لعب دورا كبيرا ، واننا
نواجه ثورة مضادة يقوم بها الملك وقادته . ثم وصلنا
منطقة « الكربة » بمصر الجديدة ، وتوقفت قليلا فثمّة
مفاجأة اعترضتني بل وأذهلتني تماما !

كان مفروضا كمسا فهمت من الزعيم الراحل اننى
سألتقى بقوات أخرى تقتحم قيادة الجيش وتسيطر عليها
ثم ننضم لها ندعمها وتؤيدها ، وكانت هذه القوات تمثل
المدفعية والدبابات والكتيبتين ١٣ و ١٧ مشاة ، ولكنى
وجدت مصر الجديدة حتى مشارف كوبرى القبه صامتة

هادئة يلفها الليل والهدوء ولا مظهر واحد من مظاهر الثورة .

وتجمدت قليلا والحسيرة تدور برأسي ، ثم هداني التفكير الى الدخول بشارع جانبي ربما هو شارع السلطان حسين اذا لم تخنى الذاكرة ، وفكرت في جمال عبد الناصر وكيف أعثر عليه ، ثم ذهبت الى مطعم «بالميرا» سعيا وراء التليفون .

وعدت الى رجالي وسمعت صخباً في مقدمة اللوريات وكنت بالخلف أتحدث الى الضباط والجنود بشأن التقدم لا التراجع ومهاجمة قيادة الجيش والاستيلاء عليها حتى تصل بقية القوات ، وتوقفت على صوت يناديني ، واذا بي أتبين صوت جمال عبد الناصر ، فتوجهت اليه فوراً ، فرأيت أحداً ضباطي وكان برتبة ملازم ثان « أحمد متولى غنيم » يحاول القبض على الزعيم الراحل لأنه برتبة بكباشي ، وكانت التعليمات التي أعطاها لنا جمال عبد الناصر من قبل هي القبض على كل ضابط يحمل رتبة بكباشي فما فوق ، ولكن سلامة العمل في الخلايا السرية لتشكيل الضباط الأحرار لم تكن تسمح لكل الضباط بمعرفة جمال عبد الناصر أو قائد الثورة حتى ليلة الثورة نفسها .

وشرح لي رحمه الله الوضع والموقف بأكمله ، وعرفت منه أنني جئت بقواتي مبكراً ساعة عن موعدي ، وأن السراي عرفت بالثورة ، وأن اجتماعاً مضاداً عقد برئاسة الجيش ، ولا يزال « حسين فريد باشا » هناك بعد أن انصرف أكثر قواده ، وقد حملوا أوامرهم بأجهاض الثورة .

ورغم أن الموقف كان يوحى باليأس ، بل بفشل الثورة

واحتمال عدم مجيء بقية القوات أو خروجها في ساعة
الصففر ، إلا أن ثقته بنفسه وبنا كانت أكبر من المفاجأة ،
فتجاوزنا جميعا تلك المحنة ، واتفقنا على التقدم واقتحام
القيادة دون إبطاء ، وقال رحمه الله عليه يومها جملة
لا أنساها سمعناها كلنا ضباطا وجنودا .. قال في إيمان :
- « على بركة الله سيروا وتقدموا » .

وتقدمنا جمال عبد الناصر في سيارته الأوستن يضىء
لنا الطريق وعلى مسافة كيلو مترين من مقر رئاسة
الجيش بكوبرى القبة توقفنا ، ووضعنا خطة فورية
كالآتي :

- مجموعة أمام المستشفى العسكرى العام - مجموعة
ثانية أمام كوبرى السيوفى لقطع الطريق من مصر الجديدة
والعباسية أمام أى قوات مضادة ، ومجموعة تهاجم
القيادة وتحتلها وقد واجهنا في البداية وعند المدخل قوة
بوليس حربى كانت قد جاءت لتدعيم وحماية القيادة
القديمة، ولما عرفوا بالثورة قدموا لنا أسلحتهم وانضموا
الى بقية الجنود .

وفى الداخل دارت معركة بالرشاشات واستشهد
جندى من رجالى اسمه « سيد عبد الحليم الشرطى » ،
وقام النقيب عبد المجيد شديد بتسليم جثمانه الى أسرته
بمنقباد ، ثم ظهرت العربات المدرعة والدبابات والمدفعية
وتنفسنا جميعا الصعداء ، وأحسنا بنجاح الثورة ،
وكنا قد قبضنا على « حسين فريد باشا » وثلاثة من
ضباطه من بينهم « قائد الطيران شعراوى باشا » وبناء
على تعليمات الزعيم الراحل نقلنا كل القادة القدامى من
المعتقلين الى مبنى الكلية الحربية القديم المواجه لرئاسة

الجيش كاعتقال وقتى ، وتم التنسيق بين مختلف الأسلحة ، وعرفت ساعتها أن قوات الثورة استطاعت أن تنتصر على الثورة المضادة ، وأن تخرج في ساعة الصفر ، وتشترك بواجباتها وأن تتجاوز العقبات والمفاجآت ، ولم نهدأ حتى سمعنا صوت الرئيس أنور السادات وهو يذيع بيان الثورة الأول ، وكان قد غادرنا بعد أن سيطر على شبكة الاتصالات التليفونية واللاسلكية في القيادة وعبر المناطق العسكرية الهامة ، وفي مناطق مدنية أخرى كمصلحة التليفونات ، ومديرية الأمن المسيطرة على قوات البوليس بالقاهرة .

وبدأت الساعات الأولى من عمر الثورة حين خرجنا الى شوارع العاصمة وتأييد الجماهير يشحننا بالقوة والامل والرجاء .

هذه هي قصة الثائر المناضل البطل يوسف منصور صديق ، من مواليد ٣ يناير عام ١٩١٠ ، ولد في قرية زاوية المصلوب ، مركز الواسطى مديرية بني سويف ، لأب كان ضابطا بالحيش المصرى فى السودان ، وتخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٠ ، وعمل بالكتيبة العاشرة مشاة بالسلاح ، ثم تنقل بين القاهرة ومنقباد ، ومرسى مطروح ، والاسماعيلية ، وفلسطين ، ثم سيناء .

وأصيب البطل بتسوس فى العمود الفقرى ، وظل عاما ونصف عام يرتدى جاكيت من الحس وحصل على كلية الأركان وهو داخل هذه الجاكيت ، ثم أصيب بسر البرئة ، وكان ينفذ دما كل يوم ، وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، نفذ مرتين ، ولم يعاوده النزف مرة أخرى حتى عام ١٩٦٩ .

ومرض بالسكر ، وعولج في الاتحاد السوفيتى ،
وقطع علاجه وعاد الى القاهرة حين سمع بوفاة الزعيم
الراحل جمال عبد الناصر .

وبعد عام ١٩٧٠ ، أصيب بالسرطان وقد وفر له
الرئيس السادات العلاج في لندن ثلاث مرات حيث أجرى
ثلاث عمليات جراحية و قى أحداها أزالوا إحدى رئتيه
غير أن المرض توغل في الرئة الأخرى وصعدت روحه الى
الخالق عز وجل بمستشفى المعادى للقوات المسلحة بعد
صراع مع الموت استمر أربع سنوات .

ترك الخدمة العسكرية عام ١٩٥٣ ، وتعرض لاضطهاد
الذين سرقوا ثورة يوليو ، ثم نجح في انتخابات مجلس
الشعب عام ١٩٥٧ ، وكان على اتصال دائم بالزعيم
الراحل بعد ذلك ، ورافقه في عديد من الرحلات التى قام
بها الى الخارج .

حج الى بيت الله عام ١٩٧٣ بدعوة من الرئيس أنور
السادات .

ترك الفقيد الراحل ثمانية من الأبناء { ذكور ،
و { أناث .

عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة

ثمة قصة أخرى لها دلالات هامة في مسار الثورة ، قبل قيامها وبعد نجاحها ، هي قصة البكباشى عبد المنعم أمين ، عضو مجلس قيادة الثورة ، ودوره خلال الأشهر الأولى من عمر الثورة .

وربما نسى جيلنا ، وكان بعضنا في العشرين أو الثلاثين من العمر عام ١٩٥٢ ، ربما نسى اسم عبد المنعم أمين ، ومن هنا حرصت على تحقيق قصته كاملة ، ليس لكونه واحدا ممن تركوا لجنة القيادة قبل أن ينتهى العام الأول على قيام الثورة ، بل لأنه لعب دورا هاما وخطيرا خلال الأشهر الأخيرة من عام ١٩٥٢ ، فضلا على عدم اشتراكه في أول مجلس عسكري انعقد في فبراير ١٩٥٣ برئاسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لمحاكمة أول مجموعة من الضباط الأحرار ، ارتبطت أسماؤها بقضية السيد رشاد مهنا ، وحوكموا بتهمة أحداث فتنة في القوات المسلحة ، ثم هو في البداية واحد من ثلاثة بين ثوار المدفعية القسامي الذين قاموا بطبع المنشورات السرية الوطنية عام ١٩٥٠ ، بعيدا عن تنظيم الضباط الأحرار .

تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٣٤ أى أنه تخرج بعد

دفعة رشاد مهنا بعامين وقبل دفعة الرئيس السادات بثلاثة أعوام ، وأربع عشرة أعوام بالنسبة لدفعة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

بداية ١٩٥٠ اشترك ثلاثة ضباط من المدفعية المضادة للطائرات والطيران في إصدار منشورين ثوريين ، عاونهم موظف مدنى هو « المرحوم صلاح عبد المجيد » الكاتب الإدارى بمدرسة المساعدة الجوية بالقوات الجوية وهى مدرسة كانت تابعة للدفاع الجوى .

قام المرحوم صلاح عبد المجيد بطبع المنشورين بإشراف الضباط الثلاثة وهم :

بكباشى عبد المنعم أمين مدفعية - عضو مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٢ .

بكباشى عبد الحلیم الدغيدى - وهو طيار قديم - تمت بصلة قرابة للواء طيار عبد الحميد الدغيدى ، أحد الذين حوكموا من أجل النكسة مرتين ، وحصل على البراءة فى نهاية المحاکمتين عام ١٩٦٨ .

صاغ إبراهيم عاطف - مدفعية - وهو البكباشى بعد ذلك إبراهيم حافظ عاطف ، المتهم رقم ٣ فى قضية رشاد مهنا .

سأله :

- فىم تحدثتم خلال هذين المنشورين ، وأين قمتم بتوزيعهما ، ولماذا منشوران فقط ، ألم يكن لكم أعوان من ضباط السلاح ؟

وقال عبد المنعم أمين :

- كنت أعمل أيامها بقيادة الدفاع الجوى قبل أن أتولى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات حتى قيام الثورة ،

يجمعنا تفاهم وخط فكري واحد وثقة متبادلة وأكثرهم
خرج معنا ليلة ٢٣ يوليو بدافع هذه الثقة وايدانا
بضرورة الخلاص والتضحية .

أما عن استمرارنا في طبع هذه المنشورات ، فكان خلفه
احساس بأنه لا جدوى من هذا الطريق ، فالجيش كله
كان مشحونا بأقصى المشاعر الرافضة للفساد الذي
تعيشه البلاد ، وقياداتنا لاهية ، والاحزاب في واد
آخر ، اذن المنشورات لماذا : لتعبئة من ؟!

قلت للسيد عبد المنعم أمين :

ومتى بدأت علاقتك بتنظيم الضباط الاحرار ؟

— نهاية عام ١٩٥٠ ، زارني الصاغ كمال الدين حسين ،
وكنت أعرفه بحكم الزمالة في سلاح المدفعية وسمعت
وقرات بعض المنشورات التي يصدرها تنظيم الضباط
الاحرار ، واعلم أنه أحد أعضاء هذا التنظيم ، زارني
وعرض ان انضم الى تنظيمهم .

ولقد شرحت له وجهة نظري في استمرار اصدار
المنشورات السرية ومدى حاجتنا الى خطوات عملية
أكبر ، ولم أعترض على الانضمام اليهم ، بل قلت له
اننى معكم عندما تتحركون .

ومرت الايام واذا بكمال الدين حسين يحدثني تليفونيا
صباح ٢١ يوليو ١٩٥٢ ، ويخبرني بالمرور على في البيت
مساء اليوم نفسه وفي العاشرة مساء جاء وبرفقته الرئيس
الراحل جمال عبد الناصر وناقشنا موضوع التحرك ،
وتحدثنا طويلا ، واتفقنا على الخطوط الاساسية للثورة
وأهدافها ، وفي المقدمة اسقاط الملكية ، ثم حددنا موعدا
جديدا « الثالثة ظهر اليوم التالي في بيت خالد محيي الدين .

بمصر الجديدة « لتوزيع الواجبات . وفي الموعد المحدد كنت هناك ، ووجدت زكريا محيي الدين وحسين الشافعي وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم ، وبالطبع خالد محيي الدين ، وأحمد طعيمة وابراهيم الطحاوي ، وناقشنا الحطة وتفصيلاتها ووضعنا التعديلات الطارئة وانصرفنا .. كل ضابط منا الى بيوت الضباط الاحرار في سلاحه ، ومررنا أنا وكمال حسين على منزلين ، بكل مجموعة من احرار المدفعية لنعطهم آخر تلقينات التحرك .

كان مطلوباً من الضباط الاحرار واكثرهم برتبة الصاغ ، كان مطلوباً منهم أن يتواجدوا بأسلحتهم ١٢ مساء ليخرجوا بوحداتهم ، ووجدت ان البعض يشعر بالتردد ، وتساءلوا بماذا نبرر تواجداً بالاسلحة في هذه الساعة من الليل ؟!

وحتى اقضى على هذا التردد الذي يشكل خطورة على تماسكهم وتحركنا ، وقعت لهم امرا « كضابط عظيم » بالسلاح لحضورهم الى وحداتهم في هذا الموعد مدعياً قيام حالة طوارئ ، حتى اذا فشلت المهمة لا قدر الله يكونون في الجانب الآمن .. فعلت هذا مع الضباط الذين مررنا عليهم في المنزلين تلك الليلة . سألت :

ماذا كنت تشغل أيامها ؟

— كنت بقيادة الدفاع الجوي في منطقة العباسية .

— وهل كنت « ضابطاً عظيماً » تلك الليلة ؟

— لا بالطبع ولكنها مغامرة محسوبة ، وكان لها تأثيرها

الناجح .

وذهبت الى حفلة سينما سواريه ، وتركتها عند منتصف الفيلم ، عدت الى بيتى واستبدلت ملابسى ، وتوجهت الى رئاسة المدفعية ، وقام كل منا بمهامه حسب الخطة .

سؤال .. سمعنا انك طلبت من البكباشى ابراهيم حافظ عاطف أن يتصل بالقائمقام رشاد مهنا فى العريش ، ويطلب منه باسمك الحضور الى القاهرة ، وان هذا الاتصال حدث عدة مرات ، ثم جاء رشاد مهنا يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ ؟

هذا صحيح .. ولقد اتصلت شخصيا برشاد مهنا لكى يحضر الى القاهرة .

— هل سألت الرئيس الراحل أو محمد نجيب أين رشاد مهنا أو أخبرتهم بأنك ستتصل به للحضور ؟

— لم يحدث ، ولكنى اتصلت من خلال احساسى به كأحد قادة المدفعية ، وكضابط من جيل الاساتذة له قاعدته العريضة من ضباط السلاح ووجوده سيصبح عاملا ايجابيا فى تدعيم الثورة وأعرف دوره مع قياده تنظيم الضباط الاحرار ، وقد اندهشت بعد نجاح الثورة حين لم أجده بيننا ، وسألنى عدد ليس بقليل من ضباط المدفعية الاحرار .. أين رشاد مهنا ؟ ومن هنا وبكل حسن النية اتصلت به لكى يحضر ، وقلت لابراهيم عاطف وأنا أستعد للسفر الى الاسكندرية لمهمة اقالة فاروق وطرده أو قتله اذا رفض الاستقالة والخروج من البلاد ، وهى مهمة انتقلت من أجلها وحدات فرسان ومدفعية ومشاة الى رأس التين ، وقد توليت القيادة العامة بينما تولى عبد المنعم عبد الرؤوف قيادة المشاة ،

قلت لأبراهيم عاطف، وأنا أستعد للسفر إلى الإسكندرية،
اتصل برشاد مهنا وأبلغه بأن يلحق بنا .

ولقد فعل الرجل .. جاء القاهرة ولم أره
بالإسكندرية .

هل غضب الرئيس الراحل من تصرفاتك ؟

— لم أتبين ذلك في سلوكه ولكن المفاجأة كان لها أثرها
عليه حين رأى أمامه رشاد مهنا وعرف اننى طلبت منه
الحضور الى القاهرة ، عندما فاجأنا « رشاد » بوجوده
بيننا أثناء عقد أحد اجتماعاتنا بمقر القيادة في كوبرى
القبة وتحدث كل من الرئيس الراحل والصدیق رشاد
بصراحة تامة .

وماذا بعد ذلك ؟

— ناقشنا موقفه واتفقنا على اسناد منصب الوصاية
على العرش اليه ، وذهب جمال سالم وفاتحه في ذلك ،
ووافق رشاد مهنا ، ثم بدأت سلسلة الصدمات .

منذ متى بدأت علاقتك بالسيد رشاد مهنا ؟

— منذ المرحلة الثانوية ، كنا معا بطنطا الثانوية ،
ومعنا الزميل حسين الشافعى أيضا ، وفي مرحلة
المدرسة الحربية كان رشاد مهنا يسبقنا بعامين وتزامننا
وهو باشجاويش المدرسة — الكلية الحربية فيما بعد .

ما هو تاريخ خدمتكم ؟

— التحقت بالمدفعية ميدان بعد تخرجى مباشرة
وقضيت عاما بالقاهرة ثم نقلت الى العريش ، والتقيت
برشاد مهنا عام ١٩٣٥ هناك ، وتزامننا ضباطا بسلاح
واحد .

ونقلت الى الأنوار الكاشفة وخدمت بين منطقة القناة
والعاصمة حتى عام ١٩٤٧ ، وتقدمت لامتحان الالتحاق
بكلية أركان حرب المدفعية وكنت الأول على الناجحين
والمرحوم الفريق عبد المنعم رياض - رقم - ٢ - في
الترتيب ، فسافرنا في بعثة عسكرية الى إنجلترا ، وعدت
لاسافر مرة ثالثة الى سويسرا عام ١٩٤٨ مع الزميل
حسين ندا ، وهو ضابط مدفعية ميدان ، لشراء اسلحة .

الاسلحة الفاسدة ؟

هل هذه البعثة الى سويسرا ، خلف استدعائك للشهادة
في قضية الاسلحة الفاسدة عام ١٩٥٠ .

- نعم ، وثمة عدد ليس بقليل يمثلون اسلحة أخرى
في الجيش أدلوا بشهادتهم ، غير أن معظم هؤلاء الشهود
عدلوا عن أقوالهم الأولى تحت ضغط وتهديد السراى
الملكية وأعوان الملك .

وكانت هذه القضية وخلفياتها أحد العوامل التى
دفعتنى ودفعت زملائى لاصدار المنشورين السريين
عام ١٩٥٠ .

بعد بعثة شراء الاسلحة من سويسرا . . ماذا توليت ؟
- قيادة بطارية مدافع م - ط - ثم كبيرا للمعلمين
بمدرسة المدفعية المضادة للطائرات ، ومنها الى قيادة
الدفاع الجوى عام ١٩٥١ ، وظللت بها الى ٢٣ يوليو
١٩٥٢ .

قلت للسيد عبد المنعم أمين :

- فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ ، أصدر مجلس قيادة
الثورة قراره بتشكيل أعضاء مجلس القيادة ، حيث

ضم السيدين زكريا محيي الدين وحسين الشافعي ،
كيف ناقشتم تكوين مجلس قيادة الثورة ؟

— لم يحدث أن جلسنا لناقش تكوين مجلس الثورة ،
مجموعة ضباط الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار
برئاسة الرئيس الراحل قبل الثورة هي التي تولت
القيادة ، وأصدرت قرارها بعد ٢٦ يوليو بأن يتولى اللواء
محمد نجيب منصب القائد العام للقوات المسلحة ، وفي
البداية تولى كل منا قطاعا . . حتى ان جمال عبد الناصر
كان يشغل منصب مدير مكتب القائد العام ، وعهد له
بالسياسة الخارجية . وفي أوائل أغسطس قررت الهيئة
التأسيسية ضم أربعة الى مجلس قيادة الثورة وهم :

١ — زكريا محيي الدين .

٢ — حسين الشافعي

٣ — المرحوم يوسف صديق

٤ — عبد المنعم أمين

كيف عهد الى السيد زكريا محيي الدين بإدارة
المخابرات ؟

— بترشيح من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ،
أخبرنا عرضا في أحد الاجتماعات ولم يعترض أحد منا ،
واعتقد انه اختار زكريا لهذه المهمة لأنه راجل داهية ،
وبلا طموح شخصي في الرئاسة ، وقد تفرغ زكريا محيي
الدين لهذا العمل تماما .

هل تقترب أكثر من فهم الرئيس الراحل لرفاق
الثورة ؟

— عبد الناصر رحمه الله كان ذكيا ورؤيته لها أبعاد

تستوجب بسهولة طبائع ونسيج ومعدن الرجال ...
يستوجب كل هذا بسهولة ، وان كان كتوما لا يعلن
رأيه ...

لقد رأيت عبد الناصر يثق تماما في كمال الدين حسين
والمرحوم عبد الحكيم عامر ، ويسيطر على زميل مدفعية
ثالث ، وحين يثير هذا الزميل المشاكل والصعاب ،
يدفع شقيقه الأكبر لواجهته .. وبمرور الأشهر الأولى
من الثورة ، نمت الفيرة والحقد الشخصي بين بعض
أعضاء القيادة ، وعشنا مناخ عدم الثقة والتشكك ،
وانطلقت عدة اشاعات ضد بعضنا .. استهدفوا أنور
السادات في البداية ثم يوسف صديق فجمال سالم ،
ثم عبد المنعم أمين .. فرشاد مهنا .

ولقد كان مخططا وضع بذلك للتخلص منا ومن ضباط
المدفعية الذين أثاروا قضايا أسلوب الحكم في بداية
الثورة ، مخططا بدأوا في تنفيذه مع أكتوبر عام ١٩٥٢ ،
وأشرف عليه « المرحوم صلاح سالم » ناشرا أكاذيب
واشاعات ضدى وضد الآخرين ، ملصقا بى كل الاخطاء
التي نسبت لمجلس قيادة الثورة ، وانتهى المخطط
بالقبض على ما يقرب من ٢٥ ضابط طوبجى ، ثم حالوا
بينى وبين الالتقاء برفاق السلاح من المدفعية ، بدعوى
ان ثورة المقبوض عليهم قائمة ضدى !

الاتصال بأمريكا ..

اسمح لى بسؤال له أهميته التاريخية :
ما هى حقيقة اتصالك بالامريكان مع بداية الثورة ،
والى أى مدى قطع مجلس قيادة الثورة شوطه مع
أمريكا ، وما هى خلفية هذه الاتصالات ؟

لم يكن للثورة اتجاه نحو الشرق أو الغرب ، صحيح
كان لها ارتباطات بالآخوان المسلمين عن طريق بعض
الضباط ، وارتباطات أخرى بالشيوعيين عن طريق
ضباط آخرين ، وكل جانب حاول جاهدا وبأقصى
امكانياته السيطرة على اتجاه الثورة وكان عبد الناصر ،
بل كنا بالمرصاد لهذه المحاولات ... غير إن واقع الأمر
يوم ٢٢ يوليو كان مهددا بتحرك القوات الانجليزية ضد
تحرك الجيش المصري ، واتفقنا على ان نقوم على صبرى
كضابط بالمخابرات الجوية الملكية بالاتصال مع صديقه
الملحق الجوى الأمريكى صباح ٢٣ يوليو لإبلاغه بالثورة
وتعهدنا بحماية أرواح وممتلكات الأجانب ويطلب اقناع
أمريكا للسفارة البريطانية فى القاهرة بجدوى عدم
التدخل عسكريا ضدنا لأننا سنقابل مثل هذا التدخل
بفتح النار عليهم .

واتصل على صبرى تليفونيا الساعة ٧ صباحا يوم
٢٣ يوليو بصديقه الملحق العسكرى الجوى الأمريكى ،
وقمت أنا بموافقة مجلس قيادة الثورة بالتوجه الساعة
٩ صباحا لمقابلة القائم بالأعمال إذ كان السفير الأمريكى
المستر كافرى موجودا بالاسكندرية وشرحت أهداف
الثورة ، وهى القضاء على الفساد فى الجيش فقط .

الم يعترض أحد من أعضاء مجلس الثورة أو لجنة
القيادة على هذا الاجراء ؟

— خالد محيى الدين عارض منذ البداية ، وقلنا له
لو اصطدمنا بالقوات الانجليزية لفشلت ثورتنا ... اننا
لا نريد ثورة دموية !

ولقد نجح الأمريكان فى وقف تحرك الانجليز فعلا ...

في صباح ٢٣ يوليو ، أرسل ممثل الحكومة البريطانية
انذارا الى قيادة الجيش المصري يهدد بتدخل القوات
الانجليزية برا وجوا وبحرا لحماية الارواح والممتلكات
الاجنبية في مصر ، اذا وقع عليها أى اعتداء .

وفي دقائق أرسلنا دوريات بقيادة عناصر كثيرة من
الضباط الاحرار تجوب القاهرة لمنع مظاهرات التأييد
من التوسع خوفا من أن يندس عميل بين جماهير الشعب
التي خرجت تؤيد الثورة .

ولم يستطع الانجليز شيئا !

وجاء يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢ ، وكنت قد حاصرت
بقوات المدفعية رأس التين وحاصر عبد المنعم عبد
الرءوف القصر بمشاته ، وتبادل جنود مشاتنا اطلاق
الرصاص مع جنود حرس القصر الذين تركوا أسلحتهم
وفروا داخل القصر ، الا ان جنودنا المشاة لم يتوقفوا
عن اطلاق الرصاص ، وبحثت عن عبد المنعم عبد الرءوف
ليوقف هذا السيل من الطلقات ولكنى لم أجده ،
واستطعت مع الزميل « خالد فوزى » - مدفعية - أن
نسيطر على المشاة ونوقف اطلاق النار ، ولم ندر أن
هذه العملية خدمتنا بقدر كبير دون أعداد أو تدبير ..

لقد ارتعد فاروق داخل القصر حين سمع طلقات
الرصاص المستمرة وتخيل انه سيموت لا محالة ، ومن
هنسا وقع على وثيقة التنازل عن العرش وهو يرتعش
خوفا واضطرابا ودون تباطؤ أو تردد ، ووفر علينا
مهمة التخلص منه بالقتل اذا رفض التنازل عن العرش
ومغادرة البلاد .

ولكنه قبل ذلك كان قد استطاع الاتصال تليفونيا

بالإنجليز والسفير الأمريكى فأرسلت الحكومة البريطانية
إنذارها الثانى صباح ٢٦ يوليو تهدد بالتدخل ضدنا فى
حالة سفك أى دماء .

وجاء شهر أغسطس ووجدنا ان أمريكا لديها استعداد
لمعاونة الثورة المصرية ، وناقشنا الأمر فى مجلس القيادة ،
وأردنا عقد لقاء تمهيدى بين السفير الأمريكى واللواء
محمد نجيب ، ولما كنت على صلة صداقة بالامريكان فى
القاهرة فقد وجهت الدعوة لعشاء فى بيتى ، وجاء مستر
كافرى برفقة اثنين من مساعديه أحدهما بدرجة وزير
مفوض .

وتكلم كافرى ، واستمع الرئيس الراحل جمال عبد
الناصر حيدا ، وبدأ كافرى صريحا فى سياسته التى
أعلنها أمامنا « ننتظر لنرى تطور الأحداث » .

وتعددت لقاءاتى بمرور الأيام مع الوزير الأمريكى .
المفوض ماكلنتك ، وبعد شهرين جاء أحد وكلاء وزارة
الدفاع الأمريكية الى القاهرة ، وطالبنى القائم بالأعمال
واقترح لقاء مع القادم من واشنطن من أجل الحصول
على السلاح .

وحددنا موعدا ، وذهبنا اليه ، المرحوم جمال عبد
الناصر والمرحوم عبد الحكيم عامر ، وأنا ، والتقينا فى
بيت القائم بالأعمال الأمريكى ، وتحدثنا طويلا ، ودخلنا
فى نقاش حول امكانيات التعاون بيننا وبينهم ووجدنا
ترجسا نطلباتنا .

حدد الرئيس الراحل مقدمة طلباتنا العاجلة بالحصول
على السلاح الأمريكى ، لتطوير امكانيات قواتنا المسلحة ،
واتفقنا معهما على ارسال على صبرى من الطيران ،

والنكلاوى من المدرعات ، الى واشنطن من أجل صفقة السلاح المطروحة ...

وقضى الرجلان ١٥ يوما فى أمريكا علمنا خلالها ان تشرشل طلب من ايزنهاور أن ينسى تماما أى وعود أعطاهما للثورة المصرية بشأن الاسلحة قائلا :

— ان الجيش المصرى سيستعمل هذا السلاح فى قتل جنودنا بالقناة .

وطلب الامريكان أن ندفع مقدما ثمن السلاح المطلوب ووافقنا ، فعادوا وطلبوا أن نترك قائمة طلباتنا لدراستها ... ولم يتحقق شئ بعد ذلك ..

محاكمة كفر الدوار !

سؤال آخر :

بين أغسطس وسبتمبر ١٩٥٢ ، قمت برئاسة محكمة كفر الدوار التى تولت محاكمة العمال الذين قاموا بحرق وتخريب مصانع كفر الدوار ، ونفذ حكم الاعدام فى العاملين خميس والبقرى ، وردد الشيوعيون ان الفاشية العسكرية المصرية تطبق تعليمات المخابرات الامريكية ... ثم سافرت انت فى مهمة سرية الى انجلترا ... ماذا وراء هذه الاحداث ؟

— كان خميس والبقرى ينفذان مخططا شيوعيا لاشاعة الفوضى والتخريب فى كفر الدوار ، وهو مخطط لم يكن موقوفا على كفر الدوار فحسب ، بل المحلة الكبرى وشبرا الخيمة ، ولم يكن سرا ان الحركة الشيوعية بقيت مهيمنة على بعض العناصر العمالية المصرية حتى بعد قيام الثورة ، وهدف هذه الحركة

تشريد آلاف العمال لشحنهم ضد الجيش والقيام بثورة مضادة .

عندما بدأت عمليات الحرق والتدمير فكر عبد الناصر في إرسال أحد الضباط الاحرار لايقاف هذه المؤامرة ، واقتрحت أن أتولى المهمة لأننى كنت قادرا على حسم الموقف موضوعيا وبدون « انفلات أعصاب » والتصرف بدون رجوع للقاهرة

ولقد وجدت هؤلاء العملاء من المخربين قد قتلوا عشرة أشخاص جنود شرطة وعمال ، الى جانب الحريق والتخريب الذى أحدثوه فى كفر الدوار .

وعقدنا محكمة ثورة توليت رئاستها وتولى حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة وعبد العظيم شحاتة من الضباط الاحرار فى المدفعية المضادة للطائرات ، عضويتها وقام السيد «عبد مراد» عضو مجلس الشعب السابق بأعمال المدعى العسكرى ، ومن خلال قانون الاحكام العرفية الذى كان معمولا به منذ حريق القاهرة ، نظرنا الدعوى وأصدرنا أحكامنا . وبعد إعلانها وصل الى مجلس الثورة كما وصلنى برقيات عديدة من الهيئات السياسية والعمالية الشيوعية فى شرق أوروبا ، تهاجم الاحكام والقيادة المصرية وتهاجمنى شخصيا ولا زلت أحتفظ بهذه البرقيات حتى اليوم !

ولقد أوقفت هذه الاحكام استمرار الحركة الشيوعية فى تخريب وتدمير مرافق البلاد .

نسيت أن أذكر لك أننى لاحظت عدم وجود محامين أثناء المحاكمة للدفاع عن المتهمين ، وتطوع الاستاذ موسى صبرى وكان يغطى المحاكمة صحفيا ، بالدفاع عنهما باعتبارهما أحد خريجي كلية الحقوق .

سؤال :

سمعنا أنك والسيد رشاد مهنا ، كنتما خلف اعداد قوائم كبيرة من ضباط الجيش الذين أحيوا للمعاش ، أكثرهم من أصحاب الكفاءة والسيرة الشخصية الطيبة .. هل هذا صحيح ؟

— قيل لهؤلاء الضباط ذلك ، ولم يحدث أن اشتركت في اعداد قائمة ضباط لاخراجهم من الجيش ، ولكن الهدف من هذا القول هو خلق تيار معاد لنا ، ولولا يقظة بعض الزملاء الذين أدركوا هذا المخطط وفسروه لرفاق السلاح ، لصدقوا القصة ، ولقد اعترف أحد ضباط المدفعية برتبة نقيب ممن حوكموا بعد ذلك لزملائه في السجن وبعد أن رفض عبد الناصر اختياره عضوا بمجلس قيادة الثورة ، اعترف بهذا المخطط وابعاده ... وقال مفسرا :

— « كان مطلوبا التخلص من عدد ليس بقليل داخل مجلس قيادة الثورة » .

قلت للسيد عبد المنعم أمين :

معنى ذلك أنك لم تشترك على الإطلاق في اعداد قوائم تطهير الجيش من الضباط ؟

— لم أشترك ، ولكنهم سألوني رأيي بالنسبة لسلاح المدفعية ، وقلت لهم ان رشاد مهنا أدري منى بهذه المسائل ، وقد شغل فترة طويلة أركان حرب قوات القاهرة ، وعلى دراية تامة بكل ضابط ... ومدى علمي ان رشاد مهنا حدد أسماء قليلة جدا لابعادها عن الجيش ، وهي المجموعة التي لا يختلف اثنان على فسادها ، غير

ان هذه القائمة تطورت وتطور حجمها الى عدة أضعاف
رشاد مهنا وزملاؤه

سألت :

لماذا لم تشترك في محاكمات أحرار المدفعية والمشاة
والمدفعات. ورشاد مهنا الذين قبض عليهم وحقق معهم
وحوكموا بعد تصفيتهم أمام قيادة الثورة ؟

لقد طلبت بصفتي عضو مجلس قيادة الثورة صورة
من التحقيقات التي أجريت مع هؤلاء الضباط ، وقال
عبد الناصر ان زكريا محيي الدين سيعطيها لك ، ولكنه
تجاهل الطلب أكثر من مرة ، وأحسست بالمناورات
وسط المجلس ، وبيعش الإشاعات تلقن لعدد من الضباط
يرددونها في وحداتهم ومجالسهم ضدى ، وقررت
الاستقالة ، وأرسلتها الى جمال عبد الناصر الذى عاد
بها ومعه كمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر ، ومزقوها
أمامى ، واقترح جمال اجازة أقوم بها طلبا للراحة ،
وفي خلال اجازتى صدرت أحكام قضية رشاد مهنا ،
فعدت من جديد وكتبت استقالتي للمرة الثانية .

وفي مايو ١٩٥٣ ، عقدنا اجتماعا بناء على طلبى ،
وتزعم صلاح سالم حملة هجوم مؤداها ان عاصفة في
الجيش والبلد ضدى ، وتكلمت بصراحة مطلقة ...
وقلت اننى على استعداد للمحاكمة اذا كانت هناك
اتهامات محددة تستطيعون مواجهتى بها ، والا فانى
سأغادر مصر الى الابد .

واقترح عبد الناصر اجتماعا ثانيا ، وعرض على أن
اشغل منصبا دبلوماسيا بالخارج واعتذرت ، وانصرفت
الى بيتى .

وعلمت انه أجرى عملية جراحية فزرتة بالمستشفى
واذا به يخبرنى ان مجلس الوزراء سيصدر قريبا قرارا
بعد ساعات بتعيينى سفيرا لمصر فى فرنسا ، طلبت منه
الفاء هذا القرار على الفور ، وألمم تصميمى أمسك
التليفون وألقى القرار !

وقد تحدث عبد الناصر بكل هذه التفاصيل كما بلغنى
بعد ذلك ، أمام أعضاء مجلس قيادة الثورة ، الذى
أصدر قرارا بتعيينى سفيرا لمصر فى هولندا ، لكى
يضعنى أمام الأمر الواقع .

وبدأت حملة ضغط لاجبارى على السفر ، جاءنى
أمين شاكى وتكلم عن القبض على ومحاكمتى ، اذا لم
أسافر ، وقام الرئيس أنور السادات بدافع الصداقة
والوفاء بزيارة أبى وشرح له الاخطار التى تهددنى وطلب
تدخل والدى رحمه الله لاقتناعى بالسفر .

ووافقت ، وبينما أستعد للسفر فوجئت بجمال عبد
الناصر وأنور السادات وعبد الحكيم عامر ، يزورونى .

وسألنى عبد الناصر ضاحكا :

هل قبلت المنصب الجديد ؟

قلت : نعم قبلته ... وسأسافر بعد ايام

ضحك مرة أخرى وقال :

— لماذا تسافر .. ؟ ! المهم قبورك المنصب وخلص !

وفهمت انه يعنى ابعادى عن مجلس قيادة الثورة ..
فقط !

وهل سافرت ، أم بقيت بالقاهرة ؟

نعم سافرت وقضيت عامين ونصف عام سفيراً لمصر
في هولندا ثم ألمانيا ، وعدت الى القاهرة بناء على طلبى
قائلاً فى خطاب لى أرسلته للرئيس الراحل . . . ألا يكفى
أن أظل « منفيًا » هذه المدة وقد وعدت بأننى سأقضى
فترة لن تزيد على أشهر ستة !

اذن ما رأيك فى تهمة التآمر التى حوكم من أجلها
ضباط المدفعية - مع رشاد مهنا . . ؟

لم يكن هناك تآمر بمعنى اعداد مؤامرة والاتفاق على
انقلاب ، البعض يعلن رفضه لما يحدث بصوت عال ،
وفى ذهنهم أن أعضاء مجلس قيادة الثورة ضباط مثلهم
تماما ، ولكن المجلس كان يعمل بحساسية شديدة ،
فيلقى القبض عليهم خوفا من تطور الأمور . .

ثوار المدفعية

ان قصة « المدفعية » قبل الثورة وفي ليلة الثورة ، قصه عامرة بالاسرار والتفاصيل المثيرة التي لم تنشر حتى الآن ، وكانت المدفعية أيام النظام الملكي كسلاح يضم المدفعية ميدان والمدفعية المضادة للطائرات بفروعها المختلفة ثم المدفعية الساحلية ، وقد برز منها خلال الاعوام الاولى للثورة بعد أن اختفى اسم البكباشي عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة وكان ضابطاً بالمدفعية المضادة للطائرات كما قرأنا في الصفحات السابقة ، برز من المدفعية اسم المرحوم صلاح سالم والصاغ كمال الدين حسين .

والحقيقة اذكر اننى حاولت عدة مرات أن أستمع الى قصة ثوار المدفعية من الصاغين صلاح وكمال سنوات طويلة ولم أنجح ، وانتقل صلاح سالم الى رحاب الله ، والتقيت بكمال الدين حسين ودار بيننا حوار طويل في نوفمبر ١٩٧٥ ، وعرفت منه انهما كانا حريصان على عدم الادلاء بأى أسرار حول ثوار المدفعية في المرحلة الاولى للثورة كي لا يغضب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وقد أوصى جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة بكتمان هذه التفاصيل ، بل انه كما قلت في أول فصول الكتاب غضب حين علم بأن بعض أحرار المدفعية

يَجْتَمِعُونَ لتسجيل دورهم وطلب من كمال حسين أن
يقنعهم بالعدول عن هذه اللقاءات ونسيان هذه المهمة ،
وإعداداً بأنه سيتكفل بها !

كيف كانت البداية ؟

ماذا يقول كمال الدين حسين عام ١٩٧٥ ، عن تشكيل
أحرار المدفعية قبل ١٩٥٢ ؟

لقد ترك لي الرجل بعض أوراقه سجل فيها خواطره
ويبدو أنه كان يعتزم كتابة مذكراته ثم عدل عن ذلك .
وها هي سطورہ أنقلها كما هي :

« كانت قصص ثورة ١٩ تروى لنا وتطرق مسامعنا
ونحن بعد صفار .. معاركها بطولاتها شهدها ..
الاحتلال الانجليزى .. كيف جاء الى مصر ومن ساعده
في احتلال بلادنا ، وجهاد عرابى وزعماء الثورة العراقية
وخيانة الخديوى والسلطان وخنفس ، وبعض الاعراب .

وتتردد حوادث دنشواى وقصة أهل دنشواى
والذين ترافعوا ضدهم وجبروت اللورد كرومر وقصة
مصطفى كامل والحزب الوطنى وجهاده ، وكلها قصص
واحاديث يتكلم بها الكبار وتطرق أسماع البراعم
الناشئة فيسبحون بالخيال ويروا رؤيا ويحلمون أحلاما
ويتقدون وطنية .

ويسمعون عن الحرب العالمية الاولى ، والتحفظ المصرى
ضد الانجليز ، ويسمعون عن السلطة وما مارسه فيها
العدو المحتل بواسطة أعوانه من قهر وتسخير للناس
والجمال والدواب والموارد ، وما أصاب الشعب من عنف
وارهاق ... قصص الذين ذهبوا ولم يعودوا ، والذين

أثروا من السحت ومن العمالة ومعاونة العدو .
ونستمع الى أغاني الشباب المقاتل الذي يرجعه
الحنين الى أمجاد جيشه وهو يقول :

ليه يا أمي بتبكي عليا
وأنا مسافر الجهادية
ده حب الوطن فرض على
وترد الأم :

الفرقة صعبه يا مرادى
والفرقة ها تشعل نارى
كتبوك بياده واللا سوارى ؟
واللا نفر فى الطوبجية ؟
ويرد الابن :

ليه يا أمي بتبكي عليا
يا أمي قوليلى كلمة تشجعنى
وخلي أهلى تودعنى
وادعى لى ربي يرجعنى
وموش ضرورى البدلية
ليه يا أمي بتبكي عليا
صوت المدافع فى الميدان
زى السكمنجة والعيدان
والحرب مجعول للشجعان
والصيغة تلبسها وليه
ليه يا أمي بتبكي عليا
نوم السراير للعاشق
أما احنا نومنا فى خنادق

نعمل مخداتنا بنادق
وفرش وغطا بطانيه
ليه يا أمى بتبكي عليا
ساعة الخطر ننصب أرواحنا
نطوى العدا تحت جناحنا
نفدى وطننا بأرواحنا
وادی أساس الحرية
ونذهب الى المدرسة لنحفظ النشيد الذى كتبه
المرحوم مصطفى صادق الرافعى ونردده كل يوم :
اسلمى يا مصر اننى الفدا
ذى يدى ان مدت الدنيا يدا
أبدا لن تستكينى أبدا
اننى أرجو مع اليوم غدا
وبين مقاطع النشيد نقول بكل الحب يملاً صدورنا :
لك يا مصر السلامة
وسلاماً يا بلادى
ان رما الدهر سهامه
أتقيها بفؤادى
واسلمى فى كل حين

غنت النساء لسعد

لم تكن أغنيات الشعب تتردد فقط فى المدارس ، بل
فى القرى والمقاهى والنوادر والبيوت ، فى الحوارى ،
والشوارع ، وبين الصغار والكبار ، ويتشبع وجداننا
اليافع بحب مصر ونعى دورنا حماية ودفاعاً عن مصر ،
ونسلم كيف ثار الطلبة الأولون ، وكيف ثار الموظفون

والعمال والفلاحون ، وكيف ثارت السيدات والفتيات ،
وكيف اتحدت الامة بجميع هيئاتها وطوائفها ، وكيف
نقى سعد ، وكيف غنت له النساء وهن يحدثن أطفالهن
وكيف فشلت محاولات لجنة ملنر وكيف عاد سعد ،
وكيف استقبل ...

والكلام عن الدستور ولجنة الدستور وصيـدور
الدستور ، وعلان الاستقلال بالتحفظات الاربعة ..

وبدأت الاحزاب تعمل ، وبدا الصراع بين انصار
سعد زغاول وعدلى ، ثم حادث السردار ، وجبروت
الانجليز وتعنتهم ، وانسحاب الجيش المصرى من
السودان .

اينما ذهبت فهذه احاديث الناس .. ويذهب الصبية
الصفار الى مدارسهم فيسمعون اساتذتهم يروون لهم
التاريخ بصدق وينشدون معهم :

مصر العزيزة هي الوطن

وهى الحمى وهى السكن

ونستعيد فى المدرسة ما سمعناه فى منازلنا ... قصة
النضال الوطنى من التاريخ القديم الى العصور الوسطى ،
ومصر المسلمة وتاريخ الاسلام وسيرة الرسول والخلفاء
وابطال المسلمين وعدل الاسلام وتحرير البشر ، ونور
القرآن وصدق الايمان وغزوات الفكر والعلم قبل غزوات
السيف ، وقصة الصعود الى ذرى المجد ثم الترف
والتواكل والاضمحلال ، وقصة الصحوات التى استرجعت
فيها الامة نفسها ووقفت تصدغارات التتار والصليبيين ،
وقصة الترك بأمجادهم وطغيانهم ، والظلام الذى ساد
على أيديهم أربعة أو خمسة قرون ، ثم التمزق وملوك

الطوائف والممالك ودويلات الاقزام ، ثم قصة الرجل المريض وقد نهشت كل دولة مستعمرة جزءا من جسده وطالما تاقت الى افتراسه ...

ثم قصة نابليون في الشرق ومناجزة الانجليز له ، وقصة محمد علي وصحوة جديدة سرعان ما أخدمتها يد « الكارتل العالمى » وقد تصدى لقهر القوة الفتية الناشئة وهى فى سبيلها لكى تعيد صحة الرجل المريض وشبابه ، ولكن قوى الاستعمار العالمى تحول دون ذلك ، وتضرب ضربتها القاصمة .

وكانت سنة ١٩٣٥ ، ونحن ندرس التاريخ الحديث لمصر ، ونؤدى الامتحان بالمدارس فى كل ادوار التاريخ تاريخ مصر القديم وبابل واشور والعصور الوسطى ، والاسلام ، ومصر الحديثة ...

ونعيش الصراع حول الدستور ...

والذين يقولون انه ثوب فضفاض وكيف أنشأ اسماعيل صدقى حزب الشعب وزور الانتخابات وأصدر دستور ١٩٣٠ ، وقصص أصحاب اليد الحديدية ، والمترفعين عن حكم الفوغاء وصراع الملك والاحزاب ، وسيطرة المندوب السامى البريطانى ..

ويأتى دور المطالبة بالجلء ، ويرفع الطلبة شعار الجلء بالدماء ، ويسخر مدرس اللغة الانجليزية « الانجليزى » الجنسية فى غطرسة من حماس المصريين ، ويقول لنا : « نظفوا انفسكم أولا واقتلوا الدباب الذى يصيب اطفالكم بالعمى » .

ويستشيط الطلبة غيظا من ذلك الملعون ، وتخرج المظاهرات ويأتى مشروع « صدقى - بيفن » ليسقط ،

فتظهر معاهدة ٣٦ ويستمر الصراع بين الاحزاب .

ويتجمع الشباب ، وتتجمع الجماهير ، والطلبة دائما في المقدمة ، ودائما تتجه المظاهرات الى بيت الامة ، او تنطلق منها ، ولم أكن بعيدا قط عن تلك الاحداث ، كنت كشباب مصر تلك المرحلة اشارك فيها بكل طاقتي وفكرى ومشاعرى ... هكذا كان أغلب جيسلى وهو يعيش الثلاثينات ...

والتحقت بكلية الحقوق لأستمع الى محاضرات على بدوى والشيخ أبو زهرة وعبد الحكيم الرفاعى وعبد المنعم بدر ووايت ابراهيم ...

ويردد « وايت ابراهيم » أمامنا قول « العلامة بارتيلمى » فى سياق الحديث عن النظم الدستورية ، والحياة البرلمانية :

« ليس العيب عيب الدساتير وانما العيب عيب الرجال ... الرجال الذين يطبقون الدساتير والقوانين » . نعم ...

هناك نوعان من الرجال ، رجال يزورون الدساتير والقوانين ويدلسون فى تطبيقها ويضحكون على عقول الجماهير ، ورجال ينزهون النص عن التزوير ويلتزمون الروح فى التطبيق ولو كان دون ذلك مناصب او ارواح .

الحرية قبل الحقوق

لقد تقدم كمال الدين حسين مرتين الى الكلية الحربية قبل أن يلتحق بالحقوق ، وترفض أوراقه لصغر سنه . وفى الحقوق يلتحق بالتدريب العسكرى الجامعى وكان يتزعم حركة التدريب العسكرى للشباب المرحوم الدكتور محجوب ثابت ، وأحاديثه تخاطب مشاعر ووجدان الشباب .

كان الرجل يعمل على استعادة روح الجندية في شباب مصر ، بعد أن عمل الانجليز على اخمادها واخماد ثورة عرابي ، وكان نشاطه دائما بين شباب الجامعات قائلا : « من غيرهم أولى ببعث روح الجندية والفداية في شباب هذه الامة » .

واتجه « كمال » الى التدريب مع غيره من أبناء تلك المرحلة ، يمارسون برامج التدريب العسكري صباحا ومساء ، ويدفعون ثمن ملابسهم العسكرية ويضحون بساعات الراحة في سبيل اشباع هذه الروح .

وفي منتصف العام ينجح في الالتحاق بالكلية الحربية .

منتصف عام ١٩٣٨ - وصور الماضي ببطولاته من الطلبة الابطال والشهداء ، الذين أصيبوا والذين اعتقلوا والذين حوكموا وأعدموا ، قهر الانجليز وترف الاغنياء والاقطاع ، الجلاء بالدماء ، كل هذه العوامل والاحاسيس كانت أشبه بحافز ضخم يدفعه للالتحاق بالكلية الحربية . . ربما كان بخياله تصور ما لعمل وطني يقوم به اذا أصبح ضابطا بالجيش ، فالعسكرية نمت في روحه هدف ووسيلة ، بل وهواية أيضا .

واقتربت الثلاثينات من نهايتها ، وعدد ليس بقليل من طلبة الكلية الحربية بينهم كمال الدين حسين يقتربون من الحياة العامة بأحداثها السياسية ، وثمة مجموعات منهم تبذل أقصى جهدها بحثنا عن طريق تمضي فيه وتحقق أهدافها وأمانها ، فاتصلوا بالاحزاب لا بحكم تنظيم يجمعهم ويرسم لهم خطاهم بل بحكم العمر والطبيعة ، اتصلوا بالاخوان المسلمين ، وبالحزب الوطني ، وبالحزب السعدي ، وحزب الوفد ، ومصر الفتاة .

قال لى السيد كمال الدين حسين :

— « أذكر أننى ذهبت مع أحد الاصدقاء الى الاخوان المسلمين وكانت قيادتها تعمل فى مسكن أعلى فندق البرلمان بالعتبة الخضراء ، ذهبت اليهم لايمانى بأن الدعوة الاسلامية دعوة حققة ، ومبادئ الاسلام فى العقيدة والشريعة لو طبقت لحققت العزة والسعادة ، وآيات القرآن شاهدة على ذلك ، فالشباب المؤمن لا يسعه الا أن يسعى مع الساعين على هذا الدرب » .

وعن الاحزاب قال لى :

— « بهرتنسا لفترة ما تنظيمات الشباب بقمصانها الخضراء لمصر الفتاة والزرقاء للوفد .. ثم ظهرت بعد ذلك أنها كادرات للديكتاتورية » .

وجاءت مرحلة المتوسط بالكلية وهو يدرس بمدرسة المدفعية حتى تخرجت دفعته فى نهاية عام ١٩٣٩ واستمر بعد ذلك بمدرسة المدفعية .

كانت تلك الدفعة كبيرة العدد وهى معروفة فى القوات المسلحة « بدفعة ٢٩ » ، ضمت الى جانب كمال الدين حسين ، المرحوم صلاح سالم ، ومن رجال الحكم السابقين صلاح نصر وطلعت خيري وسعد زايد وعلى صبرى ، كما ضمت الفريق أول محمد الجسمي وزير الحربية حاليا والفريق محمد على فهمي رئيس الاركان .

رشاد مهنا والفقى

فى هذه الفترة التقى السيد كمال الدين حسين بالسيد رشاد مهنا « مدرس المدفعية المضادة للطائرات بمدرسة المدفعية — والوصى على العرش بعد قيام الثورة —

والسيد أحمد حسن الفقى مدرس المدفعية ميدان —
وكيل وزارة الخارجية بعد ذلك وهما كما قال لى « من
جيل المدرسين الذين حملنا لهم كل الاحترام والتقدير
لوطنيتهم وقدراتهم العسكرية » .

والتحق كمال الدين حسين بوحدة مدفعية ميدان
بعد تخرجه وظل شهورا بالقاهرة ، بعدها تحرك مع
مجموعة أطلق عليها « القوة خفيفة الحركة » تضم قوات
من إيسوارى ومدافع الماكينة والمدفعية الخفيفة وبعض
الوحدات المساندة ووحدة طيران — الى الصحراء الغربية
لاحتمال اشتراكها فى عمليات ضد القوات الإيطالية —
وكانت منطقة عمل القوة المصرية ما بين مرسى مطروح
وواحة سيوة وحينما تقرر عدم دخول مصر الحرب ،
عادت الوحدة خفيفة الحركة الى القاهرة ، والتحق
كمال الدين حسين مدرسا بمدرسة المدفعية — جناح
مدفعية الميدان .

ولقد وقعت قصة ذات دلالة هامة تكشف عن مدى
تماسك هذه المجموعة من شباب ضباط المدفعية ، ولم
يكن لينضم خريج الكلية الحربية الى هذا السلاح ، الا
إذا كان يتمتع بدرجات عالية فى التفوق والكفاءة
الحربية .

تردد فى تلك الفترة ان الانجليز والحرب العالمية
الثانية مشتعلة قرروا نزع سلاح الجيش المصرى تأمينا
لهم .

« واثارنا ما سـمعناه » هكذا يروى لى السيد
كمال الدين حسين :

« وتجمعنا نحن صفار الضباط ، وكان معى المرحوم

عز الدين ذو الفقار ضابطا بالسلاح - المخرج السينمائي
بعد ذلك - واتجهنا للعمل الجماعي - التقينا بالقادة
القدامى والضباط الجدد لنضع خطة عدم تسليم سلاحنا
الى الانجليز ، والوقوف معا في وجه قوات الاحتلال -
وعملنا على ترتيب توجيه مدفعيتنا الى مطار المازة وكان
مطارا انجليزيا حريبا لفتح الثيران عليه اذا قدم الانجليز
على نزع سلاحنا .

نعود الى مدرسة المدفعية حيث التقى ضابط المدفعية
الشاب كمال الدين حسين من خلال موقعه كمدرس
بالمدرسة مع عدد كبير من ضباط السلاح ، الخريجين
الجدد من الكلية الحربية وقدامى الضباط من مختلف
الوحدات ، ومنهم من هم اكبر سنا ورتبة ، جاءوا الى
المدرسة للحصول على فرق تخصصية ، وكان « كمال »
يدرس لهم تجمعهم زوج وزمالة واخوة ووطنية ورفقة
سلاح وحماس هائل لاعلاء شأن سلاحهم وجيشهم
وشعبهم .

ومن خلال هذه العلاقات واكثر خدمته قضاها
بالمدرسة ، توطدت ونشأت ارتباطات ومفاهيم فكرية
ووطنية ، تدعمها مشاعر متجانسة متقاربة ، وصادقات
أخذت تتوسع وتنمو بمرور الايام ، عبر لقاءات مستمرة
وجلسات حوار وفكر لا تنقطع .

لم تكن له حياة خاصة كبعض الشباب ، كان يلوذ
بالقراءة والمعارف الحديثة لتدعيم قدراته كمدرس
مدفعية صغير السن والرتبة ، ويلوذ بالقرآن لحماية
شبابه وأفكاره من التلوث ، وهو اتجاه نزع اليه منذ
المرحلة الابتدائية أكثر ثوار يوليو وقد حصل « كمال »
على الجائزة الاولى في الدين وهو في السنة الاولى الدراسية .

محمود ليب

ووقعت أحداث فبراير ١٩٤٢ ، واشتعل الشعب ضباطا وجنودا وشبابا وعمالا وموظفين بحصار الدبابات الانجليزية لقصر عابدين ، وفرض ارادة الاستعمار على السيادة المصرية ، وكان طبيعيا أن يظل الحادث محور مناقشاتنا طويلا وسؤال واحد كبير يلح علينا .. هو .. كيف الخلاص ؟ » .

ثمة وقفة هامة هنا لابد منها تتعلق كما يقول « السيد كمال الدين حسين » برجل أشبه بطاقة ضخمة من النشاط والحركة والوطنية ، هو « المرحوم محمود ليب » . .

« لقد ظهر هذا الرجل بيننا في بداية الأربعينات وعرفنا أنه ضابطا قديما منذ أيام الجيش التركي ، وحارب الايطاليين في ليبيا وأحيل الى المعاش برتبة صاغ - رائد الآن - لنشاطه الوطني ضد قوات الاحتلال والملك بين شباب وكبار العسكريين والمدنيين .. »

« كان دمث الاخلاق ، محدثا لبقا ، دائرة معارف متنقلة ، قوى البنية ، يرتدى القميص المفتوح صيفا وشتاء ، وعرفنا أنه أحد المرتبطين بالاخوان المسلمين »

« ولم يكن أحدنا يملك الا أن يحب هذا الرجل والاستماع اليه والبحث عنه إذا افتقدناه ، ومن جانبه كان حريصا على استمرار لقاءاتنا وجلسات الحوار والفكر في مستقبل مصر وخلصها » .

ويستطرد كمال الدين حسين :

« في حي السيد زينب كنت أسكن ، وفي الحي

نفسه يسكن الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف والتقينا
وكنّا نستخدم تراما واحدا في الذهاب والعودة ،
ونتحدث في كل شيء » .

« وذهبنا معا الى جمال عبد الناصر بمنزله في منطقة
تقاطع شارع أحمد سعيد مع شارع الملكة نازلى ،
والتقيت هناك بالصاغ محمود لبيب لأول مرة ، ثم
ذهبنا الى اجتماع الاخوان المسلمين بتشجيع من المرحوم
محمود لبيب .

وكانت بداية الاتصال مع عبد الناصر .

وبقيت زيارتى للاخوان المسلمين مع بعض الزملاء
تتم كأصدقاء وليس كأعضاء مدونين في سجلاتهم ، كما
بقى محمود لبيب أشبه بحلقة اتصال بين الضباط
الوطنيين ليس في الجيش فقط بل في الطيران أيضا ،
بقى بيننا كأب حنون يحاول الجمع والربط بين أبنائه
الموزعين في مناطق متعددة أحيانا ، وكانت هذه العلاقات
تجمعه مع عدد ليس بقليل من الضباط كبار الرتب » .

وتكررت لقاءاتهم في بيوت رفقاء السلاح في بيت جمال
عبد الناصر ، وبيت كمال حسين ، وأبو المكارم
عبد الحى ، وخالد محيى الدين ، وعثمان نورى ..
وغيرهم ثم تطورات اجتماعاتهم من لقاءات حوار في
الدين والأخلاق والوطنية ، الى تكوين شعب صغيرة
العدد ، وجمع اشتراكات مالية ، وتخزين للسلاح
والقنابل ، وبقى تحمسهم كشباب مؤمن أقوى من قبضة
البوليس السياسى والمخابرات الملكية وعيون الانجليز .

وتحت سائر المذاكرة وتحضير الدروس ، وقليل من
الحذر ، ظلوا يلتقون .

في تلك الفترة التي أعقبت حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، أخذ الملك فاروق يتقرب من الجيش والضباط ويزور الأسلحة المختلفة ويحضر المناورات ويتحدث الى صغار الضباط حتى جاء عام ١٩٤٤ وكان الملك يشهد مناورة تشترك فيها المدفعية - فأمسك بخرائط المناورة وأخذ يفحصها ووجد مدونا عليها اسم اليوزباشى « نقيب الآن » كمال الدين حسين ، فطلب من القادة أن يرى هذا الضابط .

واهتم القادة بأن يذكروا « كمال » بضرورة تقبيل يد الملك بعد أن يصافحه ، ويحثونه طوال الطريق على ضرورة تقبيل يده الكريمة ، ووقف الضابط الشاب أمام الملك ، حياة التحية العسكرية ، وصافحه مصافحة لم يكن فيها شبه انحناء ، ثم انصرف كمال الدين حسين ، بين ذهول الجميع .

وقام وزير الحربية ورئيس الأركان وقائد المدفعية بتقبيل يد الملك ، وتناقل القادة والضباط هذه القصة ، بينما اليوزباشى كمال الدين حسين يقول لزملائه مفسرا سلوكه :

- « الجندى لا ينبغى له تقبيل يد أحد ، الجندى لا ينبغى له أن ينحنى لأحد » .

منشورات ١٩٤٧

وجاء عام ١٩٤٧ ، وقبض على عدد من ضباط المدفعية .. « رشاد مهنا وأنور الصيحي وأحمد قواد وممدوح جبه وغيرهم » .

كانوا قد طبعوا منشورات معادية للواء إبراهيم عطا الله باشا رئيس الأركان أيامها على أثر إقالته للواء

عبد الواحد سبل الذي رفض التوقيع على صفقة سيارات غير مطابقة للمواصفات ، وبعد ظهور المنشورات والقبض على عدد ليس بقليل من الضباط عملت السراى على تشريد عدد كبير آخر منهم ، وتوزيعهم على المناطق النائية البعيدة .

ال الجولة الاولى

وتوقف نشاط الضباط الثوريين قليلا ليستردوا أنفاسهم ، ثم ظهرت مقدمات الجولة الاولى فى فلسطين عام ١٩٤٨ فتجمعوا وفكروا فى الامر والموقف الجديد . .

ذهب كمال حسين وجمال عبد الناصر ورفاقهما الى لقاء الشيخ أمين الحسينى بمنزله فى منطقة الزيتون وتحدثوا معه ، واتجهوا الى الاستاذ عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية وقتها فى منزله أيضا ، وفى اعتبارهم ماضيه النضالى ضد الجيش الايطالى فى ليبيا ، وهدفهم هو القيام بعمل فدائى موحد ، مؤمنين بأن الفدائيين يمكنهم العمل الكبير بالامكانيات القليلة ، كما اتجهوا الى المرحوم الشيخ حسن البنا وكان يعد الفدائيين للتطوع بالعمل الفدائى فى فلسطين .

فى ذلك الوقت كان كمال حسين قد نجح فى امتحان مسابقة القبول بكلية اركان حرب ، سبقه اليها بالدراسة عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، غير أنه استغنى مؤقتا عن الالتحاق بكلية الاركان من أجل التطوع فى عمليات الفدائيين بفلسطين عام ١٩٤٨ .

وقدم استقالته من القوات المسلحة كما فعل كثيرون مثله لكى يمتلكوا حرية الحركة والانتقال كفدائيين ، وبحثوا مع المرحوم البطل أحمد عبد العزيز ومع بعض

رجال الجامعة العربية أفضلية أن يحملوا معهم عنصر مدفعية خفيفة ومدفعية مضادة للمصفحات .. ويعبد مفاوضات مع الجيش وافقوا على اعطائهم الآتى :

{ مدافع هاوتزر .

{ مدافع مضادة للدبابات .

وتولى كمال حسين قيادة مدافع الميدان ومعه المرحوم انور الصيحي وخالد فوزى ، وتولى حسن فهمى قيادة المدافع المضادة للدبابات ، وذهبوا الى فلسطين ومعهم أيضا المرحوم الشهيد سالم عبد السلام ، وعبد المنعم عبد الرؤوف ، ومعروف الحضري ، ومحمد حسن ، وانضم اليهم بعد فترة شريف أباطة كضابط اشارة ، وحمدي واصف من المشاة ، والمرحوم مصطفى كمال صدقي وقد تولى عمل مخابرات الفرقة التي ضمت متطوعين من السودان ومن ليبيا الى جانب الاخوان المسلمين المصريين جاءوا من أنحاء مصر ، ورحبوا جميعا بأن يتولى البطل أحمد عبد العزيز قيادتهم ، وقد عرفه ضابطا من أشجع ضباط السوارى ، درس لهم التاريخ العسكرى والفروسية ، وعاش رجلا قويا بإيمانه ووطنيته .

ولقد عهد المرحوم أحمد عبد العزيز الى كمال الدين حسين بتولى أركان حرب الفرقة الى جانب قيادته للمدفعية ..

قال لى السيد كمال الدين حسين :

« قاتلنا بإيمان قوى تزود به الجميع ، جعلنا مالكين دائما للمناورة الجيدة والحركة الواعية حتى اننا لم نكن أبدا هدفا للعدو ، وكنا نأمل فى تدعيم هذه الفرقة

واستمرارها في تطبيق تكتيكاتها المعتمدة على خفصة الحركة حيث لا يتوقع العدو ، ثم التحرك لتوجيه ضرباتنا ، وهو أصلح تكتيك لمواجهة العدو ، غير ان قيادة الجيش لم تكن مستوعبة ولا مستعدة لهذه الحرب المتحركة مفضلة الالتصاق بالارض عبر خطوط طويلة غير قوية يمكن اختراقها بسهولة والالتفاف حولها .

كان زحف فرقنا الى خان يونس بالسيارات فوق شريط السكك الحديدية ، ومضينا فوق الفلنكات الخشبية حتى لا تعترضنا القوات الانجليزية التي كانت تحتل طريق الاسفلت ، وكان مركز قيادتنا وتجمعنا في « مدرسة خان يونس الثانوية » حيث قدم لنا الاستاذ سامى أبو شعبان ناظر المدرسة خدمات كثيرة واستمر في تقديمها الى ان انتهت حرب فلسطين ، ووقعت معركة دير البلح ، أصيب فيهبسا معروف الحضري بجراح خطيرة ، نقل بعدها الى القاهرة ، وجرحنا أنا ، ونقلنا الى مستشفى غزة ، لبضعة أيام وقبل أن تشفى جراحى جاء المرحوم أحمد عبد العزيز لنتدارس خطة التحرك التالى ، وفعلا تحركنا الى غزة ، وضربنا المستعمرات الصهيونية المجاورة لها بشدة ، وفي هذه الفترة جاءت طلائع الجيش المصرى وسلمناها غزة .

ثم زحفنا الى بير سبع عن طريق غير مطروق ، كان دليلنا فيها المرحوم على الخلفاوى من المجاهدين الفلسطينيين ، ووصلنا الى بير سبع وضربنا المستعمرات المقامة حول بير سبع نفسها .

وفي احدى هذه المعارك استشهد بجوارى المرحوم أنور الصيحي وبعد ذلك تحركنا شمالا الى الخليل وتركنا بعض قواتنا للدفاع عن بير سبع واتخاذها قاعدة للقيام بعمليات متحركة منها ضد المستعمرات القريبة .

الضرب والحركة

واستمرت عمليات الضرب والحركة في تصاعد حتى وصلنا الى بيت لحم على مشارف القدس ، كانت قواتنا وقوات الفلسطينيين من جهة وقوات الجيش الاردنى من جهة أخرى واستولينا على مستعمرة رامات راحيل ، ولكن للأسف بعد أن جردها اخواننا المتطوعون من الخليل من الإبقار والماشية والمحاصيل الزراعية التى كانت بها ، شحناها فى لوارى وغادروا المستعمرة ، واستمرت المستعمرة خالية الى أن رجع اليها اليهود مرة أخرى .

ولم تكن قواتنا كافية من الناحية العددية لاحتلال أرض كثيرة .

واكتفينا بحصار رامات راحيل ..

واصطدمننا بالعسكو كثيرا فى المستعمرات والمناطق المحيطة بالقدس ، وبتجميع قوات المتطوعين الفلسطينيين حولنا أمكن احتلال حلقة من المواقع فرضنا بها حصارا محكمة على القدس حتى أصبحت على وشك التسليم ، وارتفعت معنوياتنا عاليا رغم أننا كنا بعيدا عن القوة الرئيسية للجيش وهو وضع كان له تأثير على امداداتنا .

واستمر حصارنا المحكم حول القدس ، وقطعت الامدادات عن العسكو من جميع الجهات ، وإذا بالهدنة الاولى تفرض علينا فى ١١ يونيو ١٩٤٨ ، وتسكت المدافع ويتوقف القتال ويسودنا الحزن والاسى ونحن ترى الامدادات والذخيرة والسلاح والاطعمة تدخل الى الصهاينة تحت أعيننا .

وبعد أن عزز اليهود أنفسهم بالسلاح والذخيرة والمتطوعين قاموا بخرق الهدنة في جبهات متعددة ، وتخلي الجيش الاردنى بقيادة جلوب باشا عن اللد والرملة وكان هذا الموقف حاسما في فك الحصار نهائيا عن القدس ، وأصبح مثلث الرعب كما كان الصهاينة يطلقون عليه بعد أن هددهم بالاختناق داخل القدس أصبح هذا المثلث في خبر كان .

كان هناك موقع منعزل في العسلاج بين العوجة و بير سبع احتله اليهود بعد خرق الهدنة وهددوا طريق بير سبع بعد ذلك قاموا بهجوم على منطقة جبل المكبر ، وهو جبل حاكم في منطقة القدس وخسر اليهود في هذا الهجوم خسائر كبيرة وصمدت فيها قواتنا بشجاعة منقطعة النظر وأحدثت فيهم المدفعية خسائر كبيرة وأسروا ثلاثة أسرى وظهرت في هذه المعركة بطولات كثيرة .

وتدارسنا الموقف بعد أن أصبح طريق امداداتنا مهددا وطريق بير سبع غير مطمئن اما أن تعزز قواتنا بما يكفى لتأمينها واما أن تعود قواتنا الى بير سبع لاتخاذها قاعدة لعملياتنا ونترك بيت لحم والخليل للجيش الاردنى وقوات المتطوعين الفلسطينيين التى كان على رأسها المجاهد عبد الحليم الجولانى الشهير بأبى زيدان ، وبذلك تتمكن قواتنا من التخلص من الخطوط الدفاعية وتمارس تكتيكها المفضل « الضرب والحركة » واصطياد قسوافل العدو أينما وجدت .

وجاء المرحوم صلاح سالم يزورنا موفدا من اللواء المواوى قائد القوات المصرية ، وذهب مع المرحوم أحمد عبد العزيز وحسن فهمى عبد المجيد الى القدس لمقابلة

لجنة الهدنة ومندوب الأمم المتحدة في القدس ، وكان ممثل اليهود في لجنة الهدنة موسى ديان ، للاتفاق على تحديد الخطوط الفاصلة بين القوات المتحاربة .

وصمم المرحوم أحمد عبد العزيز على السفر قورا الى غزة لمقابلة اللواء الماوى ، ومناقشته في خطتنا ، وكان الوقت مساء قبيل الغروب ، فحاولت أن اثنيه ليؤجل السفر في الصباح ، وصممت ولكنه رفض مرة أخرى وقاد سيارته والى جانبه المرحوم صلاح سالم في طريقهما الى المجدل ، وللأسف أصيب بطلقة طائشة ، واستشهد الرجل في بداية الاسبوع الثالث من أغسطس ١٩٤٨ ، كما أذيع أيامها .

لقد كان الصراع بين الرؤساء العرب والمنافسة والصراع بين القادة العسكريين ، أقوى من الصراع مع قوات اسرائيل ، ولذلك بقى الجيش المصرى طوال هذه الجولة مكشوفاً ومهدداً باستمراراً كما ترك جناحنا نحن فرقة الفسديين رغم اننا لم نكن قوات نظامية ، وما أحدثته المدفعية البسيطة التى نملكها من خسائر فى قوات اسرائيل وقد عجزت عن الحصول على موقع واحد من مواقعنا ، وما نشرته الصحف المصرية من انتصاراتنا وهجماتنا الناجحة بعد أن زارنا « محمد حسنين هيكل » ممثلاً « لأخبار اليوم » و « سعد التائه » ممثلاً « للمصرى » هذه العوامل تركت بعض الغيرة لدى اللواء الماوى ، وقد انعكست على امداداتنا واقتراحاتنا !

حديث القطار

عاد المقاتل الفدائى كمال الدين حسين الى القاهرة ، لبدأ دراسته بكلية أركان حرب بعد فرض الهدنة الاولى،

ثم قطعت الفرقة بالكلية فجأة لخرق اليهود للهدنة وذهب كمال الدين حسين الى فلسطين مرة أخرى كضابط محارب ، وانضم الى أركان حرب مدفعية الفرقة المصرية مشاة في رفح ، وتولى المرحوم اللواء فؤاد صادق قيادة الجيش ، وقاموا بمعارك كبيرة كقوات نظامية ، وفي هذه المرحلة فكروا في انشاء قوات خاصة داخل الجيش يشرف عليها المرحوم على على عامر ، ووافق القائد العام على الاقتراح ، وتشكل جزء من هذه القوات فكانت نواة « للصاعقة » بعد ذلك .

ووقعت اتفاقية رودس ، وكان الصاغ جمال عبد الناصر محاصرا مع كتيبته في عراق المنشية بالفالوجا ، وقاتل معاركه البارزة أثناء الحصار ، ثم التقيت به بعد فك الحصار في القطار قادما من الفالوجا حتى أحد معسكرات الاستقبال بالعريش .. وأخذنا نتحدث ..

ـ « لم يكن بالطبع لقاءنا الاول ، فقد سبق ان التقينا مرات عديدة على مدى سنوات ما قبل الجولة الاولى في فلسطين ، تلك الجولة التي جعلتنا نلمس مواطن القوة ومواطن الضعف في جيشنا وقادتنا وساستنا ، كما جعلنا اشتراكنا في هذه الحرب بأقصى امكانياتنا البشرية جعلنا نبلور أفكارنا ورؤيتنا للواقع ، ولذلك دار حديثنا ونحن نستقل القطار معا من رفح حتى العريش ، حول المكان الصحيح للمعركة ، واتفقنا على ان معركتنا في مصر هي أساس العمل الناجح في فلسطين .

يقول كمال الدين حسين :

ـ أثناء العمليات الحربية في هذه الجولة برزت قيادات شابة ببطولاتها واقتدارها خلال الحرب .

ومن المدفعية ظهر كثيرون من أمثال محسن عبدالخالق
وأبو الفضل الجيزاوى وفتح الله رفعت وجمال نظيم ،
ومحمد غانم وقد حصلوا وآخرون على ترقية استثنائية
ونجمة فؤاد العسكرية لبطولاتهم ، كما كانوا من أوائل
خلايا الضباط الاحرار بعد ذلك .

وثمة حادث بسيط آخر في مظهره ، غنى بجوهره
ودلالته .. عشته في فلسطين .

كنت استقل عربة جالسا بجانب السائق ومعى بعض
الجنود ، واذا بالعدو يفتح نيرانه علينا حتى تحولت
العربة الى غربال ، وبحمد الله لم أصيب ، ثم تبينت
أن أحد جنودى أصيب فى رأسه ورفض أن يتكلم ، وحين
التفت اليه أسأله مدى أصابته ، قال لزملائه فى هدوء
وثقة :

— أنا مش مهم — المهم حضرة اليوزباشى مايكونش
جرااله حاجة .

هذا هو الجندى المصرى بأصالته وعظيم إيمانه
وتضحياته ، ورغم بساطة ما حدث إلا أنه فى العمق يعكس
روح أمة بأسرها حين تؤمن وتثق بقيادتها فهي تضحي
بأعلى ما لديها فى سبيل المبدأ وتنكر كل ذاتها فى سبيل
الهدف وتصنع المعجزات .

هذه هى مفاتيح النفس البشرية لشعبنا الاصيل ،
ورأى فى المقاتل المصرى ومعدنه بصنع المعجزات وهو
يقاتل معاركه اذا آمن بمبدأ ، ووثق فى قيادة ، لقد
قلت هذه المعانى قبل حرب أكتوبر فى لقاء لى مع القيادة
العليا وكنا نتحدث عن أصالة المقاتل المصرى وحتمية
انتصاره اذا قاتل معاركه منطلقا من هذا المناخ .

فترة توقف

وجاء عام ١٩٤٩ ، والمناسخ السياسى فى القاهرة أشبه ببركان لم ينفجر بعد ، واستطعنا أن نعيد النشاط الى تنظيمنا السرى ، وبرزت قيادات الضباط الأحرار على مستوى مختلف أسلحة الجيش ، وتكونت المجموعات على أساس الخلايا الصغيرة ، يجمعنا تجاوب وتفاهم وإخلاص ويعمل معنا عدد قليل من المدنيين الذين نثق بنقايتهم السياسى والأخلاقى ، وأصبح المرحوم جمال عبد الناصر محورا لنشاط الضباط الأحرار بعد وفاة المرحوم محمود لبيب ، واستطاع عبد الناصر بطاقاته واهتماماته ونشاطه المرتب المكثف ، أن يعمل على تجميع خلايا الضباط ، على مستوى جميع أسلحة الجيش .

وفوجئنا فى هذه الفترة بأن إبراهيم عبد الهادى باشا وكان رئيسا للوزراء أيامها يستدعى البكباشى جمال عبد الناصر لمقابلته ، ولم يسفر اللقاء عن أضرار أصابت حركتنا ، ولكننا قررنا تجميد نشاطنا مؤقتا .

« ولقد علمت فيما بعد الثورة ، أن إبراهيم عبد الهادى كان على خلاف مع السراى ، وأنه كان قاب قوسين من ترك الحكم وأن مقابلته مع جمال عبد الناصر كانت أقرب الى النصيحة والتحذير ، بعد أن أبلغته السراى بشكل ما عن نشاطنا وأن عبد الناصر هو محور هذا النشاط ، ثم ما لبثنا أن عدنا الى العمل السرى أكثر سرية ووضوحا فى الرؤية » .

كانت لجنة القيادة فى هذه الفترة مكونة من جمال عبدالناصر، وعبد المنعم عبد الرؤوف من المشاة ، وحسن

ابراهيم عن الطيران ، وكمال الدين حسين عن المدفعية ،
وخالد محيي الدين عن الفرسان - ثم انفصل عبد المنعم
عبد الرؤوف ، وانضم عبد الحكيم عامر من المشاة ،
وصلاح سالم من المدفعية ، وعبد اللطيف البغدادي من
الطيران، وكان الزميل البغدادي قد كون مجموعة أخرى
من رفاق السلاح الجوي ، واتصلت بالزميل حسن
ابراهيم ، وعن طريق هذا الاتصال توحد نشاطنا .

وبعد فترة انضم المرحوم جمال سالم عن الطيران
أيضا ، والرئيس أنور السادات عن الإشارة ، وكان
المرحوم جمال عبد الناصر قد اقترح ضمه الى لجنة
القيادة .

واقترح جمال عبد الناصر أن تبقى الحركة داخل
الجيش غير مرتبطة بالاخوان أو بأي حزب آخر ، ويبقى
نشاطنا بمنأى عن القيادات الحزبية ، ورفض عبد المنعم
عبد الرؤوف ذلك ، بدعوى أن الاخوان ستقوم برعاية
أسرة أى ضابط منا قد يقع له مكروه ، وقلنا له ان الله
هو الذى يرعى .

ولم يعن ذلك فك صلاتنا مع الاخوان التى استمرت
حتى ليلة الثورة وما بعد ٢٣ يوليو لفترة ، ولكننا فقط
حرصنا على ألا يتلقى الجيش تعليماته من رئاسة أى
هيئة أو حزب ، وتبقى أوامره منه واليه .

وحرص كمال الدين حسين وزملاؤه على ألا ينضم
أحد الى التنظيم قبل اجراء عدة اختبارات له ، كما
أصبحت رئاسة الخلايا تمضى عبر تسلسل سرى ، فى
المدفعية مثلا كان الغالبية العظمى من الضباط الاحرار
من زملائه وتلاميذه ، أو معارفهم وأصدقائهم ، كل تلميذ
له أو زميل سلاح مسئول عن التنظيم السرى فى الآلاى ،

ثم مسئولاً أمام كمال الدين حسين في النهاية . وهكذا الحال في بقية أسلحة الجيش وقادة التنظيم أعضاء مجلس الثورة بعد ذلك ، في تشكيلاتهم ووحداتهم . ومن هنا بقى التنظيم في قواعده وبالتالي في قياداته غير قابل للتصدع ، وكل يوم يكسب ضباطا جددًا في أسلحة أخرى بعد اجراء كثير من الاختبارات عليهم ، حتى نتأكد من الاستمرارية في العمل السرى الثورى . وفى عام ١٩٥١ بعد ان انتهيت من دراستى فى كلية أركان حرب عدت الى مدرسة المدفعية وطلبنى بعد فترة قائد مدفعية الفرقة الاولى مشاة فى رفح لأخدم هناك ، وبالفعل توليت أركان حرب مدفعية القوات المصرية بين رفح والعريش وسيناء ، وبجانب قيامى بتدريب الوحدات عملت على اعادة تنظيم خلايا الضباط الاحرار فى الفرقة وتدعيمها بعناصر جديدة خلال ثمان شهور قضيتها معهم .

وعدنا الى نشاطنا

ثم عدت الى القاهرة بعد أن طلبت رسمياً لأعمل مدرسا بكلية أركان حرب فى العاصمة . وفى كلية أركان حرب استدعى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر للعمل مدرسا - وهناك التقيت بالزميل زكريا محيى الدين الذى عين بهيئة التدريس أيضا . . . وعادت لقاءتنا ونشاطنا ، ويومها علمت لأول مرة أن البكباشى زكريا محيى الدين أحد أعضاء التنظيم السرى للضباط الاحرار عن لجنة القاهرة . واستمرت الخلايا السرية تتدعم وتنمو بكل نشاط وهمة .

« وجاءت عملية الغاء اتفاقية ٣٦ ، فى نهاية عام ١٩٥١ ، وظهرت حركة الفدائيين وأخرجنا ما نملكه من أسلحة وذخائر وقنابل كنا بدأنا فى جمعها وتخزينها سرا منذ عام ١٩٤٨ وسلمناها للفدائيين كما قمنا أو قام أكثرنا بتدريب الجدد منهم ، ثم وقع حريق القاهرة » .

وتقرر اجراء انتخابات نادى الضباط ، ورشح الملك حسين سرى عامر ، وقام الضباط الاحرار بتحدى رغبات الملك ووضعوا مندوبين لكل سلاح فى النادى ، واستطاعوا السيطرة على الانتخابات بتأييد من القاعدة العريضة من ضباط الجيش جميعا ، وحين نجحوا ، أدركوا انهم قادرون على التحرك وأصبحوا مالكين لراى عام عسكرى عريض ظهر بارزا خلال اجراء انتخابات النادى ، ونجاح اللواء محمد نجيب رئيسا لمجلس الادارة ، ورشاد مهنا سكرتيرا للنادى ، وحسن ابراهيم وزكريا محيى الدين أعضاء مجلس الثورة بعد ذلك ، أعضاء بالمجلس .

ووضع الضباط الاحرار فى حساباتهم احتمالات رد الفعل لدى السراى وكبار قادة الجيش واحتمال كشف التنظيم وخلاياه وكان المرحوم جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين يعملون تلك الفترة بالتدريس فى كلية الاركان ، وقد شعر الجميع بأن الملك لن يسكت ، وقد سبقهم بضربة مفاجئة ، فأخذ الضباط الاحرار فى العمل للمراحل النهائية للثورة ، وقد قال لى كمال الدين حسين اذكر أننا عملنا فى وضع الترتيبات النهائية للتحرك ونحن نقوم بتصحيح أوراق دفعة جديدة من الضباط تقدمت للالتحاق بالكلية ، وكان معنا الدكتور راشد البراوى لتصحيح مادة استراتيجيات الشرق الاوسط

اللمسات الاخيرة

« ووضعت خطة تحريك القوات وليس في أجسادنا عرق واحد لا ينبض بالثورة والتفكير فيها ، وكعضو لجنة القيادة المسئول عن المدفعية قمت بمهامي كما قام بها زملائي في الاسلحة الاخرى ، قمت بالمرور على الوحدات المختلفة بالسلاح للتأكد من تمام الاستعداد لدى القيادات الصغيرة ، لم نحدد لهم يوم التحرك حرصا على السرية غير أنني فوجئت ببعض الضباط يستعدون للقيام بأجازات فلم أعترض .. هكذا فعلنا في بقية أسلحة الجيش ، تركناهم يقومون بأجازاتهم رغم أهميتهم ليوم التحرك حرصا على سلامة وسرية الثورة ، وللأسف حرم بعض هؤلاء الضباط الاحرار ، من الاشتراك في ليلة ٢٣ يوليو » .

« ووضعت خطة تحريك القوات ثم نوقشت وأضيفت اليها لمسات أخيرة في اجتماع عقده بمنزل خالد محيي الدين ، وكانت الخطة تقضي ببساطة الى السيطرة على قطاعات الجيش بالعاصمة ومنع القيادات والرتب الكبيرة من الاتصال بقطاعاتها ووحداتها ومن ثم الحصول على تأييد كل الجيش والشعب ، وكنا على ثقة من قيام هذا التأييد ، فالجميع كان ينتظر هذه اللحظة » .

« وفي مساء ٢١ يوليو ١٩٥٢ عقدنا اجتماعا موسعا لضباط المدفعية في بيت أبو الفضل الجيزاوي أحد الضباط الاحرار بالسلاح ، وحضر هذا الاجتماع حسين الشافعي ممثلا لسلاح الفرسان ، وقررنا تأجيل الثورة ٢٤ ساعة أخرى حتى تستكمل بقية الاسلحة استعداداتها للتحرك » .

« ولا اعتبارات الأمن تعرر في آخر لحظة أن يكون الاجتماع التالي بعد ظهر ٢٢ يوليو موزعا بين منزلى محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت من أحرار المدفعية، وحدث أن بعض الضباط لم يوفق في الذهاب الى واحد من المكانين » .

« ولقد حضر هذا الاجتماع المرحوم جمال عبد الناصر، وتمت عملية توزيع الواجبات على قطاعات المدفعية » .

« قبل ذلك الاجتماع بساعات ، أى في صباح ٢٢ يوليو ذهبنا « الرئيس الراحل وأنا » الى السيد صالح أبو رفيق وكان من قادة الإخوان المسلمين ، وأخطرناه حسب اتفاقنا المسبق بموعد الثورة بهدف كسب تأييدهم لثورتنا ، كما اتفقنا معه على أن تقوم قوات من متطوعي الإخوان بالمعاونة مع وحدات الجيش للسيطرة على طريق السويس لصدد أى هجوم انجليزى يحتمل أن يتحرك نحو القاهرة صباح يوم الثورة » .

« وعدت الى منزلى لاستبدال بالقميص والبنطلون الملبس العسكرية ، وفعل المرحوم جمال عبد الناصر نفس الشيء وطلبت منه أن يعيد معه مسدسى الذى كنت قد أعطيته له من قبل ليحتفظ به فى مخزن خاص عهدة مجدى حسنين حتى يمكن حمل سلاحى ساعة التحرك » .

« وفى هذه الاثناء جاءنى بعض ضباط المدفعية ومعهم « الضابط حسن محمود صالح » ليقول ان شقيقة اللواء طيار متقاعد صالح محمود وكان معروفا لنا بتعاونه مع السراى ، قد عرف نبأ تحركنا من حديث جرى بين حسن والسيدة والدته التى استنتجت بأن ابنها يشترك فى حركة ضد الملك ، وخشيت عليه ، فأبلغت شقيقه

الأكبر الذى اتصل بدوره بالسراى !! » .

وانصرف الضباط ، وجاء جمال عبد الناصر وأخطرته بما حدث ، وكان رده « ان العجلة قد سارت ولا يهم ما حدث » .

« وتحركنا مبكرا ، واستفدنا تماما من التبكير بموعد التحرك لاننا كما سيأتى قد أمكننا أن نقابل كبار القادة الذين بدأوا يتوافدون على مراكز الاسلحة ويجدوننا فى استقبالهم .. كما استطعنا أيضا القبض على رئيس الاركان وبعض القادة الآخرين فى القيادة العامة اثناء اجتماعهم للقيام بضرب الثورة » .

الذين هربوا

« قبل ذلك بساعات ، كانت هناك تعليمات لعدد ليس بقليل من الضباط الاحرار بالبقاء فى بيوتهم حتى السادسة مساء ٢٢ يوليو الى أن نمر عليهم مرة أخرى وكما هو الحال فى كل الحركات عندما يجد الجند تخلفت القلة القليلة وقامت الاغلبية الساحقة بواجباتها » .

« ومن هؤلاء الذين هربوا أو تخلفوا ، من تولى بعد فترة من الثورة أكثر المناصب حساسية فى ادارة مرافق البلاد !! »

نعود الى تحركنا المبكر .. وأذكر أن قائد المدفعية اللواء حافظ بكري اتصل تليفونيا بادارة المدفعية فرد عليه الزميل فؤاد صالح ، أحد ضباط المدفعية الاحرار، وقال حافظ بكري :

— أنا جاي فى السكة حالا ..

وطمانه فؤاد صالح ..

« وذهبت ومعى أبو الفضل الجيزاوى وبعض الزملاء فى عربة جيب الى مدرسة المدفعية .. لم يكن معنا سلاح الا طبنجة واحدة وهى التى أحضرها الرئيس عبد الناصر لى معه ، وفى مدرسة المدفعية كان ينتظرنا على فوزى يونس ومبارك الرافعى وأحمد كامل وكانوا من أحرار المدفعية المضادة للطائرات وفؤاد صالح ومحمد المكاوى وفتحنا مخزن السلاح وسلمت باقى الزملاء أسلحتهم ، وتحرك فؤاد صالح وقوته الى طريق السويس لمواجهة لواء حدود بقيادة حسين سرى عامر كان يستعد للقيام بضربة مضادة لنا بعد أن علمت السراى بتحركنا وقطعت هذه القوة أسلاك التليفون بتحركها لآلاى الحدود واتصل فؤاد صالح بقائد الآلاى وأنذره بأن أى بادرة تحرك منه سوف يطلق عليه النيران . »

« وذهب أبو الفضل الجيزاوى الى رئاسة المدفعية للاستيلاء عليها والتحكم فى مواصلاتها ، وفعلنا اتصل به هناك الفريق حيدر باشا ، وتقمص الجيزاوى شخصية قائد المدفعية ، وتحدث مع حيدر تليفونيا عدة مرات مطمئنا سعادته ! » .

« وفى مركز تدريب المدفعية جاءنا اللواء على نجيب ، قائد قوات قسم القاهرة ، ومعه المرحوم البكباشى يوسف العجرودى أركان حربه ، وبعد مناقشة معه عما يتوقعه من الملك والانجليز من عمل مضاد لنا ، قبضت عليهما ، وأخبرته ان شقيقة اللواء محمد نجيب هو قائد الثورة ، وتركت للزميل بكباشى عبد المنعم أمين عضو مجلس الثورة فيما بعد ، وكان قد وصل أيضا أن يتحفظ عليهما . »

وفى مركز تدريب المدفعية قاد وحداتها مصطفى راغب

وحسن ضياء الدين والمرحوم سعد شحاتة .

« واتجهت الى زملائي بقية ضباط المدفعية للاطمئنان على تحركاتهم وتنفيذ الواجبات المخصصة لهم ، بعدها ذهبت الى مدفعية الفرقة المدرعة الموجودة ما بين طريق السويس ومداخل مصر الجديدة عند تقاطع رئيسى الطرق تسيطر عليه وحدة م - د بقيادة خالد فوزى حيث وصل قائد المدفعية اللواء حافظ بكرى وبرفقته أركان حربه عبد الفتاح كاظم وقابلت قائد المدفعية الذى لم يتصور قط وجودى واشتراكى بل وقيادتى لهذا العمل الذى تقصوم به قواته ونصحنى بأن الانجليز سيتدخلون ، وان باقى الجيش ضدنا ، فقلت له بل كل الجيش معنا . وجردهما الرجال من السلاح وتحفظنا عليهما فى مكاتب مدفعية الفرقة المدرعة مع اللواء على نجيب والعجرودى . »

« وفى نفس المنطقة أيضا تم القبض على بعض قادة الطيران بعد أنصرافهم من اجتماع رئيس الأركان » وأشرفت على خروج وحدات هذه الفرقة - وحدة جمال نظيم ووحدة محمد حمدى محمود ومحمد عزت عبد الفنى وربيع عبد الفنى وصلاح عبده وغيرهم وبقي مصطفى مراد على حراسة القادة المعتقلين حتى ارسالهم للكلية الحربية . »

« كانت بقية وحدات المدفعية بقيادة فتح الله رفعت ومحسن عبد الخالق وعيسى سراج الدين وعلى شريف وعبد الستار أمين قد تحركت من هاكستب بعد القبض على البكباشى المعتز بالله أركان حرب الفرقة المتمركزة بالمعسكر ، وقطعت طريقهما لتحتل أماكنها حسب الخطة » .

وكانت آخر نقطة في واجب المدفعية هي تقاطع الطرق عند مدخل معسكرات العباسية ، وكنت في تلك اللحظات أرافق وحدة مدفعية مضادة للدبابات يرأسها « الملازم ثان يوسف زين » للسيطرة على مدخل العباسية ، ووجدنا هناك قوة بوليس حربي مكونة من عدة عربات محملة بالافراد المسلحين بالرشاشات كانت مكلفة بمعاونة القيادة العامة في كوبرى القبة وأمام الأمر الذى أصدرته بالاستعداد لاطلاق النار لذت بالفرار ورجعت الى قيادة كوبرى القبة حيث وجدت اللواء حسين فريد رئيس أركان حارب الجيش ينزل من قيادته مقبوضا عليه الى الكلية الحربية وأدينا له التحية العسكرية وأخذنا فى الاتصال بباقي الوحدات فى جهات القاهرة المختلفة للاطمئنان على خروجها .

ذهبنا الى على ماهر

« ليلة الثورة كان السيد رشاد مهنا بالعريش وقد ساعد تلقائيا المرحوم جمسال سالم فى السيطرة على القوات الموجودة هناك فجر ٢٣ يوليو، بعد أن علم بقيام الثورة ، وكان المرحوم صلاح سالم فى رفح حيث قام بدوره أيضا » .

« وفى صباح ٢٣ يوليو ، أخذت قوات مشتركة من المدفعية والدبابات الى ميدان قصر عابدين لمحاصرة القصر الملكى » .

« وفى بداية الساعات الاولى كانت لنا السيطرة على القاهرة والقناة والاسكندرية وقد ظهرت طائرتنا فى سماء هذه المناطق وبدأنا مرحلة أخرى من العمل » .

« قررنا أن يتولى المرحوم على ماهر رئاسة الوزارة

وأن تقدم له بعض مطالبنا ، وهى مطالب أعدت للتمويه والخداع حتى لا تكشف أوراقنا كلها ، وفكرنا وعرفنا أن احسان عبد القدوس يعرف على ماهر ، فجئنا به وذهبنا الرئيس السادات واحسان وأنا الى بيته فى الجزيرة وفاتحناه فى تأليف الوزارة .

« لم يكن الرجل يتصور ان الثورة ستخلع الملك ، فوافق على اقتراحنا . »

« وفى يوم ٢٤ - ٢٥ يوليو تحسرت قوات من المدفعية والمشاة الى الاسكندرية وتحرك معها الاخوة لواء محمدنجيب وجمال سالم والرئيس السادات وحسين الشافعى وأحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ مشاة لحصار رأس التين والمنتزة بالاشتراك مع عناصر الضباط الاحرار بالمدينة . ولقد اشترك عبد المنعم عبد الرؤوف فى عملية حصار رأس التين تنفيذا لخطة عزل الملك . »

« وفى صباح ٢٦ يوليو قمت بقيادة قوة من المدفعية والدبابات الى قصر عابدين للسيطرة على القصر والقوة الموجودة به - وبعد استسلام قائد حرس القصر وتعيين أحد رجالنا قائدا له . . كان الملك فاروق يوقع وثيقة التنازل عن العرش ويستعد لمغادرة البلاد الى دون رجعة . »

وذهبت لفورى الى منزل أبى ، فى حى السيدة زينب، وكان لقاء بالاحضان والدموع ، كان الملك قد سقط . ودالت دولة .

« وبدأت مرحلة جديدة فى تاريخ مصر مفعمة بالأمل والأحلام . »

رشاد مهنا وأول صدام بين ثوار يوليو

كان لسلاح المدفعية دور كبير كما اتضح لنا من حديث كمال الدين حسين - قبل يوليو ١٩٥٢ ، كما كان حجم أحرار المدفعية في خلايا التشكيل السرى للضباط الثوار كبيرا أيضا ، بل أن المرحوم الصاغ صلاح سالم وهو ضابط مدفعية ميدان ، قام بنصيب كبير في إيجاد حلقات تعارف وصلة وتعاون وعمل مشترك بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كرئيس للهيئة التأسيسية ، وبعض الضباط الأحرار من العاملين في الاسكندرية ، والاغلبية منهم أبناء سلاح واحد - المدفعية ، وبالتالي قائدهم البكباشى عاطف نصار وهو من ضباط المدفعية الساحلية .

ولقد وقع أول صراع بين ثوار يوليو خلال الشهر الرابع على قيام الثورة ، وكانت المدفعية ممثلة في العقيد رشاد مهنا الوصى السابق على العرش ، وأحد الضباط الأحرار القدامى في سلاح المدفعية ، تمثل أحد طرفى الصراع ، والطرف الثانى هو مجلس قيادة الثورة بالطبع ، يؤيده قطاع كبير من أحرار المدفعية فى الوقت نفسه وبقيّة الاسلحة الأخرى .

ولقد أصدر مجلس قيادة الثورة في ١٤ أكتوبر ١٩٥٢ قرارا أحدث ضجة كبرى في الاوساط السياسية محليا وعالميا وفي الاوساط الصحفية الدولية ، وكان القرار يقضى بإقالة السيد رشاد مهنا من منصبه كوصى على العرش أو ممثلا لمجلس قيادة الثورة في لجنة الوصاية على العرش قبل اعلان النظام الجمهورى بثمان أشهر .

وفي ٧ يناير ١٩٥٣ ، صدر قرار آخر بالقبض على رشاد مهنا ، ثم أصدر مجلس قيادة الثورة الذى تشكل على هيئة محكمة لم يشترك فيها كل من اللواء محمد نجيب قائد المجلس والبكباشى أنور السادات عضو مجلس الثورة حكما بالسجن المؤبد على رشاد مهنا وعلى عدد آخر من الضباط بالسجن والطرده من الخدمة العسكرية ، وكان لهذه المحاكمة أول محاكمة « للثوار » فى عهد الثورة ، وقد عرفت بقضية المدفعية ، دوى فى أنحاء العالم .. وقد نشرتها صحف أوربية كثيرة بل وتابعت تطوراتها ، ووصفها كبار الكتاب والصحفيين الأجانب الذين كانوا يعملون من القاهرة ، وصفوها فى برقياتهم الصحفية بأنها أول صدام ينشب بين المؤمنين بالديمقراطية من ثوار يوليو وبين المدافعين عن الديكتاتورية .

وكان ضروريا أن أذهب وألتقى بالرجل الذى كان له شرف القبض عليه عام ١٩٤٧ بتهمة العمل مع بعض الضباط الآخرين ضد الملك وقياداته العسكرية ، وأعترف اننى فشلت فى أن أجعله يتكلم ، غير أن محاولتى معه استمرت أعواما حتى كان هذا الحوار الذى دار بيننا فى بداية عام ١٩٧٦ .

هذه هي القصة من بدايتها ..

في اليوم الثامن لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، أصدر مجلس قيادة الثورة برئاسة اللواء محمد نجيب قرارا بتعيين القائمقام رشاد مهنا وزيرا للمواصلات .

ورتبة القائمقام يعادلها الآن رتبة العقيد .

وسأل الصحفيون اللواء محمد نجيب :

— من هو رشاد مهنا ؟

— انه الأب الروحي للثورة .

وصدرت الصحف الصباحية يوم الخميس ٣١ يوليو ١٩٥٢ تحمل النبا وصور استقبال المرحوم على ماهر باشا رئيس الوزراء للضابط الوزير الجديد في وزارته وقالت صحيفة « الأهرام » ان القائمقام رشاد مهنا كان قائدا للكلية الحربية .

ولم يكن ذلك صحيحا ..

وتحدثت جماهير الشعب طوال ذلك اليوم عن القائمقام رشاد مهنا ، وقال كثيرون انه حتما الرجل الثاني في الثورة بعد اللواء محمد نجيب ، وانه دخل الوزارة ليبقى فيها ممثلا لمجلس قيادة الثورة ، الذي بقى يعمل في الخفاء تلك الايام ، ولم يعلن عن أعضائه ، وان كانت الصحف قد نشرت بعض الصور لاجتماعاتهم حول اللواء محمد نجيب بمقر القيادة العامة بكوبرى القبة .

كانت هذه الصورة المعانة للشعب ..

أما الحقيقة فمختلفة تماما ..

أكثر قيادات الاحزاب السياسية القائمة أيامها كانت تعرف رشاد مهنا وكثيرا ما قضى ليالى عديدة فى مناقشات سياسية مع أبرزهم قبل الثورة ، فرددوا انه أى رشاد مهنا ، هو القائد الحقيقى للثورة .

بعد ٢٤ ساعة من نشر النبأ ، وتخطيط الجماهير فى معرفة حقيقة هذا الضابط الذى تولى وزارة المواصلات ، بينما الشعب متعطشا للوقوف على أى أخبار عن هؤلاء الثوار الذين طردوا الملك ، نشرت الصحف ان السيد سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة حمل فتوى قسم الرأى بالمجلس الى على ماهر باشا رئيس الحكومة ، بشأن الوصاية على عرش مصر ، وكانت تنص على هيئة وصاية مكونة من ثلاثة ، يختارهم مجلس الوزراء ، وفى اليوم نفسه اول أغسطس ١٩٥٢ ، أصدر مجلس الوزراء قراره بتكوين هذه الهيئة ، وقد اختار لها بالترتيب الآتى هؤلاء الثلاثة :

— الأمير محمد عبد المنعم — من الأسرة المالكة .

— القائمقام محمد رشاد مهنا .

— الاستاذ بهى الدين بركات « باشا » .

وخلع القائمقام رشاد مهنا ملابس العسكرية ، وارتدى الملابس المدنية ، وبدأ يعمل فى قصر عابدين ، واستطاع خلق مناخ تعاون وصداقة بينه كشائر يمثل الجيش وبين عضوى الوصاية الأمير والباشا . ورغم ذلك لم تستطع الصحافة أن تنشر من هو رشاد مهنا ، وما هو دوره فى ثورة ٢٣ يوليو !

وانقضى شهرا أغسطس وسبتمبر ، وصدر قانون الاصلاح الزراعى ، ثم ظهرت الصحف صباح ١٤ أكتوبر

عام ١٩٥٢ ، بأول نبأ يحمل ملامح الخلاف بين ضباط القيادة العامة للقوات المسلحة أو ثوار يوليو .. نشرت الصحف في صفحاتها الاولى بيان القيادة العامة للقوات المسلحة باقالة « الوصى » رشاد منها .

وجاء في البيان :

— ان الوصى رشاد منها سمح لنفسه بمعارضة قانون تحديد الملكية « الاصلاح الزراعى فيما بعد » رغم علمه التام بأن هذا القانون هو حجر الزاوية فى الاصلاح الشامل الذى تريده الامة والجيش وقيادته ، وبلغ به التماذى ابعادا فأخذ يدلى بالتصريحات العامة للصحف والمجلات المصرية والاجنبية ، وتناول موضوع السودان وموضوعات داخلية من صميم سياسة الدولة ، ولايجوز له كوصى أن يصدرها .

وجاء فى البيان أيضا :

— « انه دأب على بث روح الفرقة بدعاية واسعة نحو غاية مرسومة حتى بدا أن هناك جملة اتجاهات للجيش ، وانه تجاهل النصيح والارشاد » .

وكانت مفاجأة لجماهير الشعب ، ولكنها لم تكن مفاجأة لبعض الصحفيين الذين اقتربوا كثيرا من مجلس قيادة الثورة ، أو القيادة العامة للقوات ، وشهدوا قدرا من بداية الصراع بين ثوار وأحرار يوليو ، ولم يكن ماحدث لرشاد منها الا حلقة من هذا الصراع الذى تكتموه جيدا !

نعود الى ١٤ أكتوبر ١٩٥٢ ، فنجد اللواء محمد نجيب رئيس مجلس الثورة يصرح للصحف بتأكيد صداقته للسيد رشاد منها ، واستمرار صداقته له ويعلن

بأن ما حدث ليس له أدنى تأثير على هذه الصداقة !!
وازداد تخبط الناس ..

وفي اليوم نفسه ١٤ أكتوبر ١٩٥٢ ، يوم اقالة رشاد
مehنا وقعت مفاجأة أخرى ، فقد قدم بهي الدين بركات
باشا الوصي الثالث على العرش استقالته ، وتقرر اسناد
الوصاية الى الامير محمد عبد المنعم فقط ، وقالت
الصحف أن التفكير اتجه الى انشاء وزارة جديدة لشئون
القصر .

من هم .. ؟

وتجاهلت الصحف بعد ذلك حكاية رشاد مهنا ، حتى
نساها الناس أيضا ، غير ان واقع الأمر كان يعكس صراعا
شديدا بين القاعدة العريضة من الضباط الاحرار الذين
قاموا بثورة ٢٣ يوليو ، وبين قيادتها المتمثلة في مجلس
قيادة الثورة برئاسة علية لواء محمد نجيب ، ورئاسة
فعلية للبكباشي جمال عبد الناصر ، وبين الاثنين كما هو
معروف دار صراع مرير لم ينته الا في عام ١٩٥٤ .

واستمر هذا الصراع محصورا داخل اجتماعات
الضباط الاحرار في أسلحتهم بالجيش ، ومناقشتهم حول
مصير البلاد ومصير ثورتهم التي قاموا بها ، وفي نطاق
اجتماعاتهم بأعضاء مجلس قيادة الثورة في كوبري القبة ،
وهي اجتماعات أقرب الى اللقاءات الجماعية ، وكانت
تتم يوميا تقريبا ، وتستمر عدة ساعات من الليل أو من
النهار ، وقد أخذ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر
يذهب الى الوحدات العسكرية في زيارات متكررة شبه
يومية في محاولة للسيطرة على هذه الصراعات وكبح
جماح الضباط الاحرار من صفار الرتب خاصة بين رتبة

« اليوزباشى - نقيب » الآن وملازم أول ، وهؤلاء يمثلون القاعدة العريضة لخلايا تنظيمات الضباط الاحرار في أسلحة الجيش والطيران ... وبالتحديد في « المدفعية » ثم المشاة والمدرعات ، حيث ارتفعت الاصوات بعض الشيء تسأل ماذا يفعل مجلس قيادة الثورة ... وفي أحيان أخرى كان السؤال ... من هم أعضاء مجلس قيادة الثورة ؟ !

ولقد تعمدت ذكر هذه الصراعات لأن لها صلة مباشرة بقضية رشاد مهنا ، وقضية ما قيل عنها بأنها أول صدام بين أنصار الديمقراطية ، وأنصار - الدكتاتورية ، من الضباط الاحرار الذين يتزعمون مناصرة الديمقراطية ويطالبون باجراءات ثورية محددة يمثلون ضباط المدفعية ، وقد توقف هذا الصراع بالقبض على عدد ليس بقليل من هؤلاء الثوار ... « احرار المدفعية » في النصف الاخير من اكتوبر ١٩٥٢ .

اننى اكتب هذه التفاصيل وقد عاشتها كصحفي تتردد كل يوم على مجلس قيادة الثورة ، ونزور أسلحة الجيش خلف البكاشى جمال عبد الناصر ، وكانت زيارته شبه يومية ، وكنا ثلاثة من الصحفيين نتابع هذه الزيارات باهتمام ومثابرة .

ومرت عدة أشهر ثم صدرت الصحف اليومية يوم ٣١ مارس ١٩٥٣ ، حاملة مفاجأة جديدة استوعبت عدة صفحات !

في ذلك اليوم نشرت الصحف بدون سابق مقدمات نبأ تشكيل مجلس قيادة الثورة على شكل محكمة وتاريخ صدور قرار تشكيلها في ٢٨ فبراير ١٩٥٣ ، لمحكمة

« ١١ » ضابطا على رأسهم رشاد مهنا ، وثلاثة مدنيين ،
بتهمة أحداث فتنة في القوات المسلحة . ومع قرار
التشكيل وأسماء المتهمين نشرت الصحف تفاصيل
الانتهاكات الموجهة للضباط والمدنيين الأربعة عشر ،
والأحكام التي أصدرتها المحكمة وتصادق رئيس مجلس
قيادة الثورة عليها .

وهنا مفاجأة أخرى ، فأول مرة بذاع اسم البكباشي
أركان حرب جمال عبد الناصر مقرونا بصفته الرسمية
وهي رئيس مجلس قيادة الثورة .

كانت هيئة المحكمة مكونة من جميع أعضاء مجلس
الثورة ، ماعدا « اللواء محمد نجيب والبكباشي أنور
السادات والبكباشي عبد المنعم أمين عضوي مجلس
الثورة ، وفي الوقت نفسه لم تنشر الصحف أي تبريرات
رسمية توضح عدم اشتراكهم في هذه المحاكمة . . . غير
ان الاستنتاجات والترددات كانت تقول بأن اللواء محمد
نجيب اعتذر عن اشتراكه في محاكمة أبرياء ، وان البكباشي
أنور السادات اعتذر هو الآخر لأن بعض الضباط من
المتهمين كانوا يعارضون منذ بداية الثورة انضمام كل من
البكباشي عبد المنعم أمين والبكباشي أنور السادات إلى
مجلس قيادة الثورة ، فرأى السادات أنه من الأفضل
عدم اشتراكه في المحاكمة حرصا منه على حياد المحكمة ،
وفي الوقت نفسه كان عبد المنعم أمين قد اختلف مع قيادة
الثورة واعتكف قليلا ، وهي القصة التي روينها كاملة
في الصفحات السابقة .

وقيل أيضا ان أنور السادات اعتذر عن الاشتراك في
المحاكمة ، قائلا : « لن أحاكم ضابطا مصرية . . أنا الذي
تعرضت للسجن والمحاكمة عدة مرات . . »

وصدرت الاحكام يوم ١٩ مارس ١٩٥٣ ، كما نشرت
الصحف في ٣١ مارس ، وكانت تقضى بالآتى :

١ - قائمقام « عقيد » محمد رشاد مهنا - بالسجن
المؤبد .

٢ - يوزباشى « تقيب » محسن عبد الخالق « ١٥
سنة سجن وطرده من الخدمة العسكرية » .

٣ - بكباشى ابراهيم عاطف « ١٠ سنوات سجن
وطرده من الخدمة العسكرية » .

٤ - بكباشى مصطفى واغب « ١٠ سنوات سجن وطرده
من الخدمة العسكرية » .

٥ - يوزباشى محمد سعد الدين عبد الحفيظ « ٧
سنوات سجن وطرده من الخدمة العسكرية » .

٦ - يوزباشى محمد عبدالله « ٥ سنوات سجن وطرده
من الخدمة العسكرية » .

٧ - ملازم اول محيى الدين الخولى « ٥ سنوات
سجن وطرده من الخدمة العسكرية » .

٨ - صاغ السيد ابراهيم « ٣ سنوات سجن وطرده
من الخدمة العسكرية » .

٩ - يوزباشى أحمد وصفى « ٣ سنوات سجن وطرده
من الخدمة العسكرية » .

١٠ - صاغ عبد العزيز هندی « سنة سجن وطرده
من الخدمة العسكرية » .

١١ - صاغ حمزة أدهم « الاستغناء عن خدماته » .

١٢ - مدنى طبيب عبد العزيز الشال « ١٠ سنوات سجن » .

١٣ - المحامى صبرى الحكيم « سنتان سجن » .

١٤ - المحامى محمود رشيد « سنتان سجن » .

وجاء بالبيان - ان المتهم الحادى عشر من العسكريين وهو اليوزباشى فتح الله رفعت لم تجر محاكمته لمرضه .

وسنعود الى بعض هؤلاء الضباط فى الصفحات القادمة .

وكانت التهم الموجهة الى القائم مقام محمد رشاد مهنا ، الوصى السابق على العرش ، انه سعى مع آخرين لاحداث فتنة فى القوات المسلحة باغراء عسكري ، وانه قال لبعض الضباط ان القيادة تعتزم ان تقسم فى مصر جمهورية غير دنية ، وذلك بشهادة ٦ من العسكريين المتهمين وهم « مصطفى راغب ومحمد عبد الله و ابراهيم عاطف وعبد العزيز هندى وحمزة ادهم ومحمى الخه لى » كما شملت قائمة الاتهام الموجهة لرشاد مهنا ولزملائه ، « التمهيد لاستخدام القوة عند اللزوم ، وتجميع عدد من الضباط لاجراء أى عملية فى الوقت المناسب ، والقبض على ضباط القيادة .. أى أعضاء مجلس قيادة الثورة » !

لقد التقيت بالسيد رشاد مهنا عدة مرات ... فى نهاية يوليو ١٩٥٢ ، وفى شهرى أغسطس وسبتمبر من نفس العام وقبل القبض عليه بأيام قليلة ، ثم التقيت به مرة أخرى فى الايام الاولى من يناير ١٩٧٥ ، بعد الحاح شديد منى ، لى أستمع الى حقيقة وخلفية هذه الاحداث ... وأقف على التفاصيل الدقيقة لقصة أول صراع على السلطة بين قمة ثوار يوليو ، وهو الصراع

الذي أطلق عليه البعض بعد ذلك « صراع أنصار الديمقراطية وأنصار الديكتاتورية » بين الضباط الأحرار أعضاء الخلايا السرية في الجيش المصري، الذين قاموا بثورة يوليو ١٩٥٢ .

ولد السيد رشاد مبنا عام ١٩٠٩ - بقرية التوفيقية - بحيرة - لأب من قدامى خريجي الأزهر الشريف . . . قال لي الرجل :

- « قامت ثورة ١٩ وكنت تلميذا بالمدرسة الابتدائية فتفتح وجداني على الثورة ، وقصص أبطالها وتشحياتهم الجليلة . . »

« وانتقلنا إلى طنطا لنعيش فيها حيث تقيم أقرب مدرسة ثانوية للمنهج التي لم تكن تضم مدارس ثانوية في تلك الفترة من بداية العشرينات ، وفي نهاية المطاف أقام الانجليز معسكرا اقرباً إليهم ، كنت أقف أمام هذا المعسكر طويلاً أشاهد ما يجري بداخله . . ثم رحلت قوات الاحتلال إلى القاهرة وحلّت قوات مصرية لتتولى في المعسكر ، وتقوم نظام أسبوعية بشوارع طنطا ، تتقدمها الفرق المسبقة ، وقد ارتطمت نفسي بهذا الطاهر ، وعشت أتبعه بهشاشي كلما ، وكانت بداية ارتباطي بالنفس ، بالحشر ، بالأعجاب بضابطه المميز .

وحاولت الالتحاق بالمدرسة الحربية ، وعارضت أمر ، والحقن ، بكافة الطب التي قضيت بها عاماً كاملاً ، وما لشت أن عدت إلى المدرسة الحربية ، بعد أن اقنعت ، والذي بضرورة التحول ، والتحقت بها عام ١٩٢٩ ، وتخرجت بعد ثلاث سنوات ، ضابطاً بسلاح الدفعية . « كان الجيش في الثلاثينات يتكون من الفرسان ،

والمدفعية ، والمشاة ، يخدمون حسب توزيع عسكري
وضعه الانجليز ...

- الفرسان .. يبقون في القاهرة بصفة دائمة ...
- المدفعية .. موزعة بين القاهرة والعريش والسلوم
- المشاة .. بين القاهرة والعريش والسلوم واسكندرية
ومنقباد ..

وكضابط مدفعية حديث التخرج خدمت في العاصمة
عامين ثم نقلت الى العريش حيث قضيت بها عام ١٩٣٤ ،
وفي عام ١٩٣٥ ، خدمت بالصحراء الغربية » .

وفي عام ١٩٣٧ ذهب السيد رشاد مهنا الى بعثة
عسكرية ... في إنجلترا وكان الاول على بعثته ، وعاد
عام ١٩٣٨ ليعمل مدرسا للمدفعية المضادة للطائرات
« م - ط » بمدرسة المدفعية ، التي تضم جميع المدفعية ،
مدفعية الميدان ، والمدفعية الساحلية ، والمضادة للدروع
والمضادة للطائرات ... وكانت بداية لقاءات فكر وحوار
مع رفاق السلاح ، وصفار الضباط من المدفعية وأسلحة
أخرى فكر وحوار حول الدين والوطن والأخلاق ، حلقات من
المعلمين وصفار الضباط ... الذين تجمعهم اهتمامات
واحدة ، وأفكار متقاربة ، ونقاء في السلوك ونضج في
الفهم ...

وفي منتصف الأربعينات ، تولى رشاد مهنا أركان
حرب قوات قسم القاهرة ، وهي ما يطلق عليها الآن
المنطقة المركزية ، وبحكم الوظيفة أصبح على صلة
واسعة بجميع ضباط الجيش الذين ينقلون من القاهرة
الى أنحاء مصر وبالعكس ، وظل الرجل دائما شقيقا
أكبر للضباط ، وزميلا وفيا ، لرفاق الدفعة وقدامى

الزملاء ، وعرفه كل من اقترب منه ضابطا متدينا متمسكا بتعاليم الدين قارئاً ممتازا في عديد من العلوم ، عسكرية وغير عسكرية ، ورجلا جريئاً لا يتردد عن قولة حق ، له اهتمامات وطنية ورؤيا سياسية غير حزبية ، لايساير الخطأ أو صاحبه ، مستقيم الاحكام والاراء ، رفيع السلوك ، ومن هنا كانت شعبية رشاد مهنا في المدفعية بصفة خاصة ، وبقيّة أسلحة الجيش بصفة عامة ، بل أصبح الجيش المصرى يضم جيلا من الضباط يمكن أن تطلق عليهم أبناء رشاد مهنا .

تحقيق لم يتم .. !

وعرف عن الرجل عدة مواقف جريئة صلبة صامدة ضد كبار الرتب من قادة الملك ... منها على سبيل المثال قصة تكريم العميد المرحوم عبد الواحد سبل ، وهذه القصة رواها لى بعض ضباط المدفعية منذ سنوات والتي اكدها لى المرحوم يوسف صديق وجاء ذكرها فى الفصول السابقة .

كان ابراهيم عطا الله باشا رئيس الاركان قد طلب الى العميد عبد الواحد سبل التوقيع على صلاحية صفقة سيارات للجيش ، وقال العميد سبل انها لا تصلح ، وأصر على رفض الصفقة ، فصدر قرار رئيس الاركان باحالة الرجل الى الاستيداع .

واجتمع رشاد مهنا بضباط عبد الواحد سبل ، واتفقوا على اقامة حفل تكريم للرجل ، واستغل وظيفته كأركان حرب قسم القاهرة وحصل على التصديق العسكرى باقامة الحفل فى نادى ضباط الجيش ، وساهم كل ضابط بمبلغ معين ، وفى الحفل القى كل من رشاد

مهنأ ، وىوسف صديق خطابا وطنيا تحدثا فيه عن ضرورة رفض الانحراف ، ومقاومته فى كل مكان ، ودافعا عن نقاء الجيش وضرورة حمايته من التلوث .. وأثار الخطابان ضجة كبيرة بين أسلحة الجيش ، وبصفة خاصة خطاب أركان حرب قوات قسم القاهرة ، وهو منصب له حساسية عسكرية فى تحركات وحدات الجيش ...

واستدعى رئيس الأركان - الصاغ رشاد مهنأ للتحقيق معه ، واستدعت إدارة المخابرات الحربية ضباطا آخرين ممن أشاركوا فى الحفل ... ثم تجمد الموضوع فجأة ... ولم يفصل أحد أو ينقل الى مكان بعيد !!

لماذا .. ؟

قال لى أحد ضباط المدفعية القدامى :

- « لقد تلقت المخابرات الحربية تقارير سرية حول تجمعات تعقد خلصة بين حين وآخر فى منازل بعض ضباط المدفعية ، وان هؤلاء الضباط لهم نشاط ثورى ضد الملك وذكرت هذه التقارير بعض الاسماء ، وكانت لضباط من المشاة والمدفعية ، ومن بينهم المرحوم يوسف صديق ، والصاغ رشاد مهنأ ولذلك نصحت المخابرات رئيس الأركان بتجميد موضوع حفل تكريم العميد عبد الواحد سبل واعتباره عملا تافها ، لكى تتمكن المخابرات من القبض عليهم بعد ذلك ، متلبسين بالنشاط السرى المضاد للنظام الملكى » .

« ولم يفطن أحد لهذه الخدعة إلا بعد أن ظهرت أول منشورات ثورية بين ضباط المدفعية تحرض على التمرد

والثورة ، والقبض على ١٧ ضابطا ، والتحقيق معهم
... حدث ذلك عام ١٩٤٧ » .

ولقد أبلغت المخابرات الحربية والبوليس السياسى
معا عن رشاد مهنا فى ذلك الوقت ، فقبضت عليه النيابة
العامة ، ثم باشرت التحقيق معه ومع زملائه !

واستطاع رشاد مهنا أن يجعل التحقيق يسفر عن
لا شىء فى النهاية ، كما استطاع الضباط الآخرون
المقبوض عليهم بتماسكهم وصلابتهم إنهاء التحقيق
بالحفظ ، لعدم ثبوت الادلة ...

« علق السيد رشاد مهنا .. على هذه الفصة قائلا:

— « تذكرت هذه الفترة أثناء التحقيق معى خلال
محاكمتى أمام الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس
الثورة ، وبخىالى قارنت بين أجهزة الملك فاروق ،
وأسلوبها ... وبين جمال عبد الناصر وبعض رفاقه ..
وأسلوبهم ! ! »

« ولا يسعنى اليوم أن أقول عن تلك الايام الماضية
من عام ١٩٤٧ ، الا انها كانت فريدة ... أيام سيادة
القانون قبل اجازته الطويلة »

عاد رشاد مهنا الى عمله بعد التحقيق معه ، كما عاد
بقية الضباط الى مواقعهم ، واكتفى رئيس الاركان بنقل
عدد قليل منهم الى مناطق نائية ! !

وتوقف نشاط الضباط الثوار فى المدفعية مؤقتا ،
وذلك شىء طبيعى ... ثم قامت الجولة الاولى من حرب
فلسطين عام ١٩٤٨ ، وتقدم رشاد مهنا يطلب السماح
له بالاستقالة للتطوع ، فرفض طلبه ، ومرة ثانية حين
ذهب الجيش المصرى كجيش نظامى للحرب تقدم رشاد

مهنًا طالبًا شرف القتال فرفض طلبه مرة أخرى ...
وفي الفالوجا ... قام الرئيس الراحل جمال عبد
الناصر بنشاطه المكثف بين الضباط من أجل « العمل
سرا » بعد العودة إلى القاهرة ... كما هو معروف
ونشر من قبل عدة مرات، ثم عاد عبد الناصر عام ١٩٤٩
إلى العاصمة ، وبدأ يتصل بمن رشحهم لرئاسة خلايا
الضباط الأحرار في تنظيمه السري داخل أسلحة الجيش

بصراحة ...

قال لي السيد رشاد مهنًا :

— كنت أعرفه بحكم وظيفتي كأركان حرب قسم
القاهرة ، كما أعرف بقية ضباط المشاة والأسلحة
الأخرى ، وذات صباح ، يوم الجمعة على ما أذكر ، فوجئت
به يزورني بدون سابق موعد — في منزلي بحمامات القبة
وتكلم عبد الناصر في الموضوع قائلاً :

— « انني أعرف تمامًا من هو رشاد مهنًا الذي جئت
إليه اليوم لألتقي به في بيته وأعرف تاريخه ومكانته ،
ولذلك سأحدث بصراحة تامة معك ... لقد قمت مع
زملاء من أسلحة مختلفة بتكوين تنظيم سري داخل
الجيش ، ونريدك معنا ... ما رأيك ؟ »

وقال لي السيد رشاد مهنًا وهو يستعيد حديث ذلك
اليوم البعيد ...

— « تحدثت أنا الآخر معه بصراحة مطلقة ، قلت له
لا أريد أن أنضم لجماعة تعمل سرا أو تنظيم سري ،
وبالتالي لا أريد الانضمام إلى حزب أو هيئة أو رابطة
ما ، لأنني رجل يؤمن بالعمل في الضوء .. كما أرجو

الا تفهم من حديثي هذا اننى غير موافق على نشاطكم ،
بل ستجدنى متحمسا دائما لكم »

واستغل عبد الناصر بمهارته الشخصية هذه الاجابة ،
وأقنع رشاد مهنا فى النهاية بأنه يكتفى بقاء مع زملائه ،
ويبقى بينهم وقتا قصيرا يتحدث اليهم ..

قلت للسيد رشاد مهنا :

— ترى ... ماذا كان فى رأس جمال عبد الناصر ،
تلك اللحظة .. ؟

وقال الرجل وقد أغمض عينيه :

— ذلك شىء يعلمه الله وحده ، ولم يكن بوسعى
لحظتها أن أتبين نواياه ، ولكنى كنت متحمسا حقيقة
لنشاط هؤلاء الشباب .

وتواعدا ... وذهب رشاد مهنا برفقة جمال عبد
الناصر الى بيت الضابط مجدى حسنين بشارع منصور
— بباب اللوق حيث وجد زكريا محيى الدين وعبد
اللطيف البغدادى ، وحسن ابراهيم ، وجمال سالم .

ودار حديث طويل ... شربوا خلاله عدة اكواب من
الشاي ..

قلت : فيم تحدثتم ؟

— قال : استمعت اليهم أولا ، فوجدت لديهم تصورا
بضرورة التخلص من كبار الضباط ، قادة وأعوان الملك
فاروق .

سألت : هل تحدث عبد الناصر فى هذا الموضوع
ايضا ؟

اجاب : لا .. كان أكثرهم صمتا ...

ولقد عارضت أسنوبهم وبينت لهم الجريمة والخطأ في هذا الاقتناع . وتحدثت اليهم بضرورة اختبار تأثيرهم في الجيش أولاً ، وأهمية إجراء مثل هذا الاختبار ، وعلى ضربه تخططون لرحلة فادمة ، وعرضت عليهم بعد ذلك وفي لقاءات أخرى ، اقتراحاً لإجراء الاختبار ، وهو الانسـتراك بخلاياهم السرية في انتخابات نادي الضباط ...

فأت للسيد رشاد منها :

— معنى ذلك أنك اشتركت تدريجياً في التنظيم السري . رغم إعلانك لعبد الناصر ، أنك رجل لا تؤمن إلا بالعمل في الضوء ؟ !

وعلق الرجل بقوله :

— ليس اشتراكاً بمعنى الاشتراك في النشاط ، فقد ظل دوري بالنسبة لهم دور الأب الموجه ، المتحمس لنشاط أبنائه .

مزايا محمد نجيب

وجاء عام ١٩٥٢ ، وقرر المرحوم جمال عبد الناصر وزملاؤه تنفيذ اقتراحى بترشيح رجالهم في انتخابات نادي ضباط القوات المسلحة ، وتساءلوا ... من الرجل الذى يمكنهم وضعه على رأس قائمة المرشحين ، وبالتالي يمكنه الفوز برئاسة النادي ؟

واستطرد السيد رشاد منها :

واقترحت اسم اللواء محمد نجيب ، وشرحت أسباب ترشيحي له :

أولا - هو رجل معروف بوطنيته وثقائه

ثانيا - انه ليس عميلا للسراى

ثالثا - أبعدوه عن سلاح الحدود تلبية لرغبة ملكية،
ليحل بدلا منه اللواء حسين سري عامر ، أحد أعوان
الملك ورجاله فى الجيش .

رابعا - انه رجل يمكن التفاهم معه والاتفاق على أى
خطوط ، ويمكنهم الاعتماد عليه ولن يستقل بنشاطه
على الإطلاق .

وأيد الجميع ترشيحي ، وفوضونى فى مفاتحة اللواء
محمد نجيب ، وذهبت اليه وفاتحته فى الامر، فوافق
على الفور ... ودخلنا انتخابات نادى الضباط .

وجاءت نتيجة الانتخابات كما توقعنا ، بعد اجراء
اتصالات مكثفة واسعة مع جميع العناصر الوطنية من
الضباط ، وانتخبنا محمد نجيب رئيسا للنادى

وجاء يومها من يهمس فى أذنى قائلا :

- « كن على حذر .. لقد سمع الملك عن نشاطك ،
وقال متوعدا ... هو اسمه رشاد مهنا أو رشاد
الشيشكلي ؟ ! »

وحاول الملك عن طريق بعض كبار ضباطه تعديل
قانون نادى الضباط ، وكنت فى ذلك الوقت التقي بعدد
ليس بقليل من الضباط الأحرار ، فقلت لهم كما قلت
لللكباشى جمال عبد الناصر ، انه من الأصوب ألا نلتقى
هذه الفترة لأننى بالضرورة مراقب ، ولقد سمعوا
بحكاية رشاد الشيشكلي التى أطلقها الملك ، وماذا يعنى

هذا القول ؟ قلت لهم هذا خوفاً وحرصاً عليهم . . .

كنت في ذلك الوقت قد رفيت الى رتبة عقيد ، او قائمقام ما قبل الثورة ، فصدر قرار بنقلى قائداً للالاي الاول مدفعية في العريش ، وهو عمل عسكري قيادى مرتبط بواجبات رتبتي ، وما يجب ان يسند لمن هو في رتبة بكباشى مثلاً او قائمقام . .

وجمعت عبد الناصر واعضاء لجنة القيادة او لجنة القاهرة كما كان يطلق عليها قبل الثورة وفلت لهم اننى ذاهب للعمل في العريش ، وتحدثت معهم عن ضرورة تماسك أعضاء مجلس ادارة النادى ، وضرورة ان يكون الاتصال بيننا مشافهة وحددنا اسماء الرسل الذين نثق بهم ، ولم يعترض واحد منهم .

عدت أسأل : لقد ترددت قصة عام ١٩٥٣ ، تقول بأن الضباط الاحرار فوجئوا بعد قيام الثورة بأنك قدمت طلباً سرياً راجياً نقلك الى العريش، عندما عرفت بقرب موعد الثورة ، وذلك حتى لا تتورط بالاشتراك فيها ، وان صلاح سالم أخبر جمال عبد الناصر، وبقية أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار، بهذه القصة حين علم بها مصادفة قبل الثورة ، فلم يصدقها أحد ، ولكنهم عثروا على الطلب بعد قيام الثورة . . ما هى حقيقة هذه القصة ؟

وأجاب الرجل :

— هى قصة مختلفة ، استغلوا واقعة متصلة بها ، ونسجوا هذا الخيال بهدف تشويه موقفى ، على أثر القبض على ومحاكمتى في مارس ١٩٥٣ . . اما الحقيقة فسأرويها لك . .

كان المرحوم صلاح سالم معروفًا بالاندفاع الشديد وقد علم بأمر نقلى الى العرش ، وخيل له ان المقصود من قرار النقل هو التنكيل بى فذهب الى محمد حيدر باشا وزير الدفاع ورجاء بالغاء قرار النقل قائلا ان رشاد مهنا لم يرتكب شيئا ضد السراى فى انتخابات النادى ، واننى ظلمت بهذا النقل ...

واستدعانى وزير الدفاع وسألنى :

— من قال لك اننى نقلتك للعرش بهدف التنكيل بك ؟

— وقلت لحيدر باشا : لم يقل لى أحد هذا الكلام ، ولم أقله لأحد أيضا .

— اذن لماذا لا تريد السفر الى العرش ؟ !

وتملكنى بعض الفيظ فقلت لوزير الدفاع :

— اننى رجل عسكرى ، وكل نبض فى جسدى يؤمن بالعسكرية ، ولا أقبل أن أبقى فى القاهرة فى وظيفة بكباشى ورتبتى قائمقام وسافرت الى العرش فى مارس ١٩٥٢ ، وصدر بعد ذلك قرار الملك بحل مجلس نادى الضباط فى يوليو ١٩٥٢ .

وقد عرفت بعد الثورة ان صلاح سالم صارح جمال عبد الناصر بأنه يخشى على قيادته للضباط الاحرار فى العرش أو رفح — منى ، وكان شعوره هذا خلف تحمسه لالغاء نقلى لدى وزير الحربية ! !

فى النهاية ، أحب ان أقول لك انه لم يحدث أن طلبت نقلى الى العرش ، ولم أكتب طلبا على الاطلاق بذلك ، لقد كنت فى القاهرة بمثابة جسم يمنع التصادم بين

القيادات العسكرية الملكية والضباط الاحرار، وابتعادى
عن العاصمة سمح بوقوع هذا التصادم ، وكان التعجيل
بالثورة

ومرت الايام ، وقبل نهاية الاسبوع الثالث من يوليو
١٩٥٢ ، جاء « حسن ابراهيم » الى رفح ، ولم يمر
بالعريش ، واخبر المرحوم صلاح سالم والبكباشى انور
السادات بموعد الثورة ، وكان محددًا له ليلة ٢٢ يوليو،
ثم تأجل الموعد الى ليلة ٢٣ يوليو ، وعاد حسن ابراهيم
الى القاهرة ..

وفوجئت فى الساعة الثالثة من صباح ٢٣ يوليو
بصلاح سالم يطلبنى من رفح ويخبرنى بقيام الثورة ،
وانه سيكون مسئولًا عن رفح ، اما العريش فهى مسئوليتى
فقلت له :

— انا عامل كل ترتيباتى هنا .. اهتم انت بالناس
فى رفح .

والمقصود « بالناس » هم الضباط الذين يخدمون فى
منطقته .

كنت مالكا لزام السيطرة على القوات الموجودة فى
العريش ، ومعنى عدد كبير من الضباط الاحرار هناك،
اظهروا قدرا عظيما من الضبط والربط ، واذا بالمرحوم
جمال سالم يأتى من التصرفات ما يمكن أن تطلق عليها
تصرفات عجيبة .. وأتى من السلوك أمام بقية الضباط
ما جعلنى أطلب منه السفر الى القاهرة بالأمر ، والا
يبقى فى العريش دقيقة واحدة .

وانصاع للأمر وعاد فورًا الى القاهرة ...

وكانت هذه هى الخطوة الاولى فى طريق الصدام مع مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ... ويعلم الله ماذا قال جمال سالم بعد وصوله القاهرة عنى ... وكيف روى قصة مغادرته العريش .. ولماذا أصدرت له الأمر بالسفر فوراً ؟ !

ولقد ذكرنى جمال سالم أثناء محاكمتى السرية بهذه القصة قائلاً لى فى غضب وثورة : « فإكر لما طردتنى من العريش » !!

وانقضى اليوم الاول من الثورة ، واذا بى أتلقى خلال اليوم الثانى ثلاث اشارات لاسلكية أرسلها زميلى ضابط المدفعية المضادة للطائرات « البكباشى عبد المنعم أمين » عضو مجلس قيادة الثورة .. ثلاث اشارات كلها تطلب حضورى الى القاهرة .

وسافرت الى القاهرة يوم ٢٥ يوليو ، ولم أذهب الى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة الا بعد ذلك بأيام حتى لا يبدو وجودى كمن يبحث عن منصب أو غنيمة ! قلت للسيد رشاد مهنا :

— لقد سمعنا قصة ما حول عودتك ، سمعناها فى نهاية يوليو أو بداية اغسطس ١٩٥٢ ، وكانت القصة تقول بأن ضباط المدفعية فى القاهرة علموا نبأ وموعد وصولك ، فذهبوا الى محطة سكك حديد القاهرة ، واستقبلوك استقبال الأبطال ، وحملوك الى إدارة المدفعية وانك ألقيت خطاباً وطنياً بينهم حملت فيه على الملك حملة شديدة ، ثم قمت بزيارة بعض وحدات المدفعية فى أطراف العاصمة ، وألقيت عدة خطب ، ثم تقدمت ضباط المدفعية فى شبه موكب رسمى الى مقر القيادة

العامة للقوات المسلحة ، وان الرئيس الراحل تساءل أمام هذا المشهد ، عما اذا كان هذا انقلابا جديدا ، أم زيارة للقيادة ؟ !

— بعض القصة صحيح ، والنصف الاخير منها غير صحيح على الاطلاق ... لقد وجدت ابنائى من ضباط المدفعية فى انتظارى بمطار المازة ، فقد عدت الى القاهرة بالطائرة وليس بالقطار ، وتوجهت بهم الى القيادة ، ووجدت فتورا ملحوظا فانصرفت الى بيتى ثم الى سلاحى ولكنى لم أخطب فى ضباط المدفعية ولم أذهب لزيارة وحدات مدفعية فى أطراف المدينة ... ذلك كله من نسج خيال الذين أرادوا تشويه موقفى والافتراء على الحقيقة .

لقد طلب منى ضباط المدفعية أن أسافر الى الاسكندرية ونحن نستعد لعزل الملك ، وذهبت الى الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو ، يوم غادر فاروق البلاد ، وفى المساء التقيت بالرئيس أنور السادات داخل ثكنات مصطفى باشا ، وكانت مفاجأة له ، لأنه سألنى :

— « هل انت معنا ... هل انت واحد منا ؟ ! »

درس فى الاخلاق

وعرفت فى تلك اللحظة ان الرئيس جمال عبد الناصر أخفى عن بعض زملائه تطورات صلتى بهم حرصا منه على الانفراد بالسلطة .

وفكرت فى الأمر ، ولأننى لا أبحث عن منصب قررت العودة على الفور الى العرش ، وعدت الى القاهرة ورأيت ان أذهب لأول مرة الى مقر القيادة العامة ، لأقول لهم كلمة أخيرة ...

وفي مساء ٢٨ يوليو أو ٢٩ يوليو لا أذكر، توجهت الى كوبرى القبة ، واقتحمت حجرة اجتماعاتهم ، ووجدتهم جميعا أمامى ، واذا بجمال عبد الناصر يسألنى :

— لماذا جئت ... ما الذى جعلك تترك العريش ؟
وقلت له :

— لقد قمت بواجبى بعد أن أبلغنى صلاح سالم بموعد التحرك ، ولم أترك العريش الا بعد أن تلقيت منكم ثلاث اشارات لأسلكية بضرورة تواجدى فى القاهرة وسأل عبد الناصر فى حيرة :

— من الذى أرسل هذه الاشارات ؟

وقال عبد المنعم أمين : أنا أرسلتها .. وماذا فى ذلك؟! ونظر جمال عبد الناصر الى صلاح سالم نظرة ذات مغزى ، وسأله غاضبا :

— لماذا لم تخبرنى بما فعلته ، لماذا أخفيت على انك اتصلت به وأبلغته بأنك ستتولى رفع وهو يتولى العريش؟! وقال رشاد مهنا ، وهو يستعيد أحداث الامس :

— لم أكن أحب أن أروى هذه التفاصيل .. لأن أكثرها مخز للأسف !

لقد روى المرحوم صلاح سالم أمامى ، مجموعة اكاذيب فى جراءة لم أعرفها من قبل ليبرر موقفه أمام عبد الناصر !

وأمام هذا السلوك اضطررت لألقن صلاح سالم درسا فى الاخلاق ، وواجه الموقف بالاغماء ، ولم أتبين اذا كان

يفتعل الاغماء أم أغمى عليه حقيقة ، حتى اننى قمت
بتدليك وجهه ويديه ، الى أن استعاد وعيه
وساد الصمت دقيقة .. ثم قال عبد الناصر موجهها
حديثه لى :

— سأقول لك بصراحة لماذا جئت القاهرة ؟
لقد تركت العرش وجئت القاهرة لكى تنقض على
الثورة ... هذا هو رأى
واستعمل جمال عبد الناصر كلمة « تنقض » مرتين !
ورددت عليه قائلا :

— هذه شجاعة وصراحة طيبة، وانت تعرفنى جيدا ،
وتعرف اننى لست ممن ينقضون ، ولست الرجل الذى
ينقض على الثورة .

وتحدثت طويلا ... وجهت حديثى اليهم جميعا ،
وكنت صادقا فى كل كلمة نطقت بها ، لقد قلت لهم
جميعا ، ليست الثورة وليمة ، وليست مكاسب لنا ،
أو لكم ، بل الثورة مسئولية وطنية تاريخية ، ثم
قلت لهم فى النهاية :

— غدا سأذهب الى سلاحى ، سأسافر بمشيئة الله
الى وحدتى بالعرش ، وفقكم الله .

الوصاية والعرش .. !

فى الصباح التالى مباشرة ، جاءنى المرحوم جمال سالم
ممثلا لمجلس قيادة الثورة ، وفاتحنى فيما انتهوا اليه
بعد أن تركتهم وانصرف ، وطلب منى رأى فى منصب
الوصاية على العرش ، وأحسست وهذه حقيقة انهم

يحاولون التخلص منى ، ولكنى لم أشأ الرفض فقلت له :

- اننى جندى - أخدم فى أى مكان ، وأقوم بأى عمل ، مادام ذلك فى مصلحة مصر ..

جمال سالم بعد ذلك قال لبعض أصدقائه انه كان ينوى اطلاق الرصاص على ، لو رفضت العرض ، واننى أنقذت حياتى من الموت بقبولى ! !

وبدأت مرحلة جديدة من العذاب مع الايام الاولى من أغسطس ١٩٥٢

حاولت أن أقول لعدد كبير منهم .. من ضباط القيادة ، وأعوانهم من صفار الضباط .. ان الثورة أخلاق وسلوك راق ، وان الثورة سمو عن الصفائر ، وتجاوز للأحقاد ، وان الثورة ليست اجازة متعة ، فنطلق العنان لغرائزنا ، وان الثورة تحتاج الى الرؤيا الناضجة ، والنظرة الواعية ، والخبرة والتجربة .

حاولت أن أقول كل هذا وفشلت ... وكان الوزراء المدنيون يشكون من سلوك ضباط القيادة معهم ، وكنت أحاول التهذية ، وخلق المناخ النقى للعمل ... ولكنى فشلت أيضا !

وبدأت حملة تطهير فى ضباط الجيش ، وتدخلت واستطعت حماية عناصر كثيرة كان مصيرها الطرد من الخدمة ، وقد أفلحوا فى طردهم بعد ذلك ..

ووقعت أحداث صغيرة مؤسفة ، يعرفها كثيرون غيرى ويستطيعون الحديث فيها باستفاضة ... وأحسنت بالصراع على السلطة بين الرئيس محمد نجيب والرئيس

الراحل جمال عبد الناصر ، وخشيت الفتنة في الجيش والفتنة في البلاد ... بل وتصورت ما يمكن أن يحدث اذا استمرت هذه الاوضاع ... وهو ما وقع فعلا عام ١٩٥٤ ، وأذكر اننى تحدثت بمخاوفي هذه الى صديقى فكرى أباظة وكنا نستقل سيارته ذات مساء قبل صدور قرار اقالتي واعتقالى ثم سجنى .

وتحدثت بعد ذلك مع جمال عبد الناصر وبعض رفاقه وشرحت لهم أخطار الديكتاتورية ومصيرها ، ومكاسب الشعب والثورة ، اذا لجأنا الى الديمقراطية واجراءاتها ، ولم يتوقف الهزل والخطأ ، وانهالت القرارات العفوية وردود الفعل ، وسمعت من يقول أمامى .. مليون ، ٢ مليون .. يموتوا مش مهم .. يموتوا من أجل الثورة .. وماله ؟!

قلت للسيد رشاد مهنا :

— لقد تردد أنك عارضت مشروع الاصلاح الزراعى او تحديد الملكية الزراعية ، وانك حاولت تكوين رأى عام في الجيش والبلاد ضد هذا القانون .. مما عجل بالصدام بينك وبين مجلس قيادة الثورة .. ماتعليقكم ؟

— لم أعارض المشروع ولم أرفضه ، قلت فقط نحن ضباط ومثل هذا المشروع يتعلق بمستقبل شعب ، وبثروة شعب ، لا بد من أن ندع مجموعة من الخبراء في الزراعة والارض والاقتصاد ، تجلس وتقول رأيها ، تحدد لنا الوسيلة العلمية الناجحة لكى تخرج تصوراتنا الثورية بالنسبة للفلاح المصرى — الى الواقع والوجود .. كل ما طالبت به اللجوء الى أهل الخبرة .. بدلا من مخاطبة عواطف الشعب بقوانين سريعة .. خاصة في

الثروة الوحيدة التى لم تكن نملك غيرها فى بداية الثورة .. وهى الارض .

ولقد جاءوا من المانيا بعالم الاقتصاد الالمانى « دكتور شاخت » لنتناقشه وبتناقشنا وجاءوا به فعلا .. وكانت آراء الرجل مطابقة لآرائى !!

ان قانون تحديد الملكية الزراعية ليس قرارا بالقبض على باشا أو بك من أعداء الثورة ، انه قانون يتعلق بمستقبل البلاد ، بمستقبل الشعب ، بمستقبل الفلاح الذى تتحدثون عنه .. ولدينا عشرات الخبراء المصريين فلنستمع اليهم .

واعترضوا كلامى هذا معارضة للمشروع وأعلنوا الحرب السافرة ضدى ، وقالوا اننى تخيلت نفسى ملكا بدلا من فاروق !!

لقد زارنى بعض قادة الاحزاب السياسية يسألوننى المشورة فى مستقبل أحزابهم ، وأكثرهم تجمعنى بهم علاقات شخصية ، وتحدثت مع زعماء السعديين حول ما ارتكبه من ارهاب وتنكيل بمن وقف بجانب أسر الإخوان المسلمين المقبوض عليهم ، وقلت لهم لقد قتلتم المروءة فى النفس الانسانية بذلك ، وقال جمال عبد الناصر وبعض رفاقه اننى أتعذر فى السياسة !

زارنى وفد سودانى ، وتحدثنا عن مصر والسودان ، وبينت لهم أن الانفصال ضد مصلحة شعبنا العربى ، فقالوا عنى اننى أنفرد برسم سياسة مصر العربية !!

تحدث بعضهم عن اعتقال طلبة الجامعة المشاغبين سياسيا ، فعارضت ذلك بشنودة ، وقلت لهم شباب

الجامعة الآن هم مستقبل مصر ، فكيف تسجنون
مستقبل مصر ؟!

فقالوا اننى احاول اغراء الطلبة لكى استفلهم ضد
الثورة !

زارنى الدكتور محمود فوزى ليودعنى قبل سفره
سفيرا لمصر فى لندن فسألته هل لديه خطة عمل أو
سياسة مرسومة ليطبقها مع حكومة الانجليز ، فأجاب
بالنفى ، وتحدثنا طويلا فى ذلك ، كما تحدثت مع جمال
جمال عبد الناصر فى ذلك ، ولكن جمال قال اننى اتدخل
فى سياسة مصر الخارجية .

نشر المرحوم حسنى العرابى وكان يعمل صحفيا
« بالاهرام » تصريحاً لى ردا على سؤال له ، وكان
السؤال يقول :

— ماذا فعلت بعد نجاح الثورة ، وأين تعيش الآن ؟
وكأنه يود أن يسأل هل ستسكن بعد ان توليت
الوصاية على العرش قصر عابدين ؟

وقلت له : سأبقى كما عشت قبل الثورة ، وسيبقى
بيتى كما هو ، وستبقى أسرتى اليوم وغدا كما عاشت
بالأمس ، اننى رجل فلاح .

وقال جمال عبد الناصر ، اننى أنشر دعاية شخصية
عن نفسى فى الصحف ؟

وزارتنى صحفية أمريكية شهيرة وسألتنى هل أنت
من الإخوان المسلمين ؟

قلت لها : لا اننى رجل مسلم .

قالت لى : أليست صلاة المسلمين تعطل الناس عن أعمالهم ؟

وشرحت لها خطأ تصورها حتى اقتنعت بحديثى ، فقال جمال عبد الناصر ، اننى أتصل بالصحفيين من هنا وهناك لاستفلالهم لحسابى !

زارتنى شخصية عربية متصوفة وتحدثنا عن تقسيم الدول العربية ، وضرورة يقظة الشعب العربى حول تقسيم وطنه ، وحتمية الوحدة العربية ، وضربت أمثلة على قوة المسلمين بوحدتهم مستعينا بتاريخنا الاسلامى العظيم ، فقال جمال عبد الناصر ، اننى أنادى بالخلافة وأعمل لى أصبح خليفة للمسلمين !!

تحدثنا فى مستقبل الوطن ، وكان مطروحا أمامنا للمناقشة الفاء النظام الملكى وإعلان النظام الجمهورى ، وعرضت وجهة نظرى وتتلخص فى أن نشرح لجماهير الشعب عن طريق التوعية وأجهزة الاعلام ما هو النظام الملكى وما هو النظام الجمهورى ، وقد يستغرق هذا بعض الوقت ، حتى يصبح الشعب قادرا بوعى على إصدار حكمه الصحيح ، وعن طريق الاستفتاء الشعبى يتحدد مصير الملكية فى مصر ، وتكون الثورة فى وضع يسمح لها بترشيح من تراه لرئاسة الجمهورية اذا قرر الشعب إقامة الجمهورية ، ولا داع للعجلة فالمشوار طويل .

ولم يرق هذا الكلام لجمال عبد الناصر ، وقال اننى أضع العراقيل أمام الثورة ، وأننى أطمع فى منصب رئيس الجمهورية ، ويعلم الله أن ذلك لم يدر بذهنى أبدا !!

تحدثت مع عضوى مجلس الوصاية ومع المرحوم على

ماهر باشا ، ومع جمال عبد الناصر في ضرورة وضع
ميثاق للعمل الوطني ، يحدد مسئولية الحكومة
ومسئولية مجلس الثورة ، ويرسم بوضوح طريق العمل
التنفيذي ، واقترحت أن يصدر هذا الميثاق لكي يعرف
كل من الوزراء ، وأعضاء مجلس الثورة حدوده
وتخصصاته ، ولكيلا تعم الفوضى ، ويعمل كل
ضابط اشترك في الثورة على أساس أنه الحاكم ولا حاكم
غيره . . ولم يصدر هذا الميثاق أبدا .

وقلت للوزراء الذين كانوا يشكون لي تصرفات بعض
صفار الضباط ، انني اطالبكم وأنا ضابط مثلهم ،
اطالبكم باحترام أنفسكم ، وباحترام كرامة مناصبكم
ولا تسمحوا لأي ضابط أن يتصرف معكم بما تحدثون
به ، وثورتنا اذا كانت تحرص على شيء فهي تحرص
في الدرجة الاولى على سلامة أخلاق وسلوك ضباطها .

ولقد قالوا انني أغري الوزراء بالتمرد على الثورة ،
وانني أثير الفتنة والشك . . واتهامات مختلفة مما جاء
ذكرها في الصحف بعد محاكمتي ! !

المحاكمة . .

في تلك الأيام من أكتوبر ١٩٥٢ صباح يوم ١٢ أكتوبر
بالتحديد أرسل جمال عبد الناصر الى رشاد مهنا يقول
له أنه يريد أن يلتقي به لقاء خاصا ، يتحدثان فيه
بصراحة ، وحدد له بيت ضابط صديق لهما ، في منطقة
كوبري القبة ، وهو بيت الرائد محمود غراب ، وكان
الموعد في مساء اليوم نفسه وذهب رشاد مهنا الى
الموعد ، وبقي مع غراب حتى ما بعد منتصف الليل ،
ولم يأت عبد الناصر .

وفي صباح ١٣ أكتوبر كان رشاد مهنا يستمع إلى راديو لندن ، وإذا به يذيع قرار اقالة مجلس قيادة الثورة في القاهرة لرشاد مهنا ممثل الثورة في لجنة الوصاية على العرش . . ولم يصب بالدهشة ، ولم يغادر بيته . . وعرف أنه لا فائدة من الحوار . . وبعد دقائق أطل من نافذة بيته فوجد جنود الشرطة العسكرية يحيطون البيت ، وقال الرجل لأسرته أنه تصرف حسن وطيب بالنسبة لى . . لأنه سرعان ما يعرف الجميع ضباطا ومدنيين أن الشرطة العسكرية حول البيت فيمتنعون عن زيارتي ، وبالتالي لا يقبض على أحد بسبب رؤيته أو زيارته لى !

وظل السيد رشاد مهنا محدد الإقامة في منزله حتى جاءوا يوم ٧ يناير ١٩٥٣ ، وقبضوا عليه ونقلوه إلى السجن الحربي ، وبقي به إلى أن عقدوا مجلس قيادة الثورة على شكل محكمة خلال الأيام الأولى من مارس ، وانعقدت المحكمة بمبنى قشلاقات قصر النيل بميدان التحرير .

ويروى الرجل . .

كانت المحاكمة الساعة ٣ صباحا . كل الأعمال الكبيرة ذات الأهمية بالنسبة لهم كانوا يقومون بها ليلا . . ودخلت إلى قاعة الاجتماع ، وجلست إلى مقعدي ، ونظرت إلى ساعتى ، كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل .

وطلب جمال عبد الناصر إلى زكريا محيى الدين أن يقرأ الادعاءات ، وقرأ كثيرا من الخيال . . وفهمت أنهم يحاكموننى لأننى حاولت الاستيلاء على السلطة لحساب

الاخوان المسلمين ثارة .. وثارة لحسابي ؟!

وسألوني .. هل أنت مذنب ؟

وتحدثت .. قلت لهم سأعيد على مسامعكم صلتى بكم ، وما قمت به معكم ، ومن أجل الثورة ، واستمعوا لى طويلا ووجوههم سوداء من الخجل والاضطراب .

وجاءوا بشهود الاتبات ، وعرفت بعد ذلك أن هؤلاء الشهود كان مقبوضا عليهم بتهمة التآمر أيضا وقد صدرت أحكام بسجنهم مع الحكم الخاص بى ، ولكنه أى الرئيس الراحل أفرج عنهم بعد فترة قصيرة وألحقهم بأعمال مختلفة فى أنحاء الدولة.

وتكلم الشهود وهم عبد العزيز هنى ضابط مشاة ؟ ، وإبراهيم عاطف مدفعية ، ومصطفى راغب مدفعية ، تكلموا كلما ليس فيه أدانة لى على الإطلاق ، وحاول زكريا مناقشة الشهود بحدة وخشونة ، ولكنهم لم يعدلوا عن كلامهم .. قالوا فعلا أنهم قاموا بزيارتى وتحدثنا فى مصير ثورتنا ، وفى ضرورة الحفاظ على ديننا وضرورة التمسك بالاخلاق فى معاملتنا وقراراتنا .. ولم نتحدث فى أمر انقلاب .

وانفضت المحكمة ..

وعلمت بعد ذلك أنهم أصدروا الحكم بسجنى مدى الحياة ، ونشروا فى الصحف صفحات عن القضية وربطوا بينى وبين الشهود المقبوض عليهم ، وجعلوا منها قضية واحدة ، قضية تآمر !!

وسمعت ان عبد الناصر قال لزواره ورفاق السلاح ، ان أعضاء المجلس أجمعوا على ضرورة اعدام رشاد مهنا

وأنه عارض هذا الاتجاه وبذل مجهوداً كبيراً حتى وافقوا على المؤبد بدلاً من الموت .

يقول رشاد مهنا :

وبعد محاكمتي وسجني ، رددوا تلك القصة التي نسجوها من خيالهم ، قصة الطلب الذي تقدمت به الى وزير الدفاع في بداية يناير ١٩٥٢ لنقلني الى العريش حتى لا أتورط معهم في الاعداد للثورة !!

والسبب طبعاً واضح ، ولست في حاجة للشرح أبعد من ذلك ، غير أنني أقول في النهاية لم أكن مستعداً للعمل « بصمغياً » على الإطلاق .

عدت أقول :

— سمعنا ان عبد الناصر زارك في السجن الحربي قبل اجراء المحاكمة .. هل حدث هذا فعلاً ؟

— نعم .. وعرض على أن أقبل الخروج من مصر ، وأن أعمل سفيراً لمصر في الهند ، وقد رفضت العرض لعدم ثقتي فيهم .. ولم يكن هذا العرض في السجن وإنما أثناء تحديد اقامتي في بيتي ، وكان قد قرر سجنني ثم محاكمتي .

كم بقيت في السجن ؟

بقيت في السجن الى ما قبل حـسـرب ١٩٥٦ بفترة بسيطة ، وعدت الى بيتي وأسرتي ، واعتكفت تماماً ، وفي ٢٤ يوليو ١٩٦٥ فوجئت بالقبض على مرة أخرى ، وكانت حملة الاخوان المسلمين الجديدة ، ويبدو أنهم خشوا قيامي بنشاط معـسـاد لهم .. فأثروا سجنني ، وظللت بالسجن الحربي حتى يناير ١٩٦٧ .

وتوقفت قصة رشاد مهنا عند هذا الحد وبين قرار تحديد اقامته بعد اقالته ، وقرار القبض عليه في ٧ يناير ١٩٥٣ وقع صراع مثير بين عدد ليس بقليل من الضباط الاحرار أبناء المدفعية الذين يمثلون القساعة العريضة للتنظيم السرى وبين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

المدنيون الثلاثة ..

قبل أن أستطرد في الحديث عن قضية رشاد مهنا والمدفعية تقف قليلا هنا لالقاء نظرة على المدنيين الثلاثة الذين حوكموا في هذه القضية وصدرت أحكام بسجنهم وذلك لصلاتهم بأحداث أول صراع على السلطة مع بداية الثورة ، وهم :

- طيب عبد العزيز الشال « ١٠ سنوات سجن » .
 - المحامى صبرى الحكيم « سنتان سجن » .
 - المحامى محمود رشيد « سنتان سجن » .
- ولقد بحثت عنهم وذهبت اليهم لأقف على صلاتهم بهؤلاء الضباط ، واستمع الى القصة من أفواههم . واكتشفت ان المحامى صبرى الحكيم انتقل الى رحمة الله منذ عامين .

التقيت في البداية بالمرحوم محمود رشيد المحامى . من مواليد ١٩٠٤ تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٣٠ ، وكان من زعماء طلبة الجامعة الذين يشتغلون بالعمل السياسى وقد التحق بوظيفة حكومية بوزارة الداخلية في نهاية عام ١٩٣٠ ، وعمل سكرتيرا لوزير الداخلية اسماعيل صدقى باشا ، وفصل من الخدمة عام ١٩٣٣ لأسباب سياسية وعاد الى المحاماة ، وقام بنشاط بارز

أيام الائتلاف الحزبي عام ١٩٣٦ تمهيدا لتوقيع اتفاقية
٣٦ مع بريطانيا .

بعد ذلك وحتى قيام الثورة عام ١٩٥٢ كان قد شغل
وظيفة مدير مكتب لثلاثة من رؤساء الحكومات وهم
بالترتيب التاريخي ، أحمد ماهر باشا وحسين سرى
باشا أثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم اسماعيل باشا
صدقي ، وكان صديقا لعلي ماهر باشا .
روى لي الرجل :

— فوجئت في اليوم الاول للثورة بالمرحوم علي ماهر
باشا يخاطبني تليفونيا ويطلب مني أن ألحق به فورا ،
وذهبت اليه فقال لي :

— لا تتركني هذه الأيام ، أريدك بجانبى ، فقد طلب
منى ضباط الانقلاب أن أقوم بتأليف الوزارة ، وأن
أتعاون معهم من أجل تحقيق مطالبهم .

وبقيت معه ، وقلت له في اليوم الثانى رابى :

— هذه ثورة يا رفعة الباشا وليست مطالب للجيش
واعتقد أن حكاية المطالب التى قدمها اللواء محمد نجيب
وزملائه ليست كل شىء ، المسألة أكبر من ذلك وأخطر .

ورفض على ماهر أن يؤيد رابى ، وبات مقتنعا بأن
المسألة لا تعدو مجموعة مطالب عسكرية ، وأنه سيعمل
على تحقيقها لدى الملك حرصا على انتهاء الزوبعة ، وحين
طالب الثوار باقالة الملك ، قال على ماهر للرئيس الراحل
جمال عبد الناصر ، لقد صدق محمود رشيد ، فسأل
عبد الناصر من هو محمود رشيد ، وكانت البداية .

وفي يوم ٢٨ يوليو عام ١٩٥٢ جاءنى المرحوم الصاغ

سعد توفيق في مكتبى بشوارع شريف ، وقال لى ان
البكباشى جمال عبد الناصر يريدك غدا بمقر القيادة في
كوبرى القبة .

وذهبت في صباح اليوم التالى اليه ، أدخلنى سعد
توفيق الى حجرة وجدت بها المرحومين جمال سالم ،
ويوسف صديق ، ثم جاء جمال عبد الناصر واستأذن
يوسف صديق في الانصراف .

وأخذ جمال عبد الناصر يتحدث .. قال لى :

— نحن عسكريين ليس لنا صلات قوية بالحياة
المدنية ، وبالتالي بالحياة السياسية ، ولقد سمعت عنك
وعرفت ماضيك السياسى وخبرتك ، أريدك أن تعمل
معنا كمستشار ، وسيكون عملك معى ، اننى فى حاجة
اليك .. ما رأيك ؟

— اننى على تمام الاستعداد للعمل معكم من أجل
الثورة التى أؤيدها بكل مشاعرى ، فأنا ثائر منذ
صبأى .

ذكرى محيى الدين

ولقد ظللت حتى منتصف يناير ١٩٥٣ ، أعمل
مستشارا له ، وشهدت عن قرب أحداث تلك الفترة
الحساسة الخطيرة فى بداية الثورة ، وقدمت له رأى
وخبرتى فى كل الموضوعات السياسية والحزبية التى
أهتم بها ، غير أننى لاحظت شيئا له دلالة ، بين علاقة
عبد الناصر ببقية أعضاء مجلس قيادة الثورة .

لاحظت أنه لم يكن له ذلك النفوذ بين زملائه ، بل
كان يخشاهم ويتوجس منهم شرا ، وكانوا هم يعاملونه
بكل احترام صحيح ، ولكن كواحد منهم ، وأكثرهم

يحاول فرض سيطرته وإيجاد مكان قوى يقف فوقه ،
وبدا أبرزهم في هذا الصراع الصلوات المقنع زكريا
محيى الدين وقد تولى منذ البداية مهمة أمن الثورة
وحمايتها .

ولاحظت أيضا ان عبد الناصر كان يلجأ الى أنور
السادات في كل خطوة يخطوها في عالم السياسة ، والى
عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين فيما يتصل بالجيش
وضباطه .

و ذات يوم سألتى جمال عبد الناصر :

— هل صحيح ان على ماهر سالك . . من ياترى قائد
هؤلاء الضباط في اليوم الاول للثورة ؟

قلت له : نعم .

عاد يسألنى :

— بماذا أجبته ؟

— صراحة توقعت ان يكون البكباشى أنور السادات
هو قائدكم ، وأيدنى على ماهر فى البداية .

— وماذا جعلك تختار أنور السادات بالذات ؟

— لانه هو الذى أذاع البيان الاول فى الراديو ، وهذا
عمل جرىء جدا ، وأى انسان يعرف ان مثل هذه
الخطوة قد تطيح به ، فضلا عن ماضى السادات ونضاله
الوطنى ، ومن هنا قلت ان هذه الحركة لها أبعادا أخطر
من تحقيق عدة مطالب ، وانها قد تطيح بالملك ، والا لما
أقدم ضابط مثل السادات وبرتبه العسكرية على إذاعة
مثل هذا البيان . . لان وجود الملك بعد تحقيق مطالبهم ،
سيقذف به حتما الى السجن مرة أخرى .

وتدعمت علاقتي بعبد الناصر بعد ذلك ، وكان معجبا
بصراحتي ووضوحي معه حتى طلب مني في أحد الايام
تكليفى بعمل خطير وهام وسرى قائلا لى :

— هذه المهمة التى اكلفك بها تحتاج الى سرية تامة
ان زملائى لا يعرفون عنها شيئا ، ولا أريد أن تتحدث
عنها حتى مع زوجتك أو أقاربك .

— ما هى ؟

— أريد منك بحشا قانونيا تضع فيه كل امكانياتك
القانونية وثقافتك السياسية حول شرعية اسقاط النظام
الملكى واقامة الجمهورية .

قال لى الأستاذ محمود رشيد :

— قد يبدو مثل هذا الطلب الان شيئا عاديا ، لكنه
فى تلك الايام خلال الاشهر الاولى من ثورة يوليو يمثل
تطورا خطيرا وهاما على طريق الثورة ، وقد فرحت بهذا
التكليف ، وبدأت أعمل سرا ، وكل ورقة أنتهى منها
أعرضها عليه ، ليناقشنى فيها خلال لقاءات لا تجمع
غيرنا ، وكان اذا قدم أحد زملائه علينا توقف عن
الحديث ، وغطى الاوراق الموجودة أمامه ، وشعرت
بأن السيد زكريا محيى الدين يتابعنا باهتمام ، ويتواجد
كلما جئت للقاء عبد الناصر ، وسأل أكثر من مرة ..
ماذا تفعلان ؟

وكان عبد الناصر يجيبه بقوله :

— أبنى أستمع الى ذكريات الاستاذ محمود عن
الأحزاب والحكومات السابقة ، انهى ذكريات مثيرة
ومعلومات أسمعها لأول مرة .

وبالطبع لم يكن ذلك صحيحا !
وقد سألت جمال عبد الناصر بعد أن انتهيت من
بحثي ، وبعد أن قرأه وهنأتى عليه :

— هل ستعلن الجمهورية ؟

فأجاب رحمه الله :

— انها مسألة خطيرة جدا ، وأريد تأمين ثورتنا حتى
نقوم بهذه الخطوة ، تأمين الثورة ليس داخليا فقط بل
خارجيا ودوليا أيضا .

فعدت أسأله :

— من في ذهنك يصلح ليكون أول رئيس للجمهورية ؟
فقال :

— على ماهر باشا ، انه أصلح الموجودين .
ولم أتبين اذا كان صادقا أم أراد أن يخدعنى ويضللنى
عما فى رأسه ، وفى النهاية طلب منى ألا أتحدث مع على
ماهر فى هذا الموضوع ويبقى سرا بيننا نحن الاثنين ،
ووعده بذلك ونفذت وعدى ، ثم وقعت مفاجأة .

مطلوب فى المخابرات !

— فوجئت بأحد رجال المخابرات وهو الصاغ
عبد المنعم النجار الذى عمل بعد ذلك سفيرا لمصر فى
أوروبا يزورنى ويطلب منى أن أكون صباح اليوم التالى
مبكرا فى مكتب السيد زكريا محيى الدين مدير المخابرات
وذهبت فى الموعد تماما ، وقابلنى زكريا ليطلب منى
معلومات عما كان يدور بينى وبين جمال عبد الناصر ،

وعما قدمته له من أوراق ، وعقدت الدهشة لسانى ، ثم
قلت له :

— لماذا لا تسأل جمال عبد الناصر بدلا منى ؟
قال :

— لا . أريد أن تخبرنى أنت ، ولست فى حاجة لكى
توجهنى وتحدد لى من أسأل .
عدت أقول :

— فى هذه الحالة لن أخبرك بشيء ، لأنه لم يحدث
شئ بينى وبين عبد الناصر يمكننى أن أحيطك علما به
.. لقد كانت اللقاءات كلها دردشات حول الماضى وهو
يحب سماع رأى فى عهد ما قبل الثورة .
وفى اصرار عاد يقول :

— لا .. لا تكذب وتحاول تضليلى ، ولا تحاول أن
تتحول الى عدو للثورة ، حاول أن تكسبنى فى البداية
.. اننى أسألك من أجل حماية الثورة ، هذه هى
مهمتى .

وأحسست بأنه يهددنى بأسلوب غير مباشر ، فصممت
على موقفى ، واضطر هو لاخلأ سبيلى ، فذهبت على
الفور الى مكتب جمال عبد الناصر ، وكان يشغل منصب
مدير مكتب القائد العام ، وهى وظيفة شكلية لكى تبقى
له السيطرة التى أخذ يحاول الحصول عليها والاحتفاظ
بها منذ اليوم الاول للثورة .. وقابلنى الرجل ورويت
له ما حدث فقال لى فى هدوء :

— اطمئن ، واستمر على موقفك ، ولن يستطيع أحد
أن يوقع بيننا أو يلحق بك أى أذى .

علمت بعد ذلك ، ان زكريا محيي الدين قال في تقاريره
لجمال عبد الناصر اننى اطلق التشنيعات عليهم فى
مجالسى الخاصة واننى انشر الفتنة بين الضباط وأدعو
ضد الثورة واننى اعمل لحساب محمد نجيب ورشاد
مehنا ولم اكن اعرف الرجلين .

وفى الايام الاولى من يناير ١٩٥٣ ، دعوت جمال
عبد الناصر ويوسف صديق وعبد الحكيم عامر ، وعددا
من الضباط لتناول العشاء فى بيتى، ولبوا الدعوة وكان
عددهم ٣٢ ضابطا من بينهم السيد حسن كامل رئيس
الديوان الجمهورى الآن ، وكنت صديقا للمرحوم
والده .

وكان جمال عبد الناصر حريصا على مجاملتى تلك
الليلة وتحدثنا فى أشياء كثيرة ، ثم فوجئت بالقبض على
وايداعى السجن الحربى يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ .

ولقد حوكت بعد منتصف ليلة ١١ مارس ١٩٥٣ -
امام مجلس قيادة الثورة ، وسألت جمال عبد الناصر
لماذا تفعلون ذلك بى ، ولم يجب ، كان يغطى وجهه
بيديه ناظرا طوال الوقت الى ورق أمامه !!

وأخذ ضابط برتبة نقيب اسمه حلمى عبد المعطى
ويقوم بوظيفة نائب احكام يقرأ الاتهامات الموجهة لى ،
وكلها اتهامات لفقها زكريا محيي الدين ضدى ، ثم صدر
الحكم بسجنى عامين ، وفى سجن الاستئناف بعد ذلك
التقيت بصبرى الحكيم المحامى وعرفت أنه حوكم مثلى
لأنه صديق الضابط عبد العزيز هندى ، وكان الاخير
يطلق العنان لرأيه فى مجلس قيادة الثورة خلال سهراته
الخاصة التى يشاركة فيها صبرى وآخرون ، كما

التقيت لأول مرة بالسيد رشاد مينا ، وبالدكتور عبد العزيز الشال .

وقد أفرج عنى وعن المرحوم صبرى الحكيم عام ١٩٥٤ ، ثم أعتقلت مرة أخرى فى ١٧ أكتوبر ١٩٦١ ، حتى نهاية ديسمبر من نفس العام وفى ١٤ فبراير ١٩٦٢ ، حددوا اقامتى ببيتى ، وظللت سجين البيت الى ٢٠ مايو ١٩٦٢ .
وسأله :

— لماذا أعادوا اعتقالك عامى ٦١ و ٦٢ مرة أخرى ؟

— شىء محير وغريب ، لقد استدعانى محمد أحمد مدير مكتب الرئيس الراحل ، وطلب منى أن أكتب دراسة عن الاوضاع الحالية للرئيس بناء على رغبته ، فكتبتها بالفعل ، وقال لى محمد أحمد بعد ذلك أن الرئيس سيصدر قرارا بتعيينك مستشارا له ، ثم قال لى أن محمد حسنين هيكل اعترض على هذا الاختيار ، وأقنع جمال عبد الناصر بالعدول عنه .. ثم صدر قرار اعتقالى !!

الدكتور الشال . .

• وذهبت الى الرجل الذى اقترب من عامه السابع والسبعين الدكتور عبد العزيز الشال ، المدنى الثانى فى هذه القضية ، والذى صدر الحكم بسجنه عشر سنوات ، واستمعت الى قصته .

— ولدت عام ١٩٠٠ بقرية ميت الخولى مؤمن — مركز دكرنس دقهلية ، ثم اشتركت فى ثورة ١٩ ، وعرفت أن السلطة تبحث عنى لسجنى ، فهربت الى الخارج ، الى

ألمانيا وبقيت بها حتى عام ١٩٢٨ ، أدرس الطب
وأتخصص في مرض السل .

وعدت من ألمانيا مشحونا بشعار طرحه فردريك الأكبر
الذي قال « من يستنبت اثنين من أعواد السنابل في
أرض ثم ينبت فيها غير عود واحد ، يكسب بهذا لشعبه
أكثر مما يكسبه له قائدا في المعركة » .

وفكرت مع بعض الاصدقاء في إنشاء جيش العمل من
شباب مصر وبدأنا التجربة في أرض فضاء بالعجوزة مكان
مستشفى الشرطة حاليا ، استأجرت الأرض عن طريق
صديقي المهندس كمال يعقوب ، من الجمعية الخيرية
الإسلامية بإيجار قدره أربعة جنيهات شهريا ، وبدأنا
نزرعها وتقيم فوقها يوميا مباريات رياضية ، كان معي
إلى جانب كمال يعقوب ، دكتور الاقتصاد المرحوم كمال
فايد والمرحوم الدكتور الحفنى والصحفى عبد العزيز
خميس والمرحوم حسنى العرابى والمثلة نعيمة وصفى ،
وزوجها الصحفى عبد الحميد سرايا ، وبالطبع كان لنا
اهتمامات سياسية ، وزرعنا الأرض ، زرعنا كرنب
وأرنبيط وفجل ، وأحضرت طامبة ماء للحصول على
الماء ارتوازيا ، وشادوف ، وبلغ عددنا أكثر من ٥٠ فتى
وفتاة وكان ذلك عام ١٩٤٢ .

وماذا كنت تعمل أيامها ؟

— كنت أعمل في مصحة للأمراض الصدرية بحلوان .

— كيف كانت اهتماماتكم السياسية ، لقد ذكرت

« حسنى العرابى » ومعروف أنه مؤسس أول حزب
شيوعى فى مصر ؟

- كانت اهتماماتنا تنحصر في ضرورة تعديل الملكيات الزراعية لأنها الوسيلة الاولى للقضاء على الفقر والمرض والجهل ، وكنت اكتب مقالات اسبوعية في الاهرام ، اربط فيها بين مرض السل والملكيات الزراعية الكبيرة ، كما كنا ننادى بعدالة اجتماعية لجمـاهـر الشعب ، وباستقلال البلاد .

ولقد طبعنا بعض المنشورات الثورية بعد حادث ٤ فبراير، وفوجئت بزيارة الرئيس السادات والطيار حسن عزت لنا ، جاء بهما كمال يعقوب وعبد العزيز خميس ، وعرفت انه احد الضباط الثوارالذين ابعدهم الملك عن الجيش لعدائهم للانجليز ، وارتبطنا به عن طريق الفكر المتقارب .

اما عن حسنى العرابى ، فقد عاش في ألمانيا فترة ليست بقصيرة، وكفر بالشيوعية تماما بعد زيارته الثانية لروسيا ثم عاد لنعمل معا .

ولقد زارنا عثمان نورى ، احد الضباط الاحرار بعد الملك ، ثم اخبرتنى احدى الفتيات ممن يعملن معنا وهى قريبة لصديقى المرحوم الدكتور كمال فايد بأنها تعرف بعض ضباط الطـيـران من أصحاب الافكار الوطنية ، وانها حدثتهم عنا وعن نشاطنا وافكارنا الوطنية ، ويريدون زيارتنا ، وجاءوا بالفعل ، وكانوا ثلاثة طيارين ، عبد اللطيف البغدادي ، ووجيه أباطة والمرحوم شريح طلعت وكان والده من كبار رجال السراى الملكية ، ولقد استمرت صلتى بالبغدادي متصلة الى ما قبل قيام الثورة بعدة أشهر .

عدت أسأل الدكتور الشال :

ولكنك لم تقل لى كيف جاء اليكم الضابط عثمان نورى ؟

— تصادقت مع الضابط الثائر أبو المكارم عبد الحى منذ بداية الاربعينات وكان برتبة ملازم أول ، وهو بلدياتى من أبناء قرية ميت سلسيل القريبة لقريتنا ، وأتى بعثمان نورى ذات يوم وتعارفنا ، وخلال الحرب العالمية الثانية تعرفت بالسيد رشاد مهنا عن طريق أبو المكارم أيضا كما عرفنى صديقى محمد التابعى الذى أصبح سفيرا بعد الثورة بالضابط مصطفى راغب أحد الذين حوكموا مع رشاد مهنا .

كان هؤلاء الضباط يزوروننى فى بيتى حيث عيادة صغيرة أسستها داخل المسكن ، وكنت أقيدهم كمرضى لأحبيهم من نشطاء البوليس السياسى ، ومن خلالهم عرفت أن ثمة تنظيما ثوريا سريا داخل الجيش يعمل من أجل الثورة كما عرفت أن ثمة تنظيمات ثورية أخرى داخل الجيش من أحاديث الضباط الآخرين الذين يترددون على عيادتى .

وبعد قيام الثورة ، وقعت عدة أعمال منافية للأخلاق والسلوك الثورى ، وقد حدثت صديقى رشاد مهنا عندها ، ثم أرسلت قيادة الثورة عن طريق السيد محمد محمود جلال وكان رئيس شركة مصر للطيران الى عالم الاقتصاد الألمانى دكتور شاخت ليزور القاهرة ، وجاء الرجل ، وسعيت الى لقائه وتحدثنا فى تحديد الملكيات الزراعية وفى مشروعى الخاص بجيش العمل الوطنى ، وأذكر أن شاخت قال لى ، كما قال لضباط القيادة :

— لا أستطيع أن أتحدث باستفاضة عن تحديد الملكية

الزراعية في مصر لأننى لا أعرف شيئاً عنكم ولكنى أتحدث عنه كمبدأ ، أنه مبدأ سليم ، غير أنه يجب أن تضعوا في حساباتكم أن الملكيات الصغيرة لا تشيد اقتصاداً زراعياً قوياً .. وعليكم بإنشاء تعاونيات زراعية تضم ملكيات صغيرة .

وناقشنا كلام شاخت في مجالسنا ، وعلمت الثورة بهذه الأحاديث فاعتبرتنا أعداء لها ، وأعداء للإصلاح الزراعى ، أنا الذى كتبت في الاهرام وأخبار اليوم منذ الأربعينات أنادى بتحديد الملكية الزراعية !!

ثم ظهر قطاع بين ضباط الجيش يردد ضرورة عودة الجيش الى ثكناته ، وأحدهم قال في لحظة انفعال ان من يرفض العودة الى الثكنات سنلقى به الى البحر ، فاعتبروا هذا الكلام مؤامرة واعداداً لها ، وفي بداية يناير ١٩٥٣ ، قبضوا على ، وكانوا قد قبضوا على رشاد مهنا وعدد ليس بكبير من ضباط الجيش ، وقدمنا للمحاكمة ولما سألت عن امكانية الاستعانة بمحام ، قالوا لى انها ستكون محاكمة عائلية ، غير انها انتهت بعشر سنوات سجن قضيت منها عامين ونصف عام حتى أفرجوا عنى .

أحرار المشاة والإشارة

وسط مناخ مشبع بالتمرد ضد القيسادة العسكرية الانجليزية التي كانت تشرف على تقاليد الامور في الجيش المصرى شط الملازم أول جمال عبد الناصر بين زملائه رفاق السلاح الذى يخدم به « سلاح المشاة » وضباط الاسلحة الاخرى ممن يلتقى بهم عن طريق العمل العسكرى اليومى المشترك أو عن طريق أصدقائه الضباط خارج المعسكرات والوحدات .

كان ذلك فى بداية الاربعينات ، حيث بدأت تظهر اولى ملامح هذا التمرد الوطنى على البعثة الانجليزية وضباطها فى شكل تجمعات من شباب الضباط المصريين ممن تخرجوا فى نهاية الثلاثينات ومن بينهم دفعة الرئيس السادات ثم لحقتها دفعة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، والدفعات التى تخرجت بعد ذلك كانت تضم المرحوم عبد الحكيم عامر ، والمرحوم صلاح سالم وكمال الدين حسين وغيرهم من أبرز الضباط الاحرار وثوار يوليو ١٩٥٢ ، ظهرت ملامح هذا التمرد الوطنى على شكل تجمعات بين هؤلاء الضباط الذين يجمعهم سن وفكر متقارب وفى شكل منشورات سرية غير منتظمة أخذت تصدر بين حين وآخر ثم تختفى ، وكلها تدعو لضرورة ايقاف السيطرة الانجليزية ورفض أسلوب الضباط

الكبار وأكثرهم أخذ يتعاون مع القادة الانجليز خوفاً وانتهازية ، وهذه الفترة شرحها الرئيس السادات باستفاضة في ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ و ٢٥ ديسمبر ١٩٧٦ ونشرت الصحف اليومية المصرية أحاديثه التي شرح فيها دوره مع أحرار الطيران حتى اعتقاله السلطات في نهاية عام ١٩٤٢ ، وقيام الرئيس الراحل عبد الناصر بقيادة هذا النشاط سرا ، وهي « قيادة » لم تكن بالمعنى المعروف « للقيادة » كما ذكرت في الفصول السابقة .

لقد سمعت خلال جولتي المكثفة بحثا عن ثوار يوليو كما جاء في الفصول السابقة ، ان عبد المنعم أمين ضابط المدفعية المضادة للطائرات وعضو مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٢ ، قام مع زميله ابراهيم عاطف ومعهما ضابط المشاة عبد الحليم الدغيدى ، وهو غير الدغيدى الطيار الذى حوكم بعد هزيمة ٦٧ ، وحصل على البراءة ، قام الثلاثة بطبع منشورين عام ١٩٥٠ ثم توقفا لعدم اقتناعهم بجدوى هذا العمل ، كما قال لى الفريق محمد أحمد صادق وزير الحرية السابق حتى عام ١٩٧٢ ، انه عمل مع بعض زملائه على تكوين خلية مستقلة عام ١٩٤٠ ، ضمت المرحومين هلال المنجورى ومحمد وجيه خليل ، وأمين الخشاب ، وكان ثلاثتهم يلتقون كثيرا بثروت عكاشة ووجيه أبازة ، ثم يتوجهون الى بيت « المغرب العربى » بشارع عبد الخالق ثروت فى القاهرة - حيث يجتمعون بالاستاذ عبد العزيز على وزير البلديات فى أول وزارة بعد الثورة ، وهو واحد من زعماء ثورة ١٩ واليد السوداء ، ويعتبر أبا روحيا لثوار يوليو وفى مقدمتهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والرئيس السادات ،

وكان « عبد العزيز على » على صلة صداقة بثوار المغرب العربى فى القاهرة ، وهناك التقوا بالرئيس بومدين الذى كان يعمل موظفا بالمكتب ويدرس بالازهر فى نفس الوقت .

وقال الفريق اول متقاعد محمد أحمد صادق :

— اشتركنا مع ثوار تونس والجزائر والمغرب ممن يعيشون فى القاهرة وتحت اشراف « السيد عبد العزيز على » فى اصصدار منشورات وطنية ضد الاستعمارين الفرنسى فى شمال افريقيا ، والانجليزى فى بلادنا وفى السودان ، وكنا نوزعها على جميع الضباط المصريين وعلى الهيئات السياسية والسفارات الاجنبية ، بل وعملت على توزيعها سرا داخل القصر الملكى !!

لقد كان أبى قائدا للحرس الملكى، ولكن ذلك لم يمنعنى من ممارسة نشاطى الوطنى ، ومسايرة الفكر الثورى الذى انتشر بين ضباط الجيش من الشباب وخاصة دفعات ما بين ١٩٣٥ حتى ١٩٥٢ ، وحلقاتهم الجماعية ، ومحاولاتهم فى سبيل ايجاد طريق لخلاص مصر من الاحتلال البريطانى .. وعن طريق أبى كنت ادخل القصر الملكى !

سمعت أيضا عن ضباط الفرسان فى منتصف الاربعينات يتقدمهم سعد عبد الحفيظ وعبد الحميد كفاى ومصطفى نصير وكثير من أعوانهم وقيامهم بطبع أول منشور ثورى ، يحمل توقيع الضباط الاحرار .

وقال لى مصطفى الوكيل ضابط الاشارة ، ومدير الحرب الالكترونية حتى منتصف عام ١٩٧٠ وخريج الكلية الحربية عام ١٩٤٢ ، انه أصدر مع زميله طاعت خرى وزير الشباب بعد ذلك ، وحامد مهابة أكثر من

منشور في منتصف الأربعينات باسم ضباط الجيش ، بل انه حاول عام ١٩٥١ ، ضم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الى خلايا التشكيل السرى دون أن يعرف أن البكباشي جمال هو القائد السرى لهذا التشكيل ، ثم سافر مصطفى الوكيل الى رفح وشارك زملائه ضباط الاشارة هناك نشاطهم الثورى ، عمل مع فتحى حمدى وأمين شاكر وحسن نايل ومحمد شوكت وجمال السيد وفاروق يس وأحمد صادق ، وبعضهم أسهم فى النشاط الفدائى لقيادة وتدريب الفدائيين ضد قوات الاحتلال البريطانى بالقناة بعد الغاء معاهدة عام ١٩٣٦ ، فى أكتوبر ١٩٥١ ، أثناء حكم الوفد ، وكان معهم بعض ضباط المدفعية ميدان ، اذكر منهم الفريق محمد سعيد الماحى قائد قوات المدفعية المصرية فى حرب أكتوبر المجيدة وكبير الياوران عام ١٩٧٤ ، والعميد متقاعد محمد أحمد حسن أحد الذين قبض عليهم فى بداية ١٩٤٧ ، وكان صديقه عبد الفتاح عنايت والطيار متقاعد حسن عزت قد قدماه الى الرئيس السادات عام ١٩٤٥ ، وفى هذه الفترة عمل الثلاثة « عنايت والسادات الذى حمل اسما آخر للتمويه على بوليس السلطة وحسن عزت » على تكوين شركة للنقل بالسيارات أطلقوا عليها « السهم الفضى » وكان لهم نشاطهم الوطنى ضد قوات الاحتلال البريطانى فى الوقت نفسه . . اننا على حد تعبير محمد أحمد حسن الشائر القديم « لم ننسى مصر أبدا » .

لقد توقف نشاط الثوار مع بداية ١٩٤٧ ، نتيجة القبض على ما يقرب من ٤٠ ضابطا على رأسهم رشاد مهنا ، وهى القضية التى عرفت بالموامرة الكبرى واكتفى الملك فى نهايتها بعد أن صيغت الاتهامات قانونيا بنقلهم

الى مناطق نائية حتى جاء الصاغ جمال عبد الناصر بعد عودته من فلسطين عام ١٩٤٨ ، وأخذ يعمل في إعادة دمج هذه النشاطات القصيرة الصفيرة ، واستطاع بقدرته الفائقة على ادارة النشاط التنظيمى السرى ، والجهود المتناثرة بين مختلف الاسلحة أن يطبق أسلوبا فريدا متألقا في تكوين خلايا الضباط الاحرار ، مستغلا امكانياته الشخصية والعسكرية ، معتمدا على أكبر قدر من الكتمان والسرية في تجنيد وضم الضباط الوطنيين المتحمسين لاجداث هزة عنيفة في البلاد ، يعاونه في ذلك مجموعة ليست بقليلة من الضباط الذين يجيدون الحديث في السياسة وأمور البلاد ، ثم الكتمان المطلق لما يحصلونه من نتائج خلال اختباراتهم للمرشحين من زملائهم قبل ضمهم الى خلايا التشكيل السرى ، وهى اختبارات كانت تستغرق وقتا طويلا ، وأكثر من أسلوب ضمانا للسرية ، وليس في حوزتهم سلاح آخر يحميهم من بطش الملك غيرها .



قال لى « الثائر القديم وحيد جودة رمضان » الذى كان مسئولا عن منظمات الشباب والحرس الوطنى في بداية الثورة ، ثم نكل به طويلا ، وهو في الوقت نفسه أحد أبطال الجولة الاولى في فلسطين عام ١٩٤٨ :

— للحقيقة والتاريخ سمعت أول حديث جدى عن ضرورة القيام بعمل عسكري عنيف يقوم به ضباط الجيش المصرى عام ١٩٤٦ ، من جمال عبد الناصر وكنا نلتقى بقهوة السمر في نهىاية شارع الخليج المصرى بالسيدة زينب ، ثم سمعت الحديث نفسه من الثائر أنور السادات قبل القبض عليه وكنا نلتقى معا في سكنى أحد البنسيونات الصغيرة بشوارع قصر النيل

حيث يسكن بالقرب من جامع الكخيا ، وعرفت انه على صلاة بعبد الناصر ، وان هناك شبه تنظيم سرى لم بنضج بعد ، وفي بداية عام ١٩٥١ استطعت أن أقدم صديقي المرحوم يوسف صديق الى الرئيس الراحل والى أن قام بدوره البارز ليلة الثورة .

وقال لى الصاغ متقاعد محمد عبد العزيز هندی أحد كبار موظفى وزارة الثقافة حاليا ، وقد تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٩ ، وكان من بين أول دفعة تحاكم عسكريا فى يناير ١٩٥٣ ، وقصته تكشف عن جوانب لم تنشر من قبل حول التاريخ السرى لحركة الضباط الاحرار .

قال لى الرجل :

— فى نهاية عام ١٩٤٩ ، كانت الاغلبية من ضباط الجيش المصرى مشحونة بضرورة التغير ، وقد استغل الرئيس الراحل هذه المشاعر وهذا المناخ جيدا ، وبحسابات ناجحة ذكية سيطر عليهم جميعا .

لقد استطعت أنا « والمرحومين عادل لطفى ومحمود الاتربى » من زملائى الضباط أن نعد عريضة سياسية وطنية يرفعها الضباط الى الملك تطالب بانقاذ البلاد . .

هكذا هدانا تفكيرنا ، وبالفعل وقع العريضة ٤٨ ضابطا يمثلون مختلف الاسلحة ، واكثرهم من الكتيبة الثالثة

مدافع ماكنة وكان مقرها بمنشية البكرى ، وقد حلت هذه الكتيبة قبل الثورة ، وأضافت القيادة الى ضباطها عددا كبيرا ، وكونت منهم اللواء السادس مشاة ، وهو اللواء الذى اشترك فى ثورة يوليو بكتائبه الثلاث « ١٦

و ١٧ و ١٩ « مشاة ، الى جانب ثوار الكتيبة ١٣ مشاة بقيادة العقيد أحمد شوقي وصلاح نصر ، والكتيبة ٢٠ مشاة بقيادة حمدى عبيد الذى تولى وزارة الحكم المحلى ذات يوم قبل أن يتقاعد تماما .

كانت العريضة التى عملنا فى اعدادها فكرة رومانسية ولكنها تعبر عن فورة الحماس فى صدورنا ، صدور مجاميع من الشباب أرادوا تحذيد المفاسد والاطفاء التى تعيشها القيادات السياسية والعسكرية ، وقرروا مواجهة الملك فاروق بهما ، رغم علمهم بأن مثل هذا الاجراء قد يعرضهم للفصل والتشريد والسجن ، ولكنه كما قلت كان تعبيرا عن مشاعر تؤرقهم نتيجة ما يرونه ويعيشونه من مجتمع مرفوض داخل الجيش وخارجه وبين الضباط الأحياء الذين اشتركوا فى توقيع هذه العريضة « عبد الفتاح على أحمد نائب وزير الحكم المحلى حاليا ، وشوقي سليمان سكرتير عام محافظة الأسماعيلية ، ومحمود المصرى سكرتير نادى ضباط القوات المسلحة بالزمالك ، وزغلول عبد الرحمن نزيل السجن الحربى حتى عام ١٩٧٤ » .

سألت السيد محمد عبد العزيز هندى :

— هل قدمتم العريضة .. ؟

— لا .. جاء إلينا الضابط اسماعيل فريد ، وطلبها منا لى يجمع عليها توقيعات مجموعة أخرى من الضباط ، بعد أن شرح لنا أن عددا من زملائه يتفقون معنا فى نشاطنا ويريدون أن ينضموا إلينا تحت خط استكمال رسالة البطل الفدائى المرحوم أحمد عبد العزيز ، الذى استشهد فى فلسطين وكان يستقل سيارته بجانب صلاح

سالم - وأحمد عبد العزيز عاش واستشهد وهو يمثل
في أذهاننا وقلوبنا ريادة كل الضباط الوطنيين الأحرار
في الجيش المصرى الى جانب الزميل العقيد رشاد مهنا
وهو بمرتبة الأخ الأكبر والاستاذ فى العسكرية المصرية ،
ثم رجل الدين الجليل المرحوم الشيخ محمد الأودن ،
المعلم الروحى لنا .

وأعطينا اسماعيل فريد العريضة ، ثقة وتعاوننا ، ولم
نكن قد انضممنا لتنظيم الضباط الأحرار بالمعنى الذى
تبلور فى النهاية .. عام ١٩٥٢ ، ولكنه لم يعد ، ثم عرفنا
أن جمال عبد الناصر احتفظ بها !
كيف حدث ذلك ؟

- توقيت العريضة كان فى نهاية ١٩٤٩ ، وفى بداية
١٩٥٠ ذهبت وبرفقتى الضابط أحمد أنور - قائد
البوليس الحربى بعد الثورة - الى بيت الصديق الكبير
رشاد مهنا ، وهناك رأيت جمال عبد الناصر لأول مرة ،
قدمنا رشاد مهنا ، وفوجئت به يقول لى :

- اننى أعرفك من قبل .. منذ مشروع العريضة .
وشرح جمال عبد الناصر موقفه ، وتبريره لاختفاء
العريضة بدعوى حماية وتأمين أصحاب التوقيعات عليها ،
وخوفا من تشريدهم ، وامكانية استغلالهم بعد ذلك فى
عمل مفيد من أجل مصر .

ودخلنا فى مناقشة ، وقات رأى منذ البداية ..
تحدثت عن نهضة مصر ، وأمل الشعب فى مستقبل
مشرق وبينت أن مثل هذا المجتمع لن يتحقق الا بالايمان
والشريعة الاسلامية ، وضربت مثلا بأسلوب القائد صلاح

الدين الايوبى ورؤيته الاسلامية التى ترفض التعصب
وقد صنعت من السلطة أسلوبا فريدا راقيا فى خدمة
الشعب العربى .

وفى نهاية اللقاء أعرب عن رغبته فى لقاءات أخرى
تجمعنا ، ورحبت به فى بيتى ، وتكررت اللقاءات ، ورأيت
عددا كبيرا من زملائه ، واستمعت اليهم جيدا ، كما
استمعت الى عبد الناصر طويلا ، وفى كل مرة كنت
أشرح له رؤيتى وفهمى ، وقد أخذته أكثر من مرة لزيارة
« فضيلة الشيخ محمد الأودن » ليجلس الى الرجل .
ويتفهم تعاليمه وأحاديثه .

ورغم ما أبداه عبد الناصر ايمانا من رغبة فى توثيق
صلاته بى وبأصدقائى ايمانا بخطى واسلوبى الا اننى كنت
أشعر كثيرا بسلوكه المختلف فى علاقاته بزملائه وبى
فصارحته قائلا :

— اننا نهدف بتكتلنا ونشاطنا الى تغيير مجتمعنا ،
الى مجتمع نقى مشرق . . فكيف ننجح فى ذلك ونحن
نمضى فى طريق له أكثر من وجه وعدة ملامح مختلفة ؟!
لقد بدا لى وكأنه يلعب على عدة حبال وليس حبلين
فقط !

وجاء عام ١٩٥١ ، وتوليت أركان حرب كتيبة مشاة
احتياطى بعد الفاء معاهدة ١٩٣٦ ، بهدف تأمين القناة ،
وفى الأشهر الأولى من ١٩٥٢ ، وكان عبد الناصر قد نجح
فى تجنيد أكثر الاسماء التى وقعت على عريضة عام ١٩٤٩
وظلت مناقشاتى معه تدور حول الآتى :

— ما هو الهدف من انقلابنا أو ثورتنا ؟

— هل الهدف هو الانتقام من الملك والباشوات
أصحاب الاقطاعيات الزراعية ؟

— أم الهدف من ثورتنا هو بناء المجتمع الذي نحلم
به ، مجتمع يقوم على دستور يستمد مواده من الشريعة
الاسلامية ؟

ولقد شرحت كثيرا رؤيتي للثورة قبل يوليو ١٩٥٢ ،
وقلت اننا لا نثور من أجل حق في صدورنا على الملك
أو الباشوات أو الانجليز ، بل نثور لتخليص بلادنا أولا
من هؤلاء ، وفق مبادئ هي أسس ثورتنا ، مبادئ
تحدد لنا تخطيطا واسعا لبناء بلادنا من جديد ، وهذا
التخطيط يقوم على قواعد تستمد شريعتها في النهاية
من الشريعة الاسلامية ..

— باختصار كنت أقول .. ماذا بعد الثورة اذا شاء
الله أن ننجح في القيام بها ؟

قالت للسيد عبد العزيز هندی :

— كيف كان يرد على تسلاؤك وآرائك .. كيف
استقبلها ؟

— في البداية أعلن تأييده التام لسياستي ورأيي ،
ورأيته حريصا على التمسك بي وبزملائي واخواني من
صفار الرتب الوطنيين الاحرار ، ولكنني في الوقت نفسه
كنت أشعر بأنه يريد فرض أسلوب السيطرة غير المرئية
على الجميع ، السيطرة غير الملموسة ماديا وغير المباشرة ،
ولكنه يطبقها في دهاء وطول بال بهدف ترويض الضباط
الاحرار في النهاية تحت قيادته ، وهي عملية تستطيع
ان تقول عنها عملية اخضاع من خلال الاحتواء النفسي ..

انها أقرب الى عمليات غسيل المخ منها الى الايمان بمبدأ وعقيدة والخروج للثورة من أجلها ، وكلامى هذا ليس تعميما بالنسبة للجميع ، ذلك لأنه اصطدم بعدد كبير من الضباط الاحرار قبل وبعد قيام الثورة ، رفضوا الخضوع وترديد كلمة آمين ، وقد فهموا متأخرا ما فى رأس القائد ، ومن هنا طبق شعاره أهل الثقة قبل أهل الخبرة ، وهو شعار بدأ تطبيقه فى الحقيقة قبل أيام من قيام الثورة !!

— وهل صارحته بذلك ؟

— نعم وقلت له عدة مرات لا تتخيل أننى أخضع لاحد، اننى أخضع لخالقى فقط سبحانه وتعالى ، ومصارحتى هذه هى إحدى عوامل القبض على نخلصنا منى ثم محاكمتى الهزلية ، وسجنى بعد ذلك فى يناير ١٩٥٣ .

واستطرد السيد محمد عبد العزيز هندى فى حديثه :

— نعود الى يوليو ١٩٥٢ ، فى بيتى هذا ، وفى نفس الحجرة التى تجمعنا الآن التقينا مساء ١٦ يوليو ١٩٥٢ ، جاء عدد كبير من الضباط الاحرار على رأسهم جمال عبد الناصر وأذكر منهم شمس بدران والمرحوم عبد القادر مهنا ، وأحمد عبد الرحمن نصير ، وجمال القاضى ، وزغلول عبد الرحمن .

واقسمنا على المصحف الشريف على الاخلاص والقيام بالثورة ، ثم عدت وطلبت منهم أن نقسم مرة ثانية على القيام بالثورة لنمضى بها من خلال الشريعة الاسلامية ، وتردد عبد الناصر لحظـة ، ولكنه وافق واقسم فى النهاية .

وانتهينا في هذا اللقاء الى القيام بالثورة خلال اسابيع قليلة جدا وأن يتحدد الموعد أو ساعة الصفر قبل نهاية يوليو ..

كنت قد نقلت الى رئاسة هيئة المشاة ، وسافرت الى الاسكندرية لاقضى يومين مع أسرتي وأعود بها الى القاهرة استعدادا للموقف والمهمة التاريخية الكبرى ، وقبل فجر ٢٣ يوليو صحوت من نومي على حركة غير عادية يقوم بها شقيق زوجتي عميد مهندس محمد حسن عامر وكان كبيرا لمهندسي القوات البحرية ، وأخبرني ان السراي طلبته بشكل عاجل ، وعلق بقوله « يبدو أن زملائي في القاهرة تحركوا » فمنعت شقيق زوجتي من الذهاب الى السراي ، وفي دقائق توجهت الى ثكنات مصطفى باشا ، وقمت مع المقدم أحمد فهمي طويلة في احكام سيطرتنا على قوات الثكنات ، بالتعاون مع الاحرار من الضباط زملائي في المدينة حتى لا تستطيع السراي أو حيدر باشا وكان وقتها بالاسكندرية القيام بحركة مضادة للثورة ثم عدت فورا الى القاهرة ، ذهبت مبكرا والتقيت في مقر القيادة العامة بجمال عبد الناصر ، وأبلغته بما قمت به وكيف علمت بنبا التحرك ، وعاتبته على عدم ابلاغى فأظهر دهشته ، ثم طلب منى بعد مضي نصف ساعة على اذاعة البيان الاول بصوت الرئيس السادات .. طلب منى أن أتوجه الى الاذاعة واتولى الاشراف على كل المواد التي تعد لبثها اذاعيا ، وفي مقر الاذاعة وجدت الضباط الذين قاموا باحتلال المبنى من مجموعتي وزملائي ، ومضت الايام بعد ذلك ونشاطنا يتصاعد بالثورة ايقاعا وتطورا .

سألت

— هل تبينت أسباب دهشة جمال عبد الناصر ،
عندما عاتبته على عدم ابلاغك بموعد التحرك أو ساعة
الصفير ؟

— نعم ، علمت أنه أخبر زميلي المرحوم محمود الاتربى
بإبلاغى تليفونيا ، ولكن الاتربى نسى في غمرة التحرك ،
وقد اعتذر لى « محمود » باللحظات العصيبة التى كانوا
يتجمعون فيها استعدادا لساعة الصفير ، واقتنعت
بالسبب والاعتذار .

وماذا بعد ذلك ؟

— طالبتة بتنفيذ ما أقسمنا عليه ، ولكنى لم أر غير
سعى دائم للسيطرة ومحاولة تركيز السلطة فى يده ،
وابعاد بعض العناصر الجيدة من الضباط عن مواقعهم
بحجة تأمين الثورة ، وبدأت مرحلة من الأكاذيب والخداع
والتضليل ، وتقريب المنافقين والمصفقين ، وتدريباً عاد
الضباط الشرفاء الى مواقعهم ، ولكن لصوص الثورة
الذين حرصوا على ركوب الموجة بعد طرد فاروق لم
يسمحوا لهم بهذا ، وفاتحنى عبد الناصر فى تعيينى
بمنصب دبلوماسى لى بعيداً عن القاهرة وقد تفتق ذهنه
خلال الأشهر الأولى للثورة عن هذا الأسلوب ، وحدد لى
السعودية لأعمل بها سفيراً لمصر . حدث ذلك فى نهاية
سبتمبر ١٩٥٢ ، ورفضت هذا الأبعاد .

قلت له : اذا كان هذا أجراً لى فأنا لا أنتظر الأجر
منك أو من أحد آخر ، واذا كان ابعاداً لى عن القاهرة
والجيش فأنا كرجل ثورى مثلك أرفضه إيماناً وثقة
بنفسى ، ولكنى أطالبك فى الوقت نفسه بتنفيذ اتفاقنا
والقسم الذى أديناه .

و ذات صباح قرأت في « روز اليوسف » تصريحاً لأحد المسؤولين دون ذكر اسمه يقول فيه « ان النية تتجه الى اصدار دستور ثورى لا يحدد دين الدولة » فذهبت الى جمال عبد الناصر ثائراً ، وطالبتة باصدار تكذيب لهذا الخبر ، ولكنه اعتذر وقال هذا كلام جرايد ، ولم أتمالك نفسى ، أخرجت مسدسى ولوحت به فى وجهه قائلاً :

— « اننى أرمىك بالرصاص لو فعلت بثورتنا ما يدور فى رأسك » .

وانصرفت غاضباً ، وبعد أيام قليلة قبضوا على فى طريق عودتى الى بيتى ذات مساء ، وحوكمت أمام مجلس قيادة الثورة بين من حوكموا فى يناير ١٩٥٣ ، ولم يفعل أكثرهم شيئاً غير طلب المشاركة فى توجيه مسار ثورتهم ، وصدر الحكم بسجنى عاماً واحداً وقال لى الرئيس الراحل .. انه حكم خفيف لسلوكك الضار بالضبط والربط !

لقد حوكت بلا حصانة قانونية وقلت لهم :

— انتم الخصم ، وانتم الحكم فى الوقت نفسه ..

وفى لقاء آخر مع السيد عباس رضوان أحد أحرار المشاة والذى تولى وزارة الداخلية فى الستينات وحوكم عام ١٩٦٨ بتهمة الاشتراك فى انقلاب عسكرى لحساب المشير عبد الحكيم عامر ، وغادر السجن عام ١٩٧٤ ، أكد لى وجود هذه الحلقات من صفار الضباط فى منتصف الأربعينات وفكر واحد يجمع بينهم .. « كنا نبحث عن طريق للخلاص ! » .

قال لى الرجل :

— كنت التقى كثيرا بحسن التهامى وكمال رفعت وبالمرحوم الوسىمى الطيسار ، وبمحسن عبد الخالق ومصطفى نصير وبعبد الحميد كفاى وبعبد الرحمن مخيون وبمحمد البلتاجى واسماعيل فريد ، وكنا نمثل المشاة والفرسان والمدفعية والطيران ، ثم توقفت لقاءاتنا بعد حركة التشريد التى أصابت عددا ليس بقليل من أبرز الضباط عام ١٩٤٧ — تلك التى عرفت بقضية المؤامرة الكبرى ، ونقلت الى منقباد .

وفى عام ١٩٤٩ عدت أخدم كمدرس بمدرسة المشاة ، ثم ذهبت الى رئاسة المشاة لأطلب نقلى الى وحدتى الأصلية فى رفح ، وهناك تعرفت بالصاغ عبد الحكيم عامر ، وتصادقنا وطلب منى أن أنسى حكاية نقلى الى سيناء وأن أبقى بالقاهرة ، وعرفت منه أننى مرشح لعضوية تشكيـل سرى للضباط ، وقدمنى للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وتكونت خليتنا من التهامى وكمال رفعت والبلتاجى واسماعيل فريد وعبد المحسن أبو النور ومحمد عبد المحسن الذى تخلف عنا بناء على رغبته حين رفض أن يقدم لنا سيارته لنستخدمها فى توزيع المنشورات السرية وكنت مكلفا مع اسماعيل فريد بهذه المهمة — كذلك عبد المحسن أبو النور لم يعد يلتقى بنا ، وأعتقد أنه كلف بالعمل مع خلية أخرى ، أو توقف نشاطه عبر التنظيم .

واستمر عملنا فى سرية تامة ، وكنت أعرف ان الرئيس الراحل والمرحوم عبد الحكيم عامر يقومان بتجنيد الضباط سرا ، وكل منا لا مانع عليه من القيام بهذا الواجب بشرط تطبيق التعليمات حرفيا ، وأولها الكتمان

المطلق ، ولذلك حرص الرئيس الراحل على عدم ابلاغ عدد ليس بقليل من أعضاء الخلايا بساعة التحرك لعدم قدرتهم على اخفاء هذا السر بالرغم منهم ، وقد جاءوا جميعا بعد نجاح الثورة الى مبنى القيادة العامة خلال الساعات الاولى من صباح ٢٣ يوليو ، وبعضهم فضل الانتظار يوما أو اثنين حتى تنجلي الامور تماما !

— وماذا كان دورك ليلة الثورة ؟

— كنت طالبا بكلية الاركان ومعى اسماعيل فريد ، وقد كلفنا ومعنا البلتاجى وحمدى عاشور وعبد الحليم عبد العال وكمال رفعت بالقبض على قاده الملك فى بيوتهم وكانت كلها محصورة بين العباسية ومصر الجديده وكوبرى القبة .

قلت له : سمعنا قصصا مختلفة عن دور شمس بدران ، بعضها يقول انه تلقى تهنئة خاصة من عبدالناصر صباح ٢٣ يوليو ، وبعضها قال انه تلقى عتابا ولوما على تأخيره فى التحرك مع زملائه الضباط فى كتيبة المشاة « ١٧ » .. فما هى الحقيقة ؟

— الحقيقة أن شمس بدران كان محل اعجاب الرئيس الراحل للقيام بدوره خير قيام ، كان برتبة ملازم اول وقد استطاع قيادة كتيبة مشاة ، وهى احدى كتائب اللواء السادس ، وتحرك فى الموعد تماما .. ربما وقعت بعض الاخطاء فى كتيبة أخرى وهى اخطاء بالضرورة ستقع خلال هذا التحرك السرى المدعم بالذخيرة والمعدات من مدفعات وعربات مدرعة ودبابات ومدافع ماكينة ، وربما عطلت هذه الاخطاء تحرك بعض الوحدات ووصولها فى الموعد المحدد لها فوق الخطة التى ساهم زكريا محيى

الدين فيها بجهد كبير ولكنهم جميعا كانوا في موافقهم
وقد أحكموا سيطرتهم على الموقف ، بنجاح لم يكن
متوقعا حدوثه بهذا الحجم .

بهذه المناسبة ، تردد أيضا أن زكريا محيي الدين لم
ينضم الى الضباط الاحرار الا خلال الاشهر الاولى من
عام ١٩٥٢ .. هل هذا حقيقة ؟

— لا .. لقد رأيت زكريا محيي الدين في حوار مع
الرئيس الراحل عام ١٩٥٠ ، وكان حديثهما يدور حول
بعض مهامنا السرية ، كـ ~~خ~~لايا للتنظيم ، لقد توثقت
علاقتهما جيدا في جولة ٤٨ بفلسطين .



وكما كان للضباط الاحرار قاعدتهم في القاهرة
والاسكندرية كان لهم أيضا قاعدة بشرية قوية بين
وحدات سيناء في العريش والقنطرة ورفح .

ولقد كان للرئيس أنور السادات منذ عودته للجيش
في بداية ١٩٥٠ ليخدم في الفرقة الاولى مشاة كضابط
اشارة بالقنطرة ثم العريش ورفح حتى يفادها فجر
٢٢ يوليو ١٩٥٢ مستقلا قطار غزة في طريقه الى القاهرة ،
كان له نشاطه ودوره المكثف في تجنيد عدد كبير من احرار
الاشارة و احرار المشاة والمدفعية .. فوق مسرح
سيناء .

وروى لى الشاثر القديم محمود حسنى عبد القادر وكان
من رجال المخابرات العامة حتى يوليو ١٩٦٧ ، وقد
تخرج من الكلية الحربية ١٩٤٨ ، وخدم كضابط بالكتيبة
الاولى مدافع ماكينة التى تحركت مقدمتها من العريش
الى القاهرة في ١٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة المرحوم مقدم

يوسف صديق وقامت بدورها ليلة الثورة .. كما جاء
بالجزء الخاص عن البطل الثائر الشهيد يوسف صديق .
قال لى محمود حسنى :

— «عام ١٩٥١ كنا نلتقى كثيرا بالرئيس أنور السادات
أكثرنا سمع بقصته ودوره فى بدايه الأربعينات ووجدته
حريصا على لقائه بصغار الرتب ، يتناول معنا طعامنا
ثم يحدثنا عن الوطنية المصريه ورجال مصر وحوار
متصل ذكى يديره باستاذية وخبرة ووعى ، وفى هذه
اللقاءات كان يجند بعضنا أو يرشحنا للاختبارات اللازمة
لكى يضمه لخلايا التنظيم » .

« كان السادات كثير التنقل نشط الحركة بين الضباط
والجنسود فى العريش ورفع والقنطرة ، كما كانت
المنشورات السرية تصل إلينا بانتظام وحتى ما قبل قيام
الثورة بفترة بسيطة جدا ، وعرفنا أن البكباشى السادات
خلف هذه العملية معاونه عدد من ضباط الإشارة
والأسلحة الأخرى المتمركزة فى سيناء » .

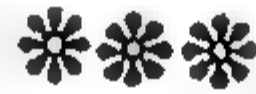


وقال لى مقاتل الإشارة لواء فاروق خفاجى ، وأحد
قادة حرب أكتوبر الرمضانية الماجدة ، وكان برتبة ملازم
أول حين التقى بالرئيس السادات فى سيناء
عام ١٩٥٠ :

— « من المثير أن تعلم أن أكثر قادة حرب أكتوبر من
تلاميذ السادات ، عرفهم فى بداية الخمسينات ، وكتب
عنهم فى أجنדתه الصغيرة الخاصة التى يحتفظ بها فى
جيبه ، ثم بحث عنهم عام ١٩٧٢ ، وأسند إليهم أدوارهم
القيادية .. ان الفريق حسنى مبارك نائب رئيس
الجمهورية وقائد قواتنا الجوية فى حرب رمضان عرفه

الرئيس السادات لأول مرة عام ١٩٥٠ في مطار العريش ، وكان الطيار حسنى برتبة ملازم ثان ، وقد كتب عنه بضعة أسطر في أجندته .

« كان يحرص على معرفة كل منا معرفة جيدة ، كما اختار عدداً قليلاً من بيننا لمعاونته في طبع المنشورات السرية . . ولم يكن يصننا من القاهرة غير نسخة واحدة نقوم بطباعة كمية منها بعد منتصف الليل ، ثم بتوزيعها تحت الأبواب المغلقة داخل ميسات الوحدات ، وعليه بعد ذلك دراسة رد الفعل عند جميع الضباط الذين يتحدثون بالضرورة عن المنشورات التى فوجئوا بوجودها تحت أبوابهم صباحاً وبعد أن تتكرر هذه العملية عدة مرات يرشح من يختاره لخلايا التنظيم » .



كانت مهمة الضباط الاحرار فى سيناء او منطقة القناة شرق وغرب ليلة الثورة بعد أن أبلغ المرحوم صلاح سالم وقائد الاسراب حسن ابراهيم قادة هذه الخلايا بساعة الصفر ، كانت مهمتهم هى العمل على ابقاء كل القسوات فى حالة تأييد للثورة بعد اذاعة البيان رقم واحد ، والحيولة دون تحرك أى قوات يفكر الملك فى نقلها من سيناء او القناة لمواجهة قوات الثورة ، وثبت أن جميع القوات ظلت على مستوى الثورة سياسياً ووطنياً ، وبدأ التأييد منذ الساعة صباح ٢٣ يوليو جارفاً ، واشترك الجميع فى وضع الاستعداد لمواجهة أى قوات اسرائيلية قد تستغل الفرصة وتحاول القيام بهجوم عدوانى على الارض المصرية .

ومن بين ضباط أو أحرار سيناء الذين برزوا على المسرح السياسى ، أحمد طعيمة وتوفيق عبد الفتاح

وزير الشئون الاجتماعية سابقاً ، وحسن ضبري الخولي
والمرحوم فائد جناح جمال سالم ، الى جانب السيد
رشاد مهنا الوصي السابق على العرش ، وقد عاد الى
القاهرة صباح ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ، لتبدأ أولى حلقات
صراع السلطة وتنتهى بالقضية الشهيرة التي اذيعت
فجأة على الراى العام فى مارس ١٩٥٣ ، كما جاء بمقدمة
الجزء الخاص برشاد مهنا فى صفحات هذا الكتاب .

ولقد أحدثت هذه القضية تصدعا فى ترابط ضباط
الجيش من أحرار وغير أحرار ، وأعضاء مجلس قيادة
الثورة ورأى البعض فيها تهديدا للجميع .. كما أحدثت
هزة عنيفة لدى جماهير الشعب المصرى التى لم تكن
تتصور مثل هذا التصدع ولم تمض ستة أشهر من عام
الثورة الاول ، واهتم المعلقون السياسيون فى الصحف
العالمية ممن ظلوا بالقاهرة يتابعون تطور الاحداث بعد
يوليو ١٩٥٢ بتصاعد أنباء هذه المحاكمة .

غير أن ثمة قصة ترددت فى بداية أغسطس ١٩٥٢ ،
وقبل أن يعلن رسمياً عن تكوين مجلس قيادة الثورة
فى منتصف الشهر نفسه ، فعندما أذيع قرار مجلس
الوزراء باسناد عضوية مجلس الوصاية على العرش الى
العقيد رشاد مهنا فى ٣٠ يوليو ١٩٥٢ ، عارض بعض
ضباط المدفعية هذا القرار علانية ، وقالوا انه ليس
الا محاولة للخلاص منه ، وظهر رأى عام مضاد لمجلس
الثورة ينتشر وينمو بين سلاح المدفعية ، مما أزعج
الرئيس الراحل ، فعاد يحسب حساباته من جديد !

كان جمال عبد الناصر قد خصص يوما من أيام
الاسبوع يلتقى فيه بأحرار كل سلاح من أسلحة الجيش،
وأخذ يطبق هذا القرار ابتداء من سبتمبر ١٩٥٢ ، وفى

هذه اللقاءات يجيب على كل تساؤلات ثوار يوليو ، ثم ما لبث أن شعر بالضغط عليه وبالقيود تلتف حوله وتمنعه من الحركة ، قيود الضباط الاحرار ، وقد طرحوا عشرات القضايا والآراء والاقتراحات المتناقضة ، وأدرك الرئيس الراحل ان كل ضابط يريد أن يحكم ، فأخذ يجتمع بهم في حلقات صغيرة ، ليسأل كل منهم سؤالاً محدداً :

— هل لك أن تختار موقعا بعيدا عن الجيش تخدم فيه ؟

وأعلنت الاغلبية دهشتها وتساءلوا :

— لماذا نترك الجيش ؟

وأجابهم بقوله : هذا شيء طبيعي ، ان الثوار اذا قاموا بثورة عليهم أن يتركوا مواقعهم الى مواقع اخرى ، للخدمة العامة ، لكي يحققوا أهداف ثورتهم التي قاموا بها .

ولقد قال لي كمال الدين حسين عام ١٩٧٥ ان مجلس قيادة الثورة كان يؤيد هذا الاتجاه ، حتى اننا اتفقنا على قطع اتصالاتنا بأسـلـحتنا ، وفي أذهاننا سلسلة الانقلابات التي وقعت في سوريا ، وكلنا حريص على عدم تكرار التجربة السورية في ثورتنا . ولكن عددا ليس بقليل من ضباط المدفعية ، وضباط المشاة ، وضباط الفرسان ، كانوا يعارضون هذا الاتجاه علانية ، أكثرهم صوتا وتجمعا .. ضباط المدفعية فقد كانوا يمثلون أغلبية بين الضباط الاحرار وقاموا بواجبات عديدة ليلة الثورة جعلتهم يشعرون بأنهم أصحاب الاولوية في كل شيء ..

وأظهر الصف الثانى من ضباط المدفعية نشاطا بارزا فى الاجتماعات واللقاءات مع الصف الثانى من الفرسان والمشاة ، وأخذوا يتحدثون عن جمعية عمومية للضباط الاحرار تعرض عليها القرارات الكبيرة التى تتعلق بالبلاد حتى لا ينفرد عشرة أو أكثر من الصف الاول باصدار هذه القرارات التى ثاروا من أجلها .

وظهر تيار بين هؤلاء الضباط ينادون بضرورة اجراء انتخابات لمجلس قيادة الثورة وقال البعض انهم لا يعرفون أكثر هؤلاء الضباط البكباشية الذين يمثلونهم فى مجلس القيادة أو لجنة القيادة كما كان يطلق عليها وطرح آخرون حلا مختلفا ، فقالوا ان خمسة ضباط من لجنة القيادة لهم أن يبقوا بشكل دائم ، أما بقية أعضاء اللجنة فيجب انتخابهم عن طريق جمعية عمومية للضباط الاحرار .

وهؤلاء الخمسة هم :

— « لواء محمد نجيب — بكباشى يوسف صديق —
صاغ كمال الدين حسين — صاغ عبد الحكيم عامر —
قائد جناح طيار عبد اللطيف البغدادى » .

ولم يكن أكثر الضباط الاحرار يعرفون جمال عبد الناصر ودوره القيادى . . لاعتماده فى بناء التنظيم السرى على نظام الخلايا ، حتى ان عددا من رؤساء هذه الخلايا لم يكن يعرف عبد الناصر قبل الثورة .

ولقد روى لى بعض الضباط الاحرار وقد التقيت بأكثر من سبعين منهم ، وأنا أبحث عنهم فى نهاية عام ١٩٧٢ ، روى لى أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر خيل له أن السيد رشاد مهنا خلف هذه

التيارات يحركها ويشجعها ، فدعا عددا كبيرا من أحرار الصف الثاني للاجتماع به بمقر القيادة وكان اجتماعا صاخبا ، فقد نادى البعض بعودة الحكم الديمقراطي خلال فترة زمنية قصيرة يعود بعدها الجيش الى ثكناته ، ونادت مجموعة أخرى بشجب هذا الرأي واعتبرته تخريبا للثورة ، وطالبت باستمرارها وأن يكن لها الحق في فترة استثنائية طويلة ، تستعد خلالها لتطهير الوطن من الاحتلال البريطاني ، وخلال هذه الفترة تكون جماهير الشعب قد نضجت وعيا ، وتصبح قادرة على اختيار شكل الحكم الذي تريده .

واحتدم النقاش طويلا ، حتى أن أحدهم أخرج مسدسه وحاول التهديد به .. وقال بعض ضباط المدفعية ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بكى تلك الليلة أسفا وحزنا على هذا التمزق ، واستطاع بذلك المشهد تأجيل الحوار والاجتماع بشكل مؤقت .

وفي « ميس المدفعية » تجمع الفريقان الفريق الذي يطالب بفترة استثنائية قصيرة ، والفريق الآخر المضاد ، ودار نقاش حاد ، وهدد البعض بقتل زملائهم ان لم يتوقفوا عن هذا المطلب ، وفي الوقت نفسه كان عبد الناصر مع أعضاء مجلس الثورة يناقشون هذه التطورات وما تطرحه من احتمالات وأنقلابات مضادة ، وفي الذهن الانقلابات العسكرية السورية ، وفشلها وتمزقها .

وذهب كمال الدين حسين بصفته قائد خلايا الضباط الأحرار في سلاح المدفعية ، ذهب الى ضباطه الثائرين وناقشهم وناقشوه ، ثم تركهم عائدا الى الرئيس الراحل ، ووعدهم بالعودة ولكنه لم يعد !

وكانت الأعصاب مشدودة متوترة ، والآراء كثيرة متضاربة ، وكل فريق يدافع عن وجهة نظره بحماس شديد ، وظهرت تيارات الإخوان المسلمين ، وتيارات اليسار بين الضباط الأحرار ، والجميع يقولون ان أفكارهم هي السبيل الوحيد لحماية الثورة التي قاموا بها .

قال لى بعض الضباط الأحرار :

— لقد استطاع عبد الناصر أن يجمع حوله عددا من أحرار المدفعية — جعلهم يواجهون زملاءهم ممن يطالبون بانتخابات لمجلس القيادة ، وبفترة استثنائية قصيرة تحدد وتعلن للشعب ، وقال عبد الناصر لهؤلاء : « انى لن أتكلم معكم ، سأدع زملاءكم يستمعون الى طلباتكم وسأقوم مع زملائي بتنفيذ هذه المطالب على الفور » .

واستمرت اللقاءات والمناقشات حتى سبتمبر ١٩٥٢ ، والتفت الأحرار فجأة الى ناديهم الذي تعرض مجلس إدارته للحل والتشريد بواسطة الملك فاروق قبل القيام بالثورة ، وهو المجلس الذي جاء به تنظيم الضباط الأحرار وقيادته — على رأسه اللواء محمد نجيب رئيسا لمجلس إدارة نادى ضباط القوات المسلحة ، ورشاد مهنا وكيلا له ، وبين أعضائه زكريا محيي الدين وحسن إبراهيم وآخرين من أعضاء الخلايا السرية .. فى سبتمبر ١٩٥٢ ، التفت الضباط الأحرار الى ناديهم وكأنهم تذكروه ، وطالبوا بانتخابات جديدة لمجلس إدارة النادى تتفق ومناخ مابعد نجاح الثورة .. لكن بعض أصوات مجلس القيادة وبعض الضباط الأحرار الموالين لهم عرضوا تعيين أعضاء المجلس بدلا من انتخابهم بحجة ان الجيش لم يستكمل تطهير صفوفه بعد .. فثار القطاع

المطالب بالانتخابات وقالوا كيف نقبل اليوم بعض مآثرنا من أجله بالأمس !

وتأزم الموقف .. وقال بعض الضباط الأحرار ان زملاءهم من الإخوان المسلمين يحاولون السيطرة على النادي ، وتردد أن السيد رشاد مهنا والبكباشي مصطفى راغب ، « والاثنان مدفعية » يتزعمان هذا الاتجاه ، فتقرر اجراء الانتخابات ، واعتمدت القيادة على بعض ركانها من الضباط للعمل من أجل اسقاط مرشحي الإخوان أو اليسار أو كل من يعمل سرا لهيئة أو حزب ، غير ان النتيجة جاءت يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٢ بمفاجأة ، قيل أن الرئيس الراحل ثار من أجلها وقال ان ضباط رشاد مهنا وكمال حسين عملوها ، وقيل أيضا أن كمال حسين ثار هو الآخر على رفاق السلاح من ضباط المدفعية !

ومرت ساعات وقبل أن تنتصف الليلة التالية قام البوليس الحربي بالقبض على رشاد مهنا ومصطفى راغب ومحمود غراب وعاطف ابراهيم ، وعدد آخر من الضباط بلغ عددهم ٤٦ ضابطا من بينهم ٤١ مدفعية والباقي مشاة .

وانتشر الخبر بين أسلحة الجيش وكان مفاجأة وصدمة للأغلبية ، وأخذ الحماس ببعضهم فرفع بكباشي المشاة حسنى الدمنهورى صوته بالاعتراض والرفض لأسلوب القيادة ولما وقع عليه شخصا من غبن ، وقام بالمرور على ضباط مختلف أسلحة الجيش محرضا ضد البكباشي جمال عبد الناصر وبعض رفاقه ، والبكباشي الدمنهورى هو أول من حوكم سرا ، مع شقيقه الأصغر يوزباشي المدرعات حسن ، وفي ساعات اشتعل الموقف داخل ثكنات الجيش ومقر القيادة ، وتزعم اليوزباشي مدرعات

سعد عبد الحفيظ ومجموعة قليلة أخرى من الضباط ،
ومعهم ثلاثة من المدنيين محامين وطبيب « الحكيم
ومحمود رشيد والدكتور الشال » الدفاع عن الضباط
الأحرار وما يقع ضدهم من سجن واعتقال حتى أن بعض
الضباط ناقشوا خطة للهجوم على السجن الحربى ،
والإفراج عن زملائهم من الضباط المعتقلين هناك . . . وقل
التنفيذ أنكشفت خطتهم ، وانضموا الى المجموعة السابقة
نزلاء بالسجن الحربى !!

وبدأت مرحلة التحقيق ، تردد أيامها داخل الجيش
أن أحد المتهمين وهو اليوزباشى أحمد وصفى من المشاه
مات متأثرا بارتجاج فى المخ بعد ضربة على رأسه . وربما
كان هذا الضابط هو أول شهداء التعذيب ، وقد مات
قبل أن تصدر الأحكام ، وجاء اسمه بين قائمة المحكوم
عليهم بالسجن والطرده من الخدمة العسكرية ، ولم يكن
بين القائمة اسم البكباشى حسنى الدمنهورى أوشقيقه
اليوزباشى حسن ، اللذين صدرت من أجلهما أحكام
أخرى سابقة لم تعلن فى حينها ، وكان أول حكم يصدر
بالإعدام على ضابط - لم يكن بالفعل من الضباط
الأحرار ، ولكنه عمل منذ اليوم للثورة متعاوناً معها ،
حريصاً فى الوقت نفسه على كرامة العسكرية المصرية -
كما صدر الحكم فى الوقت نفسه على شقيقه الأصغر
حسن بالسجن خمس سنوات مع إيقاف التنفيذ .

وهكذا أصبح على « القيادة » أن تخضع لسيطرتها
كل من المدفعية والفرسان وقد نجحت فى ذلك عن طريق
الارهاب لا الحوار والاقناع .

قال لى السيد كمال الدين حسين فى أكتوبر ١٩٧٥
ونحن نستعيد هذه الأحداث .

« لقد كان اجراء ضروريا رغم قسوته ، ولسكنه
أشبه بعملية جراحية كبت جزء صغير من الجسد هدد
الجسد كله بالموت ، اجراء رغم قسوته بدأ حتميا
لاستمرار الثورة وعدم تعريضها لما حدث في سوريا من
انقلابات عسكرية عديدة فاشلة » .

لقد ترك هذا الموقف أسوأ الأثر في نفوس من قبض
عليهم ، ومن حوكموا ، ومن اعتقل دون محاكمة ، وصورت
وكالات الأنباء العسالمية ما حدث في القاهرة على انه
بداية كمائن لتصفية الضباط الاحرار .

وقالت وكالات أخرى انه صراع بين الديمقراطيين
والديكتاتوريين من ثوار الجيش المصرى ، وجاء مارس
١٩٥٣ ، وأذيعت أنباء المحاكمة والاحكام على السيد
رشاد مهنا ، و ١١ ضابطا ، و ٣ مدنيين ، وأعلنت
الصحف لأول مرة ان البكباشى جمال عبد الناصر هو
رئيس مجلس قيادة الثورة ، غير ان السجن الحربى كان
يضم عددا آخر من الضباط الاحرار ، وقد أفرج عن أكثرهم
بعد الصدام الذى وقع عام ١٩٥٤ ، وكادت المدفعية
تفتح نيرانها على الفرسان ، وقد تبدل المناخ فى السلاحين
و حين هدا هذا الموقف قرر جمال عبد الناصر ورفاقه
الأفراج عن أغلبية الضباط المعتقلين منذ يناير ١٩٥٣ ،
ثم عاد وأفرج عن الباقي فى يوليو ١٩٥٦ وكان من بينهم
السيد رشاد مهنا ، الذى أعيد اعتقاله مرة أخرى عام
١٩٦٥ حتى عام ١٩٦٧ .

وانحرف المسار

وبين اغسطس وسبتمبر حتى ديسمبر ١٩٥٢ ، ثم

يناير ١٩٥٣ ، الى نهاية عام ١٩٥٥ ، كان الجيش المصرى قد فقد عددا كبيرا من الكفاءات العسكرية ، خاصة الذين حققوا مستويات راقية من القتال فى جولة ١٩٤٨ بفلسطين ، أحيلوا الى التقاعد ، أو نقلوا الى أعمال مدنية فى وزارات التجارة والخارجية والتعليم والمواصلات وهيئة التحرير ، وسمحوا للبعض وعاونوهم فى انشاء مكاتب استيراد وتصدير ، فحققوا ثروات خيالية غير مشروعة أظهرتها قضية الاستيراد الكبرى فى الستينات وبعض المتهمين فيها من الضباط الاحرار أو من الكفاءات العسكرية الممتازة قبل الثورة « قضية بسيونى جمعة » .

ولقد فشل بعض الضباط فى وظائفه المدنية فشلا ذريعا ، أو انحرف ، ونجح آخرون وحققوا تقدما ونتائج طيبة فى قطاعاتهم ، ثم ظهرت نظرية الولاء قبل الكفاءة ليس على مستوى الجيش فقط ، بل على مستوى جميع المرافق والمناصب الهامة فى البلاد حيث سيطرت مجموعة كبيرة من الضباط الذين تساقوا الثورة بعد طرد الملك ، والذين رفضوا الخروج ليلة الثورة ، وبدأت تظهر دولة « البرامكة » أو بداية « حكم العصابة » كما وصفها الرئيس الراحل ذات يوم فى حديث له مع الرئيس السادات !

أحرار الإسكندرية

عدد ٢٥ سنة صمست

تأتى قصة الضباط الأحرار فى الإسكندرية وهم يمثلون أسلحة المدفعية الساحلية والمضادة للطائرات والمدفعية ميدان والمشاة والإشارة فالبحرية ، وأتى تذايع لأول مرة بعد ربع قرن من الصمت ، لتكتمل الصورة التى ظلت مبتورة طوال هذه السنين ، صورة العمل السرى لشوار يوليو ، وأخيرا أسرار هذا العمل فى الإسكندرية التى أطلق عليها بعض الضباط « بيت الداء » حيث كانت تضم قادة الملك السابق ، والقائد العام الفريق محمد حيدر باشا وبعض قاداته وعدد ليس بقليل من الضباط المعروفين بولائهم للملك فى القوات البحرية ثم زعماء الأحزاب فى المصيف .

ان دور الضباط الأحرار فى الإسكندرية ودور قائدهم بكباشى المدفعية الساحلية أحمد عاطف نصار يعكس قصة مثيرة من قصص السلطة والصراع عليها بعد الثورة ، وما جرى خلف الستار والكواليس من أحداث وتطورات لم تعرف عنها جماهير الشعب شيئا !

من هو عاطف نصار ؟

اتركه هنا يروى عبر لقاءات معه خلال العام الماضى

١٩٧٦ .

« ولدت في ٥ مايو ١٩١٤ - بقرية سروهيت مركز
الباجور منوفية ، وتخرجت في الكلية الحربية عام ١٩٣٥ ،
والتحقت بسلاح المدفعية ميدان ، والى انجلترا سافرت
في بعثة عسكرية وقضيت هناك عاما ونصف عام ، ثم
عدت الى القاهرة في اوائل عام ١٩٣٨ .

ولقد وجدت بعد عودتي في سلاحى تجمعات تضم
رفاق السلاح ، ترفض معاهدة ١٩٣٦ وتبحث في مستقبل
مصر ، وانضمت الى مجموعة من الضباط كانت تضم
« الزملاء رشاد مهنا وعبد الحليم الدغيدى وأحمد
حسن الفقى وابراهيم عاطف وعبد المنعم أمين » وأخذ
نشاطنا يتركز في القيام بعمل مضاد ضد البعثة الانجليزية
العسكرية وقادتها الذين يسيطرون على الجيش المصرى .

وجاء عام ١٩٤٠ ونقلت للعمل بالسودان ، حيث
التقيت لأول مرة بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ،
لنبدأ مشوارا ثوريا معا انتهى بتقديمى للمحاكمة بتهمة
التآمر عام ١٩٥٧ ، ثم صدور الحكم باعدامى فسجنى
٢٥ عاما ، فالاخراج عنى بعد ٩٠ يوما فقط . . ! بعد أن
سأل عنى الزعيم الهندى الراحل جواهر لال نهرو وسأل
عن حقيقة ما ارتكبته ضد ثورة يوليو ، فما كان من
جمال عبد الناصر الا أن أفرج عنى !

نعود الى البداية ، الى عام ١٩٤٠ في السودان . .
كنت برتبة يوزباشى وعبد الناصر برتبة ملازم أول
وقد عرف عنى كراهيتى للقيادة البريطانية وتعسفها
ضد المصريين والسودانيين معا ، وأمر عسكرى أصدرته
ذات يوم لجنودى بضرب جنود الانجليز في الشوارع
« علقه ساخنة » نتيجة اعتداء بعض الانجليز على عدد

من جنودنا المشاة ، فبات قائد المنطقة الانجليزى فى بورسودان يخشانى تماما .

وسعى عبد الناصر للقائى ، وتحدث معى مزهوا بشجاعة جنود المدفعية ، ثم صرنا نلتقى ونتحدث حول المانيا وبريطانيا ومستقبل مصر ، وبدأ لى اننا متقاربين فكرا وسلوكا .

وجاء عام ١٩٤٢ ، فعادت الى مدفعية السواحل بالاسكندرية ، واصطدمت مرة اخرى بالقيادة الانجليزية أثناء انسحاب الانجليز امام روميل ومحاولاتهم تدمير كل المناطق العسكرية المصرية فى الاسكندرية اذا تقدمت القوات الالمانية فى زحفها ورفض التام لتنفيذ خطة الانجليز ، وتدخل قائد المنطقة العسكرية الشمالية فى المدينة لواء زكى كمال ثم اقتناعه بوجهة نظرى .. الى أن لجأ الانجليز للمفخور له مصطفى النحاس باشا الذى أرسل لنا سرا الاستاذ حسن سرور نقيب المحامين بالاسكندرية أيامها ، وحسن بكرى عضو مجلس النواب عن محرم بك ينقلان لنا تأييده وتعاطفه ، وقد التقيا بزملائى الضباط الذين يقفون معى ، هؤلاء الضباط تحولوا الى نواة للتنظيم السرى لاجرار الاسكندرية فيما بعد .

نقلت بعد ذلك الى التدريس بالكلية الحربية حيث التقيت مرة ثانية بجمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين المدرسين بالكلية ، وقصتى الوطنية تسبقنى ، ونبدأ معا رحلة صداقة وزمالة بقدر أكبر من النضج والوعى .

وبعد عامين قضيتها مدرسا بالكلية الحربية عدت الى المدفعية الساحلية بالاسكندرية ، وفى عام ١٩٤٦ ،

أُتِّهِمْتُ بِكَلِيَّةِ أَرْكَانِ حَرْبٍ وَالتَّقِيْتُ لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ
بَعْدَ النَّاصِرِ وَزَكَرِيَّا مَحْيَى الدِّينِ وَالْمَرْحُومِ صِلَاحِ سَالِمٍ ،
وَفِي عَامِ ١٩٤٨ تَخَسَّرْتُ وَعِينَتُ أَرْكَانَ حَرْبِ اللُّوَاءِ
الرَّابِعِ مَشَاةً وَتَوَجَّهْنَا إِلَى الْجَوْلَةِ الْأُولَى بِفَلَسْطِينَ .

وَأَصِيبُ قَائِدِ اللُّوَاءِ الْعَمِيدِ فَوَّادِ هَبْشَسَرَسٍ وَتَسْلَمِ
الْقِيَادَةِ مِنْهُ الْعَمِيدِ مُحَمَّدِ نَجِيبِ لَوَاءٍ فِيمَا بَعْدَ - وَالتَّقِيْتُ
بِهِ وَبَارَكَانِ حَرْبِ الْمَرْحُومِ عَبْدِ الْحَكِيمِ عَامِرٍ وَبَعْدُ بِيرٍ
مِنْ ضَبَاطِ يُولِيُو الْأَحْرَارِ أُنْثَاءَ الْعَمَلِيَّاتِ الْحَرْبِيَّةِ .

وَعَدْنَا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَفِي عَامِ ١٩٤٩ فَاتَحَنَى الرَّئِيسُ
الرَّاحِلَ لَوَّلَ مَرَّةً فِي تَنْظِيمِ سَرَى وَعَرَفْتُ مِنْهُ أَنَّ صَدِيقِي
الْمَرْحُومَ صِلَاحِ سَالِمٍ هُوَ الَّذِي طَلَبَ مِنْهُ مِفَاتِحِي فِي أَمْرِ
الْإِنْضِمَامِ لِهَذَا التَّنْظِيمِ فَرَحِبْتُ عَلَى الْفَوْرِ بَعْدَ أَنْ أَوْكَلَ
لِي مَسْئُولِيَّةَ قِيَامِ التَّنْظِيمِ فِي الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَتَجْنِيدِ الضَّبَاطِ
لِلْإِنْضِمَامِ إِلَيْنَا ، لَمَّا لِي مِنْ صِلَاتٍ قَوِيَّةٍ مَتَشَعِّبَةٍ فِي الْمَدِينَةِ
بِكَافَةِ الْأَسْلِحَةِ الْآخَرَى نَتِيجَةً خَدَمْتِي الطَّوِيلَةَ بِهَا ،
وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُومُ مِنْ جَانِبِهِ بِتَجْنِيدِ ضَبَاطِ آخَرِينَ
عَنْ طَرِيقِهِ ثُمَّ يَخْطُرْنِي بِهِمْ مِثْلُ أَحْمَدِ حَمْرُوشِ الْكَاتِبِ
الصَّحْفِيِّ حَالِيَا ، وَصِلَاحِ قَنْصُوءَةِ السَّفِيرِ بِالْخَارِجِيَّةِ
الْآنَ ، وَالصَّدِيقِ عَبْدِ الْحَلِيمِ الْأَعْمَرِ بِقِطَاعِ الْغَزْلِ
وَالنَّسِجِ آخِرًا . . وَكَثِيرًا مِنَ الضَّبَاطِ لَا أَذْكَرُ أَسْمَاءَهُمْ ،
بَعْضُهُمْ اسْتَمَرَّ مَعَنَا ، وَبَعْضُهُ تَرَاوَعَ خَوْفًا مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ
الْمَجْهُولِ .

وَفِي الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَمِنْذُ عَامِ ١٩٤٩ ، حَرَصْتُ مَعَ
زَمَلَائِي الضَّبَاطِ عَلَى إِقَامَةِ شَبَكَةٍ عِلَاقَاتٍ وَصَدَاقَةٍ قَوِيَّةٍ
مَعَ رِجَالِ الْجَامِعَةِ وَالشَّرْطَةِ وَتَقَايَاتِ الْأَطِبَّاءِ وَالْمَحَامِينِ
وَالْمُهَنْدِسِينَ وَالصَّحْفِيِّينَ ، ثُمَّ قَادَةَ الْمَصَانِعِ بِلِ عَمَالِهَا ،

والجاليات الأجنبية في المدينة ، والنوادي المختلفة ،
ولا أنسى الدور الذي أداه لنا نادي أبناء الشرقية ،
من خلال زميلي ضابط الإشارة عميد شريف أباطة الآن
- أحد الضباط الأحرار في الاسكندرية ، وكان والده
من مؤسسي النادي .

لقد قمنا في هذا النادي بدعوة طلبة الجامعة وأساتذتها
ورجال المرافق العامة في المدينة لجلسات حوار ولقاءات
فكر حتى أصبح لنا قاعدة جماهيرية كبيرة ، قامت
بدورها صباح ٢٣ يوليو ، فكان التسلاحم الراقى بين
الشعب ووححدات الجيش التي خرجت الى انحاء
الاسكندرية منذ اللحظة الاولى التي أذيع فيها بيان
الرئيس السادات ، البيان رقم واحد للثورة .

فبل ذلك ، دخلنا اختبارا عمليا عام ١٩٥١ ، بعد
ان ألقى مصطفى النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦ ، اذ شرعنا
على الفور في تدريب طلبة الجامعة على القتال وحرب
العصابات يعاوننا الزميل وجدى خليفة من رفاق
السلاح وكان مسئولوا عن التدريب العسكرى لطلبة
جامعه الاسكندرية .

أخذنا أرض « لتوريا » بمنطقة الشاطبي ، مبنى كلية
الزراعة حاليا ، وكانت أرضا مهجورة تملكها مدرسة
ايطالية أثناء الحرب العالمية الثانية وجعلنا منها مسرحا
للتدريب ، كما أقمنا مسرحا ثانيا بالصحراء الغربية .

كنا ثلاثة نقوم بالاشراف على التدريب الى جانب
وجدى خليفة ، وعبد الحليم الاعسر ، وشريف أباطة ،
وأنا ، وكان بين أول دفعة من شهداء طلبة الاسكندرية
في منطقة القناة الشهيد الطالب عباس الاعسر شقيق

زميلي عبد الحليم ، وقد رفض أن يقوم بإجازة من التدريب واستمر يعمل فخورا بشهادة أخيه الأصغر .

لقد أثنى الرئيس الراحل طويلا على نشاطنا في حرب الفدائيين عام ١٩٥١ ، ونجاحنا في تنفيذ الخطة بكفاءة عالية ، هذه الكفاءة التي حاولنا تطبيقها مرة أخرى أثناء العدوان الثلاثي علينا عام ١٩٥٦ ، فكانت أحد العوامل التي دفعتهم في القاهرة لالقاء القبض على ومحاكمتي بتهمة التآمر ضد الثورة !

عدنا بعد حريق القاهرة واجهاض الحركة الفدائية الى تعبئة الراى العام في الاسكندرية وتوزيع المنشورات التي كانت تصل الينا من احرار القاهرة فنطبع اضعاف اضعاف ما يصلنا ، ونعمل على توزيعها ليس على العسكريين فحسب ، بل على كل الهيئات المدنية ، لاحساسنا بأنهم سسند الجيش حين يقوم بخطوته الامامية .

وتعددت لقاءاتي بالرئيس الراحل ولقاءاته بزملائي الضباط الاحرار في الاسكندرية هنا أو في القاهرة ، وكل خطواتنا اعرضها عليه حتى الضباط الذين كنت ادخرهم لمهام محددة يوم الثورة ولم أجندهم للتنظيم من أجل حساسية مواقعهم التي يشغلونها ، كنت أخبره بهم ، مثل البكباشي اسماعيل شاكر قائد فرع المخابرات الحربية الملكية بالاسكندرية الذي قام بالفعل صباح يوم الثورة بدوره كأحد الضباط الاحرار المتحمسين للثورة ، ومثل اليوزباشي محيي لبيب السكرتير العسكري للواء محمد حلمي عبد الرحمن قائد المنطقة الشمالية العسكرية وكانت مهمته ابلاغى سرا بكل تحركات ضباط الملك ونشاطهم المضاد لنا ، ومثل الصاغ محمود غراب

الذى شاركنا العمل لحظة بلحظة ثم انسحب بعد خروج الملك لارتباطه بالاخوان المسلمين ..

سألته ، كيف لم يبلغكم أحد بساعة الصفر ؟

لقد قيل ان جمال عبد الناصر ارسل اليوزباشى أحمد حمروش اليكم بالموعد ولكن تقصيرا منه وقع ، فلم تعرفوا بالثورة الا من خلال الراديو .. ما حقيقة هذه القصة ؟

— حدث تقصير بالفعل وهو ما سمعته من الرئيس الراحل بعد الثورة مباشرة .

كان أحمد حمروش من أعضاء التشكيل السرى بين ضباط الالاي المضاد للطائرات بمنطقة السلسلة بوحداث الأنوار الكاشفة ، وكان كثير التنقل بين القاهرة والإسكندرية ، وعبد الناصر هو الذى قام بتجنيدده ، وروى لى عبد الناصر بعد الثورة ان حمروشا سافر الى بلدته بالبحيرة لا الاسكندرية ليبلغنا بساعة الصفر ، وبالفعل ظهر حمروش بيننا يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ ولم يقل شيئا .

ولقد فسر البعض موقف حمروش بأنه كان ينفذ تعليمات « حركة حدتو الشيوعية » التى تضمه سرا ، وكانت تعليماتها الى أعضائها من الضباط الاحرار هى العمل على افساد هذا الانقلاب العسكرى ، وقد التزم بها حمروش فقط ، ولذلك لم يقرر له عبد الناصر معاشا استثنائيا ولم يهتم به الا بعد التحول نحو الشرق والاتحاد السوفيتى الذى بدأ مع عام ١٩٦٢ ، ومن هنا لم يذكروا اسمه فى الوثيقة الرسمية التى صدرت عام ١٩٧٢ ، تلك التى أصدرها الرئيس السادات ، فى

قرارين جمهوريين يحملان رقم ١٣٨٦ و ١٣٨٧ ، مسجلا
أسماء ثوار يوليو من الضباط الاحرار .

سؤال للتاريخ : لقد ترددت قصة تقول ان الرئيس
الراحل رأى ان يحول بين مائة ضابط من الاحرار وبين
ساعة الصفر ، ودون أن يكلفوا بأى واجبات ، حتى اذا
لا قدر الله وفشلت الثورة ، يظل هؤلاء المائة نواة
لحركة ثورية جديدة داخل الجيش لمعاودة الثورة مرة
أخرى ، وانه طبق هذا القرار على الضباط الاحرار في
الاسكندرية .. ما رأيك ؟

سؤال ثان : قصة أخرى ترددت في الاسابيع الاولى
للفترة ، تقول ان الرئيس الراحل كان يعتزم لو فشلت
الثورة أن ينجو هو وبعض أعضاء لجنة القاهرة او الهيئة
التأسيسية للضباط الاحرار كما أطلق عليها قبل
الثورة ، بواسطة طائرة حربية ، أعدها قائد الجناح عبد
اللطيف بغدادى وبعض زملائه من احرار الطيران في مطار
انجليزى قديم بمنشية البكرى بجوار بيت الرئيس
الراحل حاليا ، يطرون بها الى سوريا ، وكان العميد
أديب الشيشكلي قد قاد انقلابا ناجحا في دمشق ، وفي
ذهن عبد الناصر ان هؤلاء الضباط الاحرار المائة الذين
لم يبلغهم بموعد الثورة ومنهم احرار الاسكندرية يمكن
أن يعاودوا النشاط السرى مرة أخرى بقيادته من
سوريا ، وانه رأى الا يبلغكم بساعة الصفر تطبيقا لهذه
الخطة ، فاذا كانت القصصتان صحيحتان ، يصبح
اليوزباشى أحمد حمروش ، متجنيا عليه ... ماذا تقول
أنت ؟

— بالنسبة لقصة المائة ضابط فأننى أجزم بأنها غير

صحيحة ولم يفكر فيها عبد الناصر قط .. لماذا ؟

لأن التنظيم كان فى حاجة الى اكبر عدد من الضباط رتب كبيرة وصغيرة ، واسمح لى أن أقول من خلال موقعى قبل الثورة انه ومع بعض أعضاء لجنة القاهرة كانوا يخشون تخلف عناصر كثيرة من أعضاء التنظيم ساعة الصفر خوفا وتراجعا ، وقد حدث هذا بالفعل، ثم أثر الرئيس الراحل أن يحتفظ بأسماءهم سرا حتى مماته ، وبعضهم أسند اليه مناصب قيادية فى مرافق البلاد وهم بعض من أطلق عليهم « أهل الثقة » !

ودليلى على ذلك هو ذهاب جمال عبد الناصر وكمال حسين يوم ٢١ يوليو الى بيت صديقى عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ليفاتحاه فى الانضمام اليهم ، وحين وافق عبد المنعم قالا له ان موعد تحركنا غدا !

ماذا يعنى هذا ؟

يعنى انهم كانوا فى حاجة ماسة الى عدد اكبر من الضباط لمساندة الثورة .

ويهمنى أن أذكر لك اننى ذهبت الى القاهرة قبل الثورة ببضعة أيام تقل عن أسبوع والتقيت بالرئيس الراحل الذى أخبرنى بالاستعداد للثورة خلال أيام قليلة جدا وانه سيخطرني بساعة الصفر قبلها بأربعة وعشرين ساعة ، ثم طاب منى العودة الى زملائي بالاسكندرية ، وأن نأخذ وقفة الاستعداد منذ لحظة وصولى مباشرة اليهم ، وقد نفذت كل هذا بدقة شديدة ، وكتبت بكل التفاصيل الى الرئيس أنور السادات فى نهاية عام ١٩٧٢ ، ومن هنا وحين فوجئنا بالبيان رقم واحد، تحركنا بثبات

ووعى وسيطرنا على المدينة تماما حسب الخطة الموضوعة من قبل .

أما بالنسبة لقصة الطائفة واللجوء الى سوريا ، فهي قصة ترددت بعد أغسطس ١٩٥٢ ، حين احتدم الخلاف بين الضباط الاحرار حول تشكيل مجلس قيادة الثورة ، وسمعتها مرة أخرى بعد يونيو ١٩٥٣ ، عندما صدر قرار مجلس القيادة بتعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للجيش وترقيته الى رتبة لواء ، وعرفنا ان بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة كان يعارض هذا الاختيار مثل البغدادي ، وكمال حسين ، وجمال سالم ، وصالح سالم ، ولكن عبد الناصر فرضه عليهم بسلوكه وذكائه وسيطرته ، فخرجت القصة من جديد في محاولة سرية لتشويه خلفية عبد الناصر بين قاعدة الضباط الاحرار ، غير انني اذكر للتاريخ ان الرئيس الراحل قد حرص بالفعل على عدم ابلاغ عناصر معينة من الضباط الاحرار بموعد التحرك ليس خوفا عليهم ، بل تخوفا منهم ومن طبيعة تكوينهم ونشاطهم القديم ، وخاصة من كان له نشاط ثوري سرى قبل أن يندمج في تشكيل جمال عبد الناصر... بعضهم وليس كلهم ، ساورته المخاوف منهم بعد نجاح الثورة ، اذا قدر لهم أن يشاركوا فيها تحركا وايجابا... وأعتقد ان توقعاته كانت صحيحة... لقد أورثه أكثرهم « الصداق » الدائم كحد تعبيره لي بعد يوليو ١٩٥٢ ، وكان جادا في البحث عن وسيلة للخلاص منهم قبل نهاية الشهور الستة الاولى من عمر الثورة .

عدت أسأل البكباشي أحمد عاطف نصار : كيف كان تحرككم صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبقية الايام التي تلت

صباح الثورة حتى غادر فاروق البلاد ؟

— كانت خطتنا التي وضعناها مع زملائى أن نسيطر على الوحدات العسكرية من داخل هذه الوحدات ، ونقوم بعزل القادة القدامى دون أن تتحرك وحداتنا خارج المدينة — وبعد أن استمعنا الى البيان الاول للثورة اتخذت رئاسة الالاي الثانى للمدفعية المضادة للطائرات بمنطقة السلسلة مقرا مؤقتا لقيادة الثورة بالاسكندرية لقربه من المرافق الحيوية ولتوسطه الوحدات العسكرية ، وسيطرننا على مركز القيادة العامة للقوات المسلحة بالمدينة وعلى رئاسة المنطقة الشمالية بشكنات مصطفى كامل ، وأجهزة الامن العام بالتعاون مع ضباطها من الشرطة ، ومصاحبة التليفونات وشبكاتها ، ومطاري الدخيلة والنزهة ، وجميع المرافق الحيوية بالمدينة .

ولما كان للشبكة الحديدية الفاطسية فى مدخل ميناء الاسكندرية أهمية بالغة فى نجاح الثورة فهذه الشبكة كما هو معروف تابعة للقوات البحرية ، ومن بينها عناصر قيادية مساندة للملك ، فقد قامت قوات المدفعية الساحلية باحتلال غرف تشغيل الشبكة الحديدية لمنع تحرك أى قطعة بحرية يفكر ضباطها فى نجدة الملك ، وأذكر ان المرحوم الفريق أول سليمان عزت قائد القوات البحرية حتى ١٩٦٧ وكان فى بداية الثورة برتبة بكباشى حاول أن يستقل لنشأ ولكن ضباطنا منعه ، وأحكموا غلق الميناء مع تغطيتها بنيران المدفعية الساحلية لمنع دخول أو خروج أى قطع بحرية تهدد المدينة أو تعمل على تهريب الملك .

ثم قمنا بتحريك قوات المشاة من مواقعها الى المواقع الجديدة طبقا للخطة وكلفت مع وحدات المدفعية الساحلية والمدفعية المضادة للطائرات بحماية مداخل الاسكندرية برا ، وجوا ، وبحرا .

وجهنا بعد ذلك المدافع الساحلية على قصرى رأس التين والمنتزه لمنع فاروق من القيام بأى تصرف طائش كما وجهت بعض المدفعية لمواجهة عدة قطع بحرية كنا نعتقد انها ستساند الملك ، وفى صباح ٢٤ يوليو جاء الينا ضباط القوات البحرية ، وأعلنوا تأييدهم للثورة وتضامنهم معنا ، وعملنا على عزل اللواء محمود بدر قائد البحرية وتعيين العقيد بحرى حمدى ناشد قائدا مؤقتا لها .

كما قامت المدفعية المضادة للطائرات الى جانب واجباتها الارضية بحماية سماء المدينة ، وسمحت لطائرات ضباط الطيران الاحرار بالتحليق فقط وقبضنا على طيار الملك حسن عاكف حين هبط بطائرته فى مطار الدخية للتزود بالبنزين ، واستولينا على طائرته .

وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر ٢٣ يوليو اتصلت تليفونيا بالرئيس الراحل فى القاهرة وأبلغته بتمام السيطرة على الاسكندرية عسكريا ومدنيا ثم نقلت مقر قيادتنا الى مبنى القيادة العامة بثكنات مصطفى كامل ، وعلمت من أفراد الرقابة الموضوعة على قصر المنتزه ان الملك وأسرتة استقلوا عربات لورى للنقل بعد منتصف ليلة ٢٤ يوليو الى قصر رأس التين ، فسيطرنا بالمدفعية والقوات حول القصر .

ولقد حاول فاروق استغلال اللواء وحيد شوقي مدير

خفر السواحل لترتيب مظاهرة من جنوده تهتف بحياة الملك ، وعلمنا ان بعض السياسيين القدامى ممن كانوا بالاسكندرية تعاونوا معه من أجل اعداد هذه المظاهرة ، فعملنا على اجهاضها بأن طفنا بعربات كثيرة مزودة بالميكروفونات بين أنحاء الاسكندرية تشرح للجماهير أهداف الجيش من ثورته ، واستمرت هذه السيارات تجوب المدينة عدة أيام وحولها مجاميع من شباب وطلبة جامعة الاسكندرية الذين التحمنا بهم منذ عام ١٩٥١ ، ودرّبناهم على استخدام السلاح في منطقة القناة ضد قوات الاحتلال البريطاني وكان دور هؤلاء الشباب هو حماية مرافق ومحال المدينة من عمليات التخريب المستترة خلف التجمهر والهتاف للجيش ، واللواء محمد نجيب ، وبالفعل حاول بعض المخربين باشراف ضباط البوليس السياسى أن يقوموا بمظاهرة ظاهرها الترحيب بقائد الثورة وباطنها الاعتداء على ارواح وممتلكات الاجانب حتى يكون ذلك ذريعة لتدخل أجنبي عسكري للاطاحة بالثورة وتكرارا لما حدث بالاسكندرية عام ١٨٨٢ ، فطلبت من الرئيس الراحل أن يذيع اللواء محمد نجيب في الراديو كلمة تحية لأهالى الاسكندرية يرسلها لهم من القاهرة ، وكانت أجهزة البوليس السياسى قد أشاعت ان اللواء محمد نجيب جاء الاسكندرية مساء ٢٣ يوليو... وحين أذاع الراديو كلمة القائد العام الجديد من العاصمة انصرفت التجمعات وفشل مخطط أعداء الثورة !

ووصلت القوات قادمة من القاهرة بعد أن أخبرنى الرئيس الراحل بموعد وصولها وتمركزت بملاعب بلدية

الاسكندرية ، بعضها وصل يوم ٢٥ والباقي يوم ٢٦ يوليو .

سألته : كيف قبضتم على اللواء حسين سرى عامر رجل الملك ؟ ..

— ذهب الزميل النقيب عمر عيد — العميد فيما بعد — في طلب أحد ضباط الحدود بمرسى مطروح كنا قد علمنا بأنه يحاول جمع الاعراب من الصحراء الفريية لحساب الملك ، وهناك اكتشف تجمعاً داخل أحد المخيمات ، ووجد بداخله اللواء حسين سرى عامر ، يعمل على استنفار القبائل مع بعض قوات الحدود لنجدة الملك في الاسكندرية فقبض عليه وعلى الضابط الآخر ، وعاد بهما .

لم يكن اذن في طريقه للهرب خارج الحدود ؟
— لا ... ليس هذا صحيحاً ..

عدت أقول : لقد سمعنا في القاهرة انكم قمتم بعدة اتصالات سياسية في الاسكندرية كان لها صداها الطيب في العاصمة .. لدى مجلس قيادة الثورة ... هل يمكن ان اسمع منك بعض التفاصيل ؟

— حرصت أنا وزملائي على الاجتماع برجال ورؤساء الأديان كلها في المدينة — المسلمون والمسيحيون واليهود وبعدها أصدرنا بياناً يعلنون فيه تكاتفهم جميعاً لمساندة الثورة وتمسكهم بشعار « الدين لله والوطن للجميع » الذي تؤمن به حركة الجيش ، وذلك للقضاء على أية محاولة لاثارة الفتنة بين الأديان وقد نقلت صحف العالم صور زعماء الأديان الثلاثة وهم متعاقبين معنا ...

ثم علمت أن الملك فاروق قال لرجال اليخت المحروسة بعد أن أوصلوه إلى إيطاليا وعادوا إلى الإسكندرية ، أنه سيلجأ إلى الصحافة الإيطالية والعالمية - فاجتمعت برجال الجاليات الأجنبية كلها في المدينة ، ومن بينهم الجالية الإيطالية بالطبع ، وتم الاتفاق معهم على السفر إلى القاهرة للقاء رجال الثورة وإعلان تأييدهم لها ، وتحرك الموكب في مائة وخمسين سيارة بين ممثلي الصحافة العالمية ووكالات الأنباء ، وكان حدثا عالميا بارعا واعترفت إيطاليا بالنظام المصري الجديد ، بعد أن اعترفت فرنسا وكنت قد بادرت بقاء قنصل فرنسا بالإسكندرية الذي سافر إلى سفيره بالقاهرة واتصلا بباريس وجاء اعتراف فرنسا أول اعتراف دولي بشرعية ثورتنا ، وكل هذه التفاصيل ظلت أحرص على إبلاغها للرئيس الراحل جمال عبد الناصر أولا بأول ، قبل وبعد القيام بها على الفور .

ثمة حدث هام آخر له دلالة ، لقد كانت جامعة الإسكندرية هي أول هيئة علمية ترسل برقياتها إلى القاهرة تأييدا للثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ صباحا ، وكان لهذا التأييد أجمل الأثر في نفس الرئيس الراحل وزملائه أعضاء لجنة القيادة .

لقد كان هناك تعاون وثيق مستمر بين جامعة الإسكندرية وبين الضباط الأحرار في المدينة ، وكنا ثلاثة نعمل كضباط اتصال مع الجامعة « زميلي وصديقي شريف أباطة ضابط الإشارة ، وزميلي وصديقي عبد الحليم الأعسر ضابط المدفعية المضادة للطائرات ، يعاوننا الصديق والزميل وجدي خليفة الضابط المسئول عن التدريب العسكري لطلبة الجامعة » . ولقد نزلت

« كتيبة » جامعة الاسكندرية منذ صباح ٢٣ يوليو الى
المدينة تشاركنا المسئولية والمصير .

أبازة والاعسر

أترك الحوار هنا قليلا مع الثائر القديم البكباشى أحمد
عاطف نصار ، لأستمع الى زميليه الثائرين القديمين
« شريف أبازة ، وعبد الحليم الاعسر » ...

وشريف أبازة هو اسم الشهرة ، أما اسمه الحقيقى
فعبد الله أبازة من مواليد عام ١٩٢٣ ، ومنذ تخرجه
من الكلية الحربية عام ١٩٤٦ ، تميز بنشاطه المكثف
بين زملائه الضباط هواة القراءة والمعارف والاهتمامات
الوطنية والعسكرية .

قال لى ثائر الإشارة « عبد الله » أو شريف أبازة :

ـ التقيت لأول مرة بالرئيس الراحل جمال عبد
الناصر خلال الدراسة بالكلية الحربية ، كان يدرس
لنا علوم المشاة والاسلحة الصغيرة والشئون الادارية ،
ومعه السيد زكريا محيى الدين ، والصدى الكبير
عاطف نصار ، وأكثر الطلبة كالمعلمين لهم اهتمامات
سياسية ووطنية وأدبية .

أذكر اننى ومعى زميلين من الضباط الاحرار بعد
ذلك ، كنا نلتقى أسبوعيا ليلخص الواحد منا كتابا فى
التاريخ الوطنى عليه أن يقرأه خلال الاسبوع ، ثم يعرض
الملخص أمام زميليه ، كانت هذه رياضتنا ومتعتنا ولهو
شبابنا ...

وفى بداية عام ١٩٤٧ ، رأيت ضابط الفرسان سعد
عبد الحفيظ «وكيل وزارة الثقافة حاليا» وكان يحصل
على فرقة إشارة وتعارفنا سريعا ثم قادنى للانضمام الى

مجموعة من أصدقائه الضباط عرفت بعد ذلك انها مجموعة الاميرالاي عبد الواحد سبل ، أحد القادة الشرفاء الذين وقفوا في وجه فساد قيادة الجيش المصرى ، وبين هذه المجموعة عرفت السيد رشاد مهنا كآب روحى لها ، وأبو الفضل الجيزاوى ، وحمدى واصف ، وجمال منصور ، مدير مكتب الاتصال المصرى فى دمشق حاليا ، والمرحوم مصطفى كمال صدقى ، ومصطفى نصير ، وعبد الفتاح أبو الفضل - الذى كنا نلتقى كثيرا فى بيته بدرب الجماميز خلف قصر عابدين .

وتعددت لقاءاتنا . . كل أسبوع فى بيت أحد ضباط هذه المجموعة ، وتحدثنا كثيرا عن الضابط انور السادات ونضاله المستمر ضد الانجليز والملك ، وكنت أشعر بالفخر لأننى أنتسب لسلاح هذا الضابط الاسمر سلاح الإشارة .

وفجأة قبض البوليس السياسى على عدد كبير من هؤلاء الضباط ، وأحيل عبد الواحد سبل الى المعاش ، وكان رشاد مهنا على رأس المقبوض عليهم . . . وتوقف نشاطنا كما توقفت لقاءاتنا . . .

ونقلت الى الاسكندرية لأعمل ضابطا للإشارة فى المدفعية الساحلية والتقى مرة ثانية بأستاذى فى الكلية الحربية أحمد عاطف نصار ، ولنبدا معا مشوارا طويلا لم ينته حتى اليوم - فى الوقت نفسه تقاربت فكريا مع المرحوم سعد حسن توفيق أحد قادة الإشارة ومن طليعة الضباط الاحرار ، وأخذنا نتساءل : ما هو الدور الوطنى الذى يجب أن نقوم به كضباط فى الجيش المصرى ؟ خاصة بعد القبض على ضباط عبد الواحد سبل ؟

وجاءت جولة ١٩٤٨ - الاولى - وتطوعت للقتال في فلسطين تحت قيادة المرحوم أحمد عبد العزيز ، والسيد كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، وقائدى المرحوم سعد حسن توفيق .

كان معنا من رفاق السلاح الشهيد سالم عبد السلام ، وقد سرنى حين علمت ان ولدين له شاركوا في حرب رمضان المجيدة ، والرحوم أنور الصيحي ، والزملاء عبد المنعم عبد الرؤوف ، ومعروف الحضري ، ومحمد أحمد حسن ، والطبيب محمد حسين غراب ، والرحوم مصطفى كمال صدقي ، وخالد فوزى ، ومتطوعين من السودان ، وليبيا ، ومصر ..

وأصبت بطلقة هاون في ذراعى وعينى عند بيت لحم وعدت الى القاهرة مع بداية عام ١٩٤٩ ، لالتقى مرة أخرى بالمرحوم سعد حسن توفيق ، وبالصديق عاطف نصار ، وبالصديق عبد الحليم الاعسر ، ومحمد الوردانى من المشاة ، وعبد الرؤوف نافع ، وابراهيم بغدادى من المشاة أيضا ، وكانا يمثلان الجيش لدى القوات البحرية والرحوم صلاح حنفى من الاشارة ، وخالد فوزى من المدفعية ، وأخذت لقاءاتنا طابع السرية وأسلوب التنظيم السرى ، كما توسعنا في تكوين الخلايا بحذر ودرجة يقظة عالية وتكتم شديد ، تحت قيادة البكباشى عاطف نصار ، الذى كان ينقل لنا رسائل المرحوم جمال عبد الناصر أو لجنة القيادة ، كما كان الصديق خالد فوزى حلقة صلة دائمة بيننا وبين زملائنا في العاصمة .

و ذات يوم كنت أستقل القطار في طريقى للقاهرة خلال عام ١٩٥٠ ، واذا بى ألتقى وجهها لوجه بالبكباشى جمال عبد الناصر ، ولم أكن رأيتَه منذ عام ١٩٤٦ ،

بالكلية الحربية ، وسعدت برؤيته ، وجعل يحدثنى
فى ود وبلا كلفة وفجأة سألتنى وهو ينظر فى عينى :

— هل سمعت كضابط اشارة عن ضابط الاشارة
القديم أنور السادات ؟

وسحب نفسا عميقا من دخان سيجارته ثم أطلقه ،
حتى اننى لم أتبين ملامح وجهه عندما ألقى سؤاله ،
واجبته صادقا وبكل حسن النية المتوفرة لدى أبناء
الشرقية :

— نعم أعرفه ، وأعتقد ان أكثر ضباط الاشارة
يعرفونه ، ومن لم يره سمع بقصته مع البعثة العسكرية
الانجليزية فى الجيش ، ولقد رأيتـه أخيرا فى ادارة
السلاح « أقصد سلاحنا الاشارة » بعد أن عاد الى
الجيش منذ أيام وهنأته من قلبى ، وسعدت بعودته
ليس تعاطفا كضباط اشارة كما هو معروف عنا ، بل
لماضيه ، فهو أول ضابط نسمع عن وطنيته وتضحيته
حين كنا طلابا بكلية الحربية قبل عام ١٩٤٧ ، ثم وهو
يقف أمام القضاء ويقول صيحته الوطنية المدوية الشهيرة
عام ١٩٤٨ : « اننى أفضل الموت شنقا على أن أقف
وأسمع النائب العام يشيد بقوات الاحتلال » .

ولمعت عيننا الرئيس الراحل حين استطردت فى
الحديث قائلا له :

— « يا أفندم أنا كان نفسى أكاشفه بتنظيمنا وأعرض
عليه الانضمام الينا ، عندما رأيتـه أخيرا بالاشارة » .

ولم يعلق عبد الناصر بشئ ، إنما أدار دفة الحديث
وبدا يسألنى عن نشاطنا بالاسكندرية .

وجعلت أروى له كيف ألتحمنا بالمدينين في المدينة من أجل تكوين رأى عام شعبى يساند الثورة ويؤيدها عندما نتحرك في ساعة الصفر ...

لقد لعب نادى أبناء الشرقية الذى ساهم في تأسيسه والد الضابط الثائر شريف أباطة عام ١٩٤٥ ، دورا كبيرا في تجميع حلقات الحوار والفكر والفنون بين العسكريين وبين أبناء المدينة وأعضاء النادى في الفترة ما بين ١٩٥٠ حتى ١٩٥٢ .

كانوا يوجهون الدعوات الى قادة النقابات المهنية وأساتذة الجامعة والطلاب وقادة العمال ، وكبار وصفار الضباط للندوات والمحاضرات ومشاهدة المسرحيات ، الوطنية التى يكتبها شريف أباطة ويقوم بتمثيلها الجنود من هواة المسرح ، وآخر هذه المسرحيات مسرحية « روح الشباب » من تأليف ابن عمه الاديب ثروت أباطة « وقد اعترض البوليس السياسى على ادائها بمسرح أبناء الشرقية حين تكرر العرض ، فأوقفوه مجاملة لمشاعر قوات الاحتلال البريطانى ، وبتعليمات صريحة من الداخلية ، لم نعرض عليها حتى لا نشير الانتباه الى حقيقة نشاطنا . »

وفى هذه اللقاءات انضم الى نشاطهم الوطنى كل من الدكتور المرحوم رشوان فهمى ، ومحىى الخردالى ، والمرحوم حسن أبو السعود ... وكانوا عوناً لهم فى الاسكندرية .

ويذهب شريف أباطة مستقلا سيارة المرحوم ابراهيم دسوقى أباطة باشا والد قريبه وزميله الاديب ثروت أباطة الى القاهرة لينقل المنشورات بعد أن يطبعها

الضباط الاحرار الى الاسكندرية ، وفي فيلا يملكها
المرحوم الشاعر عزيز أباظة كمصيف يقوم شريف
وزملاؤه باعادة طبع المنشور من أجل الحصول على
كمية أكبر ، ثم توزيعها على كل رجالات الاسكندرية ،
مدنيين وعسكريين .

يعود محدثي للقاء القطار خلال عام ١٩٥١ ، مستطردا :
- رويت كل هذا للبكباشي جمال عبد الناصر
باستفاضة ورأيته يسمعي سعيدا ... لم أكن أعلم
انه قائد الضباط الاحرار ، بل أحد الاعضاء البارزين
في قيادة التنظيم السري .

ومرت عدة أشهر كنا نلتقي خلالها بالرئيس الراحل
في مقهى التريانون بالاسكندرية ، وقمنا بواجبنا في العمل
الفدائي كما روى لك الزميل الكبير أحمد عاطف نصار،
ثم وقع حريق القاهرة ، وفوجئنا بوصول منشور من
قيادة تنظيم الضباط الاحرار في العاصمة ، منشور
جديد مطلوب طبعه وتوزيعه بشكل سريع ، وكانت كلماته
تؤكد ان القوات المسلحة هي قوات الشعب المصري ولن
تقف في مواجهة الشعب على الاطلاق ، ولن تفتح النيران
ضد الجماهير المصرية ، حين نزلت وحدات القوات
المسلحة الى شوارع القاهرة بعد حريق المدينة تنفيذ
الأوامر ، فكل رجالها يعوون دورهم وهو حماية
العاصمة وأمن البلاد من العابثين وان القوات المسلحة
تؤكد وتعلن أنها تدخر كل طاقاتها من أجل العدو
الحقيقي للوطن .

كان منشورا ذكيا ايجابيا في توقيته ، قمنا بتوزيعه
في أنحاء الاسكندرية وخاصة المناطق الشعبية ... ثم

توقف نشاطنا قليلا ، وما لبث أن عاد مرة أخرى عبر انتخابات نادى الضباط بالاسكندرية ، فى الوقت الذى أجريت فيه انتخابات مماثلة بنادى ضباط العاصمة... وقد نجح فى هذه الانتخابات عاطف نصار، والمرحوم صلاح حنفى - وردت السراى الملكية علينا بحل هذا المجلس وأرسال لجنة جديدة تقوم بواجبات مجلس النادى المنحل ، ف عقدنا اجتماعا سريا عاصفا ، سافر عاطف نصار بعده مباشرة الى القاهرة وعاد إلينا صباح ٢٠ يوليو ١٩٥٢ ، بعد أن التقى بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ليقول اننا سنتحرك خلال الايام القليلة القادمة ، وعلينا أن نكون معا حتى يصل لنا التبليغ بساعة الصفر ، وأن نأخذ حذرنا من المفاجآت أو النشاط المضاد .

وفوجئت بقرار نقلى الى مركز تدريب الاشارة بالقاهرة فتمارضت لتأجيل النقل ، وفى اليوم التالى ، ٢١ يوليو ، اتصل الرئيس الراحل بالبكباشى عاطف نصار ليقول له سيصلك موعد التحرك خلال اليوم أو غدا ، استعدوا .

وأخذنا استعداداتنا بأقصى درجات الثبات والسيطرة وظللنا ننتظر الرسول الذى تبين لنا فيما بعد أنه الضابط بالانوار الكاشفة فى قوات الدفاع الجوى بالاسكندرية اليوزباشى أحمد حمروش ، الذى لم يصل لنا على الاطلاق حتى فوجئنا ببيان الرئيس السادات صباح ٢٣ يوليو .

قلت له ، لضابط الاشارة المتقاعد العميد شريف
أباظة :

- لقد حدث تجاهل عن عمد لدور الاشارة في ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولما استطعنا النشر عنها عام ١٩٧٢ ، لم ننشر الا دور الاشارة في القاهرة وسيناء ، وحن الوقت لتروى لى دور ضباط الاشارة بالاسكندرية ليس مجاملة للرئيس السادات كضابط اشارة قديم ، ولكن اكبارا واعزازا لضباط الاشارة او «حواس الجيوش الخمس» كما يصفها القادة العسكريون العالميون .

- هو دور مختصر ولكنه حساس للغاية ، بعد البيان مباشرة ، تحركت بصفتى اقدم ضابط اشارة موجود ، فالمرحوم صلاح حنفى كان في مهمة بمرسى مطروح ، وتجاوب معى ضباط صفار فى الرتب ، ملازم اول السيد المهدي ، وملازم اول كمال العزب وكيل وزارة الصناعة حاليا ، وملازم اول ابراهيم فايز، أحد قادة حرب اكتوبر المجيدة بعد ذلك ... تجاوبوا معى وتحركوا دون أن يكون احدهم فى الخلايا السرية ، او التنظيم ، واندفعوا بكل طاقاتهم وامكانياتهم بعد أن استمعوا الى البيان .

قام « السيد المهدي » بالسيطرة على شبكة تليفونات ثكنات مصطفى باشا للتبليغ عن أى مكالمة او اشارة ضد الثورة ، وقام «كمال العزب» معى بالسيطرة على قيادة الاشارة بكوم الدكة ، وهذه القيادة كانت القوات البريطانية تستخدمها أيام احتلال الاسكندرية حتى قرب نهاية ١٩٤٦ ، كمركز قيادى على مستوى قواتها المنتشرة فى الشرق الاوسط ، وتركت العزب يسيطر على المركز بعد أن اتخذنا منه قيادة لسلاحنا ، وتحركت مع « ابراهيم فايز » الى منطقة رأس التين لقطع الكابل البحرى الذى يصل القصر الملكى بالاسكندرية

وقد اشترك معنا « البكباشى أمين حلمى الثانى »
وكان من ضباط الدفاع الجوى ، ثم عدنا الى مركز
القيادة بكم الدكة لنحكم سيطرتنا على جميع التحاويل
العسكرية اللاسلكية والسلكية عبر الاسكندرية
بأكملها ..

محطة لاسلكى الملك !

وفى كوم الدكة توجد أعلى طابية فى الاسكندرية منذ
عهد محمد على الكبير ، وتستخدم كمركز مراقبة
لداخل المدينة من ناحية الميناء ، خلال الحرب العالمية
الثانية بواسطة القوات الانجليزية ... وفى قلب المركز
ربوة عالية اقام الملك السابق فاروق فوقها محطة
لاسلكية لقيادة وتحريك القطع البحرية الملكية ، وقبل
الثورة تعبنا من تكرار طلب اصلاح عتابر الجنود بالمركز
... حتى اقام الملك هذه المحطة فوق ربوته ، فقاموا
بطلاء وتجديد العتابر ... هذه المحطة أجرى احرار
الاشارة منها اول اتصال بمجلس قيادة الثورة بالقاهرة
فى اليوم الاول للثورة ، ومنها تلقت الباخرة المحروسة
وهى تغادر الاسكندرية حاملة فاروق مطرودا من البلاد،
تلقت اول تعليماتها البحرية أو توجيهاتها ... من هذه
المحطة بواسطة قيادة الضباط الاحرار فى المدينة والقوات
البحرية .

فى اليوم الاول للثورة وجدنا كضباط اشارة تعاوننا
كاملا من مهندسى مصلحة التليفونات ، ومن مهندسى
الطرق ، وأكثرهم من الاصدقاء القدامى فى لقاءات
الفكر والحوار وسهرات الفنون المسرحية أعوام ١٩٥٠
و١٩٥١ و١٩٥٢ ، ولا أنسى صديقا قديما من مهندسى
مصر ممن اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية والجولة

الاولى بفلسطين ، البكباشى مهندس محمد أحمد الفزال،
الذى ترك الخدمة العسكرية بعد اصابته فى معركة ضد
اليهود ، فاستأذنت قائدى البكباشى عاطف نصار فى أن
ينضم لنا الفزال بصفته المدنية لأنه يعد الخبير الاول
العالم بكل لاسلكى وسلكى المدينة ، وجاء المهندس
محمد الفزال وأعطانا جهده وخبرته وكل امكانياته ...
واستطعنا السيطرة الكاملة ...

يحضرنى فى هذه المناسبة الملازم أول عبد القادر الزيدى
— عميد فيما بعد — الذى قام بمبادرة منه واحضر
كروكى للشبكة التليفونية فى المدينة والقصور الملكية ،
وقدمها لنا ، لأنه سمع صوت البكباشى السادات فى
الراديو وكان قد خدم معه عامى ١٩٤٠ و ١٩٤١ .

وعرفنا ان الملك يملك خطا مباشرا مع القاهرة ليس
ضمن خطوط الاسكندرية ، وعن طريق هذا الخط
اتصل بالسفير الأمريكى فى العاصمة .

لقد فوجئنا بشباب جامعة الاسكندرية وأسائدتها
يلتفون حولنا منذ اليوم الاول للثورة ، يطلبون القيام
بأى عمل فدائى ، فطلبنا اليهم حماية المرافق العامة
والسفارات الاجنبية وبيوت العبادة كلها ... ومن هنا
نعرف لماذا كان أول تأييد للثورة ، وفى أول يوم لها ،
بل وقبل أن ينتصف النهار صـادرا من جامعة
الاسكندرية .

ولكنه لم يفعل . . !

واستمعت الى السيد عبد الحليم الاعسر ، وهو زميل
دفعة الفريق أول محمد الجسمى القائد العام للقوات
المسلحة ، والفريق محمد على فهمى رئيس أركان قواتنا،

ومن أبناء البحيرة التى أعطت عددا كبيرا من الضباط
الاحرار ، وضابط مدفعية مضادة للطائرات ، واشترك
فى الحرب العالمية الثانية ، وظل بالخدمة العسكرية الى
أن أحيل للمعاش برتبة بكباشى فى مايو ١٩٥٦ ، ثم انضم
الى جيش التحرير الوطنى بالاسكندرية تحت قيادة
البكباشى عاطف نصار ، فور تأميم قناة السويس .
قلت له :

متى رأيت الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لأول
مرة ؟

- فى نهاية عام ١٩٤٩ أو بداية عام ١٩٥٠
- أين ؟

- فى بيت صديقى اليوزباشى وقتئذ أحمد حمروش
وكان ضابطا بالانوار الكاشفة هنا بالاسكندرية ، حيث
كنت أخدم أنا الآخر ، وبدأت علاقتى به منذ ذلك اليوم
على مستوى تنظيم الضباط الاحرار .

عدت أقول : كثيرون يعرفون علاقة الصداقة الطويلة
الممتدة التى تربط بينك وبين الكاتب السياسى أحمد
حمروش حتى اليوم ، وأريد منك شهادة التاريخ بشأن
تبليغ الضباط الاحرار فى الاسكندرية بساعة التحرك
أو ساعة الصفر ، بواسطة أحمد حمروش ، ذلك الذى
لم يصل ولم يره أحد كما ذكر البعض فى القاهرة أو
الاسكندرية ، حتى صباح ٢٤ يوليو ، وقيل ٢٦ أو ٢٧
يوليو ...

هل تعتقد أن الرئيس الراحل أعطى حمروشا هذه
المهمة ، أم إنه نسى أو تناسى عن عمد ؟

- أعتقد ان الرئيس جمال عبد الناصر كلف حمروشا

بالسفر الى الاسكندرية لابلاغنا بساعة الصفر ، ولكن
حمروشا لم يفعل ..
لماذا ؟

— لا أعرف !

هل سألته بحكم صداقتكما تبريرا لما حدث ؟

وقال الثائر القديم عبد الحليم الاعسر :

— نعم سألته بالطبع ، ولم أتلق منه حتى اليوم
جوابا معقولا !

في جلسة أخرى ، سألت الثوار الثلاثة ، عاطف
نصار ، وعبد الحليم الاعسر ، وشريف أباطة :

هل تستطيعون تحديد أسماء الضباط الاحرار الذين
انضموا للتنظيم قبل الثورة ، وخرجوا صباح الثورة
معكم ... هنا في الاسكندرية ؟

وقال الاصدقاء الثلاثة لى :

— أكتب عندك هذه القائمة غير ثلاثتنا بالطبع ...

١ — بكباشى مدفعية محمد الشافعى عبد الهادى .

٢ — بكباشى مشاة عبد الرؤوف نافع .

٣ — بكباشى مدفعية صلاح قنصوه «سفير بعد ذلك» .

٤ — بكباشى طيار عبده سليم .

٥ — رائد مشاة عباس محمد عوض الله « مدير

أكاديمية ناصر العسكرية العليا حاليا » .

٦ — رائد مشاة أحمد نافع .

٧ — رائد مدفعية على فرج .

- ٨ - رائد محمود غراب - أنوار كاشفة .
- ٩ - رائد مشاة ابراهيم بغدادى .
- ١٠ - المرحوم - نقيب اشارة - صلاح حنفى .
- ١١ - نقيب مدفعية محمد أمين فوزى .
- ١٢ - نقيب مدفعية محمد على الوردانى .
- ١٣ - نقيب مدفعية مجدى خليفة .
- ١٤ - نقيب مدفعية مدحت مرسى .
- ١٥ - نقيب طيار كمال عزت .
- ١٦ - نقيب احمد حمروش وحتى ليلة ٢٣ يوليو ، كان واحدا معنا ، ثم أسقطناه من القائمة لدوره غير المفهوم ، ولذلك لم تذكر الوثيقة الرسمية التى أصدرها الرئيس السادات بأسماء أحرار مصر والاسكندرية اسمه على الاطلاق .

وقال الثائر القديم أحمد عاطف نصار :

- للتاريخ ، وكما كتبت للرئيس السادات ، من الضرورة أن نذكر ضباطا آخرين لم يكونوا منظمين قبل الثورة ولكنهم تعاونوا معنا بإيمان واخلاص منذ اعلانها ، وقد لمس الرئيس السادات أعمال هذه المجموعة من الضباط حين حضر الى الاسكندرية يوم ٢٥ يوليو، وكنت الى جواره منذ حضوره ورافقته فى مقابلته للمرحوم على ماهر باشا لتوجيه الانذار الى الملك ، وأثنى الرئيس السادات على جهد الضباط الأحرار بالاسكندرية وغير الأحرار الذين شاركوا المهمة ، مثل مدير المخابرات البحرية الملكية ، والسكرتير العسكرى

لقائد المنطقة الشمالية العسكرية ، والمهندس بكباشى
متقاعد محمد الغزال الذى عمل معنا بصفته المدنية ،
وثمة ضابط بالقوات البحرية التقيت به مصادفة وأنا
فى طريقى للسيطرة مع رجالى على البوابة البحرية بميناء
الاسكندرية الحربى فتعاون معنا بشورية كاملة ... انه
النقيب بحرى أحمد السيوفى .

كما ان الأمر اشتمل على مفارقات مثيرة ، فقد
فوجئت مساء يوم ٢٣ يوليو بالزميل « الصاغ محمود
غراب » بعد أن أقام بدوره معنا ، يخبرنى انه سينفصل
منذ هذه اللحظة عن تنظيمنا ، مقتنعا بأنه شارك بواجبه
كضابط ، ولما سألته تفسيراً لهذا الموقف أخبرنى بأنه
عضو فى تنظيم الاخوان المسلمين ، فأيدته على الفور .

وزميل آخر من المدفعية الساحلية وكان منتدباً
بالبحرية ، فوجئنا باسمه بين الضباط الاحرار، وكان
يضحك ساخراً معنا من هذه المفاجأة ، قائلاً لنا : هل
أعترض ؟ هل أطلب رفع اسمى ؟ !

المشاة فى البحرية

كان من الطبيعى بعد ذلك أن أبحث عن دور الضباط
الاحرار فى قواتنا البحرية كأعضاء فى تنظيم احرار
الاسكندرية .

لقد نار سؤال فى بداية الثورة وبعد تشكيل واعلان
مجلس قيادتها ... لماذا لا تمثل البحرية بضابط بين
أعضاء القيادة ؟

وسؤال آخر : ما هو دور ضباط المشاة الاحرار بين
القوات البحرية ، وهم الضباط الذين الحقوا أو انضموا

لسلاح البحرية قبل الثورة مثل عبد الرؤوف نافع ،
وابراهيم بغدادى ؟

وعبد الرؤوف نافع عرفته دور الصحف المصرية
قائدا اداريا ممتازا فى نهاية الخمسينات حتى منتصف
الستينات ، ثم تقاعد تماما عام ١٩٦٤ عن العمل لعلاقة
الصداقة التى كانت تربطه بعبد اللطيف بغدادى !

كان عبد الرؤوف نافع منتدبا من ادارة المشاة الى
القوات البحرية فى بدء انشائها وتدعيمها وتحويلها الى
سلاح مستقل فى نهاية الاربعينات ، وفى تلك المرحلة
انضم الى تنظيم الضباط الاحرار بالاسكندرية ، وكان
برتبة « بكباشى » مقدم الان ، واصبح منذ ذلك الوقت
مسئولا امام قيادة التنظيم فى القاهرة عن النشاط
السرى بين ضباط القوات البحرية وقد التحم فكرا
وتعاوننا مع زميله البكباشى عاطف نصار ضابط المدفعية
الساحلية وقائد التنظيم بالمدينة ، وعملا معا متقاربين
مع بقية أعضاء التشكيب ، من صفار الرتب فى المدفعية او
البحرية او المشاة او الاشارة فى أنحاء الاسكندرية
والصحراء الغربية - فضلا على الطيران فى قاعدة
الدخيلة .

وعبد الرؤوف نافع من أبناء الدقهلية ، وقد ارتبط
بصلة صداقة وزمالة ودراسة بالسيد عبد اللطيف
بغدادى عضو مجلس قيادة الثورة كما ذكرت ، خلال
المرحلة الثانوية بالمنصورة ، حتى التقيا بالمدرسة
الحربية التى ضمت كلاهما فى فترة واحدة مع الرئيس
الراحل جمال عبد الناصر ، وقائد الجناح المرجوم جمال
سالم ، زميل دفعة عبد الرؤوف نافع ، وهى تسبق دفعة
جمال عبد الناصر مباشرة ، وقد التحق بالكلية قبل

تخرج هؤلاء الضباط ، الطالبان المرحومان عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، وكونوا شلة واحدة ...

قال لى البكباشى عبد الرؤوف نافع :

— لقد قضيت عاما بكلية التجارة قبل قبولى بالمدرسة الحربية ، ثم جاء الطالب جمال عبد الناصر وتزامننا ..

كنت أراه منطويا يميل الى العزلة ، وكثيرا ما حاولت دفعه الى الالتحام بشلتنا ، وشعرت دائما بأنه يهتم بى ويحمل لى أعزازا وودا ، فتقاربنا .

ثم تخرجت دفعتى قبل دفعته ، وجاءت لقاءاتنا بعد ذلك عبر المصادفة وحدها .

فى منتصف الأربعينات أو قبلها لا أذكر الآن ، التقيت به فى الكتيبة الثالثة مشاة بأبى زعبل ، وتسلمت منه رئاسة أركان حرب الكتيبة حيث نقل هو الى كتيبة أخرى ، بعدها نقلت الى إدارة الصيانة ، ونقل اليها أيضا بعدى المرحوم صلاح سالم ، وكنت صديقا لشقيقه الأكبر جمال سالم ونتزاور عائليا ، وفى بداية عام ١٩٤٩ ، نقلت الى الكتيبة السابعة مشاة بالاسكندرية ، وكان قائدها فى ذلك الوقت المرحوم بكباشى على على عامر — الفريق أول فيما بعد — وقد نقلت الكتيبة الى رفح ، ثم عادت لتتمركز فى الاسكندرية والتقى من جديد بالبكباشى جمال عبد الناصر فى بداية عام ١٩٥٠ .

كان يعمل مدرسا بمدرسة الشئون الادارية للجيش بالقاهرة ، وقد جاء على رأس بعثة من ضباط أو طلبة المدرسة لزيارة رسمية ميدانية لكتيبتنا ، وأقاموا فى نادى الضباط بمنطقة السلسلة حيث كنت أقيم أيضا ، وفوجئت به ينفرد بى ويدور حديث متشعب بيننا

حول الحركة الوطنية في المدينة التي ضمت عددا ليس
بقليل من أساتذة الجامعة « جامعة الاسكندرية »
وطلبتها ، وقد التحم بهم عدد آخر من الضباط زملائنا
أصحاب الفكر الوطني الناضج ، وهي حركة كان لها
قدرها من النشاط وحجمها الذي شعرت به قيادة
تنظيم الضباط الاحرار بالقاهرة ، وفي مقدمتهم البكباشي
جمال عبد الناصر .

وقبل أن تنتهي جلستنا فاتحنى في أمر انضمامي
للتنظيم ، فوافقت على الفور .

سؤال اعتراضى : هل كنت تعرف مسبقا بوجود
هذا التشكيل السرى في الجيش بالقاهرة أو الاسكندرية؟
- كنت أعرف من خلال صداقتى لعبد اللطيف
بغدادى ، والمرحومين جمال ، وصلاح سالم ، وعبد
الحكيم عامر ، ان هناك نشاطا تحت الارض يقوم به
بعض الضباط تدمرا من الاوضاع السائدة وقتها .

قلت له : قيل ان الرئيس الراحل والمرحومين عبد
الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، عملوا بواسطة مكتب
شئون الضباط بالقيادة ، وباستغلال صلة القرابة التي
تربط بين المرحوم حيدر باشا القائد العام ، والصاغ عبد
الحكيم عامر ، عماوا على نقلك الى القوات البحرية بعد
انضمامك لخلايا الضباط الاحرار كي تكون ممثلا للتنظيم
السرى فيها أنت واليوزباشي ابراهيم بغدادى محافظ
القاهرة السابق ... ما صحة هذه المعلومات ؟

- هذه المعلومات ليست صحيحة ، لقد نقلت الى
القوات البحرية عام ١٩٥١ بترشيح من ضباط البحرية
أنفسهم ، نتيجة علاقات صداقة ربطتني بهم خلال

خدمتى بالإسكندرية ، وكانت البحرية قد خططت لمشروعات تطوير طموحه وقتها من بينها إنشاء قوات مشاة للبحرية .

ولقد اغتبط الرئيس عبد الناصر لهذا القرار، وعملت من جانبى على تكوين رأى عام بين ضباط البحرية مؤيدا لأفكارنا كما حرصت على إيجاد صلة صداقة وترابط متصل ودائم بينى وبين عدد ليس بقليل من ضباط البحرية كنت أضع عينى عليهم منذ انضمت للبحرية ، وكانوا خير الرجال صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، أداء واسهاما فى ارساء وتثبيت الثورة .

لكن ... لم تفاتح أحدا من ضباط البحرية بشكل مباشر لكى ينضم للضباط الاحرار ، قبل الثورة ؟
- لا ، بشكل مباشر .. لم يحدث .

الم يطلب منك الرئيس الراحل القيام بهذه المهمة ، حتى يكون للتنظيم السرى قاعدة فى القوات البحرية ؟
- لم يطلب هذا ، كان مكتفيا بإيجاد علاقات صداقة قوية بيننا كضباط جيش، وبين بعض ضباط البحرية ، فضلا على اعتقاده بأن البحرية سلاح الملك ، ومن الصعب تجنب أحدنا من ضباطها ، لأن تشكيلنا سينكشف بالضرورة .

من المعروف ان شقيقك ضابط المشاة الرائد احمد نافع ، كان من بين الضباط الاحرار بالإسكندرية ، هل قمت بتجنيدده ؟

لا ، جاء أحمد عام ١٩٥١ بين ضباط اللواء الاول مشاة ليتمركز فى ثكنات مصطفى باشا بالإسكندرية ،

وكان معه المرحوم عبد القادر مهنا « مدافع ماكينة »
من الضباط الاحرار أيضا ، وهما صديقان ، واعتقد ان
المرحوم عبد القادر هو الذى جند شقيقى أحمد .

هل كان ثمة تعاون بينك وبين المقدم عاطف نصار،
قائد تنظيم الضباط الاحرار بالاسكندرية ؟

— هذا شئ طبيعى ولقد اخترنا « عاطف » قائدا
للتنظيم بالاسكندرية لانتم اقدم رتبة ، واكبر سنا ،
ومحبوبا من جميع الضباط ، واذكر اننى طرحت ضرورة
اجماعنا على هذا الاختيار صباح يوم الثورة ، بشكل
رسمى .

بالنسبة لدور اليوزباشى أحمد حمروش ورسالة
جمال عبد الناصر التى حملها لكم بموعد التحرك وعدم
وصوله الاسكندرية... تردد انه لم يظهر فى الاسكندرية
الا صباح يوم ٢٤ يوليو ، وقيل صباح ٢٦ أو ٢٧ يوليو
١٩٥٢ ، هل تذكر متى رأيته ؟

— ظهر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بمكتب قائد المدفعية المضادة
للطائرات بالاسكندرية ، ولم يذكر لنا شئ عن هذه
الرسالة ، كما لم نعلم بها الا بعد الثورة بفترة ، ومن
خلال حديث ولقاء مع الرئيس الراحل .

متى تركت القوات البحرية ؟

— تركتها الى رفع ثم العرش بعد الثورة مباشرة ،
للاسهام فى عملية تأمين كتائب القوات المتمركزة فى
سيناء ، ثم عدت الى البحرية مرة اخرى فى سبتمبر
١٩٥٢ ، لأعمل مديرا لمكتب قائد القوات البحرية ،
المرحوم الفريق أول سليمان عزت ، وقد وقع عليه
الاختيار لتولى هذا المنصب فى نفس الشهر ، سبتمبر

١٩٥٢ ، وظللت هناك حتى منتصف عام ١٩٥٤ حيث نقلت الى رئاسة مجلس الوزراء .

لقد قيل ان المرحوم الفريق اول سليمان عزت حاول معاونة الملك فاروق والاتصال به عن طريق لنش بحرى اراد قيادته صباح اليوم الاول للثورة ، فقام بعض احرار المدفعية الساحلية بمنعه ... ما صحة هذا الكلام ؟ ..

— أعتقد ان هذا لم يحدث ..

نعود الى المشاة فى البحرية ... ما هو دور السيد ابراهيم بغدادى محافظ القاهرة السابق فى القوات البحرية ؟

— لقد نقل معى عام ١٩٥١ ، الى القوات البحرية وكان ضابطا نشطا كثير الاتصالات .

هل نقل الى القوات البحرية عن طريق الرئيس الراحل لدور ما يقوم به فى الاسكندرية ؟

— لا .. نقل الى القوات البحرية عن طريق «والده» فقد كان موظفا كبيرا فى السراى الملكية ، وفى امكان الاخ ابراهيم بغدادى أن يروى لك بنفسه تفاصيل تلك المرحلة ، فثمة علاقات كانت تربطه بالرئيس الراحل لم نكن نعرف عنها شيئا .

بغدادى يتكلم ..

وذهبت الى لقاء السيد ابراهيم بغدادى ضابط المشاة ، ومحافظ القاهرة سابقا ، وأحد كبار رجال ادارة المخابرات العامة حتى منتصف الستينات حيث نقل بعدها للحكم المحلى محافظا لكفر الشيخ ثم القاهرة .

من مواليد ١٩٢٥ بالقاهرة ، أبوه المرحوم مصطفى

بغدادى كان يشغل وظيفة مدير مكتب كبير الياوران
الملكى ، ثم مديرا لهيئة البريد بعد الثورة ، تخرج فى
الكلية الحربية عام ١٩٤٥ ، وكان أول دفعته وعمل
ضابطا بسلاح المشاة .

روى لى الرجل وهو طريح الفراش اثر حادث تصادم
فى نهاية يناير ١٩٧٧ ، مستعيدا أحداث الماضى ...
- التقيت بالرئيس الراحل عام ١٩٤٣ ، كان يدرس
لنا مادة الاسلحة الصغيرة والاشارة بالكلية الحربية ،
وأحسست به يعاملنى بعطف خاص ، وقد أعجبت به
كضابط معلم ، وتوطدت علاقتى به حتى انه طلب منى
أن أزوره فى بيته يوم تخرجت فى الكلية الحربية ومعى
زميلى الطالب لواء فيما بعد فتحى بيومى محمد ، فقد
كان معجبا به أيضا ، وشدد على أن نظل على اتصال
مستمر به باعتبارنا من تلاميذه الاوائل .

والتحقت بالكتيبة الاولى مشاة فى منشية البكرى
ثم رحلت مع زملائى لاستلام قشلاقات مصطفى باشا
بالاسكندرية من القوات الانجليزية عام ١٩٤٦ ، ثم
التحقت بسلاح المهندسين عام ١٩٤٧ ، ولم تنقطع صلتى
بالرئيس الراحل وكنت أزوره كثيرا بالمنزل رقم ٢١ ،
شارع الجاولى المتفرع من أحمد سعيد حاليا بالقاهرة
منطقة العباسية .

وفى مارس ١٩٤٨ ، رحلت مع كتيبتى الاصلية الاولى
مشاة الى العريش ، ثم الى الفالوجا ابتداء من ١٤ مايو
بقيادة المرحوم العميد السيد طه أو الضبع الاسود كما
لقبوه بعد ذلك ، وفى الفالوجا كان الاتصال مع الرئيس
الراحل فى الكتيبة السادسة مشاة بعراق المنشية
قطاع الفالوجا ، متصلا ووثيقا ...

وعدنا من الجولة الاولى في فلسطين لتقوم القيادة القديمة بتوجيه من الملك بتوزيعنا على مناطق متفرقة متباعدة لاحساسها بالسخط المكبوت في صدور الضباط والجنود ، وكان نصيب كتيبة الرئيس الراحل « ك ٦ مشاة » منطقة القرش في شرق سيناء ، ونصيب كتيبتى الاولى مشاة منطقة منقباد في اسيوط .

وفي منقباد قمت مع بعض الزملاء الثوار بطباعة منشور ثورى على ماكينة طباعة احضرناها من فلسطين ، وكان المنشور بعنوان « ثورة الجيش » ووزعناه على ضباط وركاب القطار القادم من اسوان في طريقه الى العاصمة ...

ومرت الايام ، وازداد حماسى للعمل الثورى ، وشعر ابنى بما أقوم به ، فاستغل منصبه كمدير مكتب كبير الياوران الملكى وعميل على تقلى للقوات البحرية بالاسكندرية ، حتى اكون بعيدا عن جو ومناخ التآمر على الملك في القاهرة ، بهدف حمايتى من التورط فى مثل هذا النشاط !

سؤال : ألم يكن لعبد الناصر أى صلة بهذا النقل ؟

— لا ، ولكنى استخدمت موقعى الجديد وبتوجيه من الرئيس الراحل فى تجنيد بعض ضباط البحرية وهم الاسماء التى ظهرت فى كشف الضباط الاحرار الذى أصدره الرئيس السادات ، فضلا على ضباط بحرية آخرين لم يرد ذكرهم .

تردد انك كنت تقوم بمهمة ضابط المخابرات الخاص لتنظيم الضباط الاحرار فى مدينة الاسكندرية لحساب الرئيس الراحل قبل الثورة ..

— والى ما بعد الثورة بفترة ليست قصيرة أيضا .

عدت أسأل : قيل ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر زاركم بالاسكندرية قبل الثورة بأسبوع تقريبا واجتمع بكم فى « التريانون » وأخبركم بأنه سيرسل لكم بموعد التحرك مع اليوزباشى احمد حمروش .. هل حدث هذا ؟

— حدث هذا فعلا ، ولكن حمروش لم يظهر فى الاسكندرية الا صباح يوم ٢٤ يوليو ، وليس ٢٣ يوليو او ٢٥ يوليو .

ولقد كنا كضباط ثوار بالاسكندرية مثال الشبان والمقدرة والتعاون المتألق بين ضباط المدفعية الساحلية والبحرية والمشاة والاشارة ، وأساتذة وطلبة جامعة الاسكندرية ، خلال الايام التاريخية الاربعة التى انتهت بخروج فاروق وبداية مرحلة جديدة فى تاريخ مصر...

وما بعد يوليو ... ؟

وتمضى الايام ... ويأتى فجر ٢٣ يوليو الخالد على مدى التاريخ ، وينجح ثوار يوليو فى تطبيق خطتهم بالقاهرة والاسكندرية الى جانب سيناء ، رغم المفاجأة التى واجهها أحرار الاسكندرية حين علموا بالثورة بعد أن قامت فى القاهرة عن طريق الراديو، وسماعهم للبيان « رقم ١ » بصوت الرئيس أنور السادات ، فتحركوا على الفور ..

ويأتى يوما ٢٥ و ٢٦ يوليو، أخطر أيام الثورة حسما ومصيرا ، ويسافر اللواء محمد نجيب والرئيس أنور السادات بطائرة حربية أقلعت من مطار هليوبوليس ..

ويقول الرئيس السادات في ذكرياته التي أذيعت يوم ٢٥ ديسمبر من العام الماضي ١٩٧٦ « هذا المطار أقاموه الانجليز منذ زمن بعيد ، مكانه الآن أو فوق أرضه منزل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .. »

وطار الرجلان الى الاسكندرية... وقد تردد كما ذكرت من قبل ان هذه الطائرة كانت معدة بواسطة بعض قادة الثورة للنجاة بها في حالة فشل الثورة لا قدر الله ، وهذا تخطيط يدل على الاقتدار والسيطرة واعتماد الثورة على قاعدة بشرية عسكرية عريضة داخل كل أسلحة الجيش قبل قيامها ونجاحها .

ودارت العجلة كما هو معروف ونشر كثيرا من قبل عما حدث يومى ٢٥ و ٢٦ يوليو ، وجاء الاسكندرية بعض ثوار القاهرة مثل البكباشى المرحوم يوسف صديق وحسين الشافعى وزكريا محبى الدين وعبد المنعم أمين أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، وأحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ مشاة ، وأنضم اليهم البكباشى عبد المنعم عبد الرؤوف الذى كان قد استقال قبل عدة أشهر من عضوية الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار بناء على رغبة الاغلبية من الاعضاء ، ثم التقى بالرئيس الراحل قبل الثورة يوم واحد ، ولم يرد عبد الناصر ان يحول بين عبد المنعم عبد الرؤوف كضابط وليس كعضو في جماعة الاخوان المسلمين وبين الاسهام في ثورة يوليو ، فوافق على ان يسافر الى الاسكندرية مع قوات المشاة والمدفعية لتدعيم القوات فى الاسكندرية وحصار قصور الملك وضرب أى تهديدات مضادة مصرية أو أجنبية ..

جاء هؤلاء الثوار الى الاسكندرية ، وكان فى استقبالهم

البكباشى أحمد عاطف نصار قائد تنظيم الضباط
الاحرار بالمدينة وزملائه أعضاء التنظيم فى المنطقة
العسكرية الشمالية الذين ذكرت أسماءهم فى الصفحات
السابقة ... واستمرت السيطرة الثورية تنمو ساعة
بعد أخرى حتى غادر الملك فاروق البلاد ، وبدأت فترة
جديدة من التاريخ ..



وفى هذه الصفحات أعود الى البكباشى أحمد عاطف
نصار ، ليحدثنى عن مرحلة ما بعد ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ،
وبداية عصر الثورة ، وعما حدث على مستوى الاسكندرية
وأحداثها تلك التى لم يكتب لها ان تنشر حتى الآن ،
وهى فترة تبدأ بالنسبة للتأثر القديم عاطف نصار ،
بمخرج الملك فاروق وتنتهى عند ابريل ١٩٥٧ ، حيث
قبضوا عليه ، ويصدر الحكم بالاعدام ثم السجن المؤبد ،
حتى يسأل عنه كما قلت فى بداية هذا الفصل الزعيم
الهندي جواهر لال نهرو ، فيفرج عنه بعد ثلاثة أشهر
ويعود للاسكندرية ويعمل بالمحاماة الى اليوم ...

قلت له : لماذا بقيت بالاسكندرية بعد يوليو ١٩٥٢ ،
ولما لم تعد للقاهرة للاشتراك مع القادة من زملائك
والاسهام فى أحداث الثورة وتطوراتها ؟ !

وبصراحته المعروفة عنه أجابنى الرجل :

— لم يكن فى الذهن أبدا اننا سنتولى الحكم لنحكم
الى الابد، كنا نعرف جميعا كثوار اننا لن نقيم الا بالتمهيد
لإقامة حكم شرعى دستورى فى البلاد ، ثم نعود الى
ثكناتنا ... كان هذا فى يقين كل من خرج الى الثورة ،
ولذلك فضلت البقاء فى الاسكندرية ...

وللحقيقة والتاريخ فقد عرض على كل من اللواء محمد

نجيب ، والرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، أن أنتقل للعمل معهم في القيادة بالقاهرة ، ولكنني فضلت مخلصا البقاء في الاسكندرية لاستمرار دورى فى حماية وتأمين الثورة من خلال سيادة الامن فى المدينة ، بدلا من أن يعهد بهذه المهمة الى ضابط آخر ربما من القاهرة ليس له خبرتى والتحامى بجماهير وقوات الاسكندرية ، واقتنع الرجلان برأى وبقيت .

سألته : ألم يدر بذهنك انهم ربما يقومون بتكوين مجلس قيادة فى القاهرة قد لا يضمك ؟
- بصرحة ... لا ، كان لنا نقاؤنا كثوار جدد

كنا نعمل ٢٠ ساعة فى اليوم وأحيانا أكثر والفرحة تملأ المدينة ، ولقاءات مستمرة بكل الهيئات والافرع العسكرية ، ولكنى فوجئت قبل منتصف اغسطس ١٩٥٢ بتكوين مجلس قيادة الثورة ، واسمى ليس بين أعضائه ، وقد توقفت قليلا عند تشكيل المجلس، لكنى لم أغضب ، لعلمى اننى المسئول عن الاسكندرية .

ولكن ... ما عرفناه كصحفيين كنا نتردد على مجلس قيادة الثورة تلك الايام ، ان الرئيس الراحل وبتأييد من اللواء محمد نجيب وبقية أعضاء مجلس القيادة فى القاهرة ، أرسل عددا من الضباط برتبة بكباشى وأحيانا صاغ للعمل فى الاسكندرية والسيطرة عليها بجانبك .. ما تعليقك ؟

- حدث هذا فعلا ، لم يرسلهم لابعادى أو عزلى ، ولكنهم جاءوا وتعاونوا معى ، فقد تضخم حجم العمل العسكرى بالمدينة كما تعددت المسئوليات ..

قيل أيضا انه حين ألقى القبض على ناثر المدفعية القديم السيد رشاد مهنا الوصى على العرش وبعض ضباط المدفعية والفرسان فى يناير ١٩٥٣ ، كان لك موقفا مؤيدا لهؤلاء ، ممن جعل القيادة فى القاهرة تعيد حساباتها بالنسبة لك ببطء وعلى مهل ... ما رأيك ؟

— صحيح كنت متعاطفا مع الاخ الكبير رشاد مهنا ومعه بقية زملائى فى المدفعية او الفرسان ، ولكنى لم اكن مؤيدا ، وفرق بين التعاطف والتأييد ، فالتأييد بالنسبة لى وفى موقعى يعنى التحرك عسكريا للدفاع عنهم ، وهذا لم يحدث ، أما التعاطف فقد نبع من الصدمة ، اذ لم يكن فى تصور احد منا ان الثورة ستقبض على بعض ابنائها الضباط وتلقى بهم الى سجن الاجانب او السجن الحربى بملابسهم العسكرية ، فضلا على ان بعضنا كان يردد ، ليس هناك انقلاب او تمرد ... كل ما فى الأمر ان هؤلاء الضباط رفضوا ان يتحولوا الى ضباط لا حول لهم ولا قوة ولا رأى ، وهم قاعدة أو طليعة الثورة ، فتقرر القبض عليهم لارهاب الباقي !

ويهمنى أن أقول أن حكاية تعاطفى مع رشاد مهنا وزملائه لم يفاتحنى فيها أحد ، ولم يشر اليها أحد كبير أو صغير الا فى عام ١٩٥٥ ، وحديث يدور بينى وبين الرئيس الراحل بعد عودته من باندونج ، وكنت قد استقبلته فى الهند !

متى ذهبت للعمل فى الهند ؟

— بعد أزمة اللواء محمد نجيب مع أعضاء مجلس قيادة الثورة فى فبراير ١٩٥٤ ، كان موقفى واضحا ،

فقد اعلنت عن تأييدى لفكرة عودة الجيش الى الثكنات ،
وفى هذه المرة أيدت بالمشاعر والعواطف فقط ، علانية
وليس فى الكتمان فهذه طبيعتى ، والتقيت بالرئيس
الراحل وقال لى انه يريدنى أن أعمل ماجدا عسكريا
بسفارة مصر فى الهند ، لأن الانجليز رفضوا أن يمدونا
بالسلاح ، وأمريكا فعلت نفس الشيء ، وواجبى أن
أحصل سريعا على أى كمية سلاح من الهند ، وربما
أنجح فى هذا العمل الحيوى بالنسبة لثورتنا ، فرحبت
على الفور ..

لحظة ، ألم تتخيل أن هذه المهمة تهدف الى إبعادك
عن البلاد ، بعد موقفك من « رشاد مهنا وضباط
المدفعية » عام ١٩٥٣ ، ثم موقفك من « محمد نجيب
عام ١٩٥٤ ؟ » .

— بصراحة لا — لم يكن لدى سوء ظن بالرفاق القدامى
وعبد الناصر كان أحدهم ، فضلا على صدق روايته
الخاصة بضرورة تسليح جيشنا ، وموقف لندن وأمريكا
وقال لى الشاعر القديم عاطف نصار مستطردا فى
حديثه :

— لقد اقتنعت بأن مهمتى الجديدة كملحق عسكري
فى الهند هى مهمة وطنية ، وإن جيشنا فى حاجة الى
السلاح ، فقبلت التكليف وسافرت على الفور ..

وفى الهند وجدت مناخا طيبا ، فعملت على توطيد
علاقاتى بالسفراء الغرب والاوربيين ، فضلا على المسئولين
الهنود ، كما حرصت على لقاء جميع الزعماء الافريقيين
الذين كانوا يزورون الهند وبلادهم لم تستقل بعد ،
وأقمت صداقات مع جميع القيادات العسكرية الهندية

حتى تلك التى كان يسيطر عليها كبار الضباط الانجليز، واستطعت ايجاد قناة تصل بين الضباط المصريين فى القاهرة وبعض المعاهد العسكرية العليا فى الهند ، رغم العقبات التى وضعها فى طريقى عدد من القادة الانجليز، وزلتها بواسطة علاقاتى الطيبة بالهنود ، كما اقامت علاقة صداقة بكل من سفيرى الصين ، والاتحاد السوفيتى فى نيودلهى ، وحضرت حفلات استقبال كثيرة حضرها الرئيس نهرو ووجده يولبنى اهتماما وعطفا خاصا ، كل هذه العوامل كانت مقدمة طيبة سهلت لى لقاء عمل مع الرئيس نهرو الذى ارتبطت به عن طريق التفاهم والتعاطف والحب ، وقال لى الرجل الكبير ذات مرة :

— « اننى معجب ليس بنشاطك العسكرى الدبلوماسى الواسع الذى اسمع عنه بل بنشاطك بين جماهير الهند نفسها . »

وعلى الفور ارسلت لنا الهند كميات ليست قليلة من المدفعية والاسلحة الخفيفة ، ولم يعلن عن ذلك حتى اليوم ..

صفقة السلاح الروسية !

ويستطرد العقيد أحمد عاطف نصار فى حديث الذكريات فيقول :

— بعد وصول الاسلحة الهندية الى مصر تلقيت دعوة من السفير السوفيتى للعشاء على مأدته ، وكان معى السيد عبد الرحمن حمدي المستشار التجارى بسفارتنا ، وهو شقيق فنان السينما عماد حمدي ،

ووجدتها فرصة للحديث عن أمريكا وإنجلترا ومصر ،
وروسيا ، وإمكانيات قيام تعاون بين الاتحاد السوفيتي
ومصر ، دون قيود أو شروط كالتى تطالب بها أمريكا
أو إنجلترا ، ما دامت القاهرة وموسكو تعلنان معا انهما
ضد المصالح الاستعمارية ، واستمع السفير السوفيتي
لى جيدا ، خاصة حين تحدثت عن علاقة مصر بحركة
التحرر الافريقى النامية ، وضرورة تأييد روسيا لهذه
الحركة المناهضة للاستعمار ...

ومرت عدة اسابيع ، وعاد السفير السوفيتي فى
الهند يقول لى :

— « اننى كتبت بكل ما دار بيننا الى موسكو وهى
تسألنى الآن ما هو السبيل لتحقيق التعاون الذى اشرت
اليه بيننا وبينكم ؟ » .

وشرحت له افكارى وتصورى ، ووضعنا خطة عمل ،
ومضى شهر بعد ذلك ، وجاء الرجل مرة ثالثة واستمعت
الى حديثه :

— « لقد نسقنا العمل ليكون قائما بينك وبين سفير
الصين فى الهند ، حتى لا تظهر فى الصورة فنؤلب علينا
أمريكا قبل أن نفعل شيئا ايجابيا ، كما أن تعاوننا مع
حركة التحرر الافريقى وتأييدها سيكون عن طريق
القاهرة ، وبكين رحبت بالخطة . »

وكتبت بكل ما دار الى الرئيس الراحل جمال عبد
الناصر ، وتنقلت بين نيودلهى والقاهرة ، واجتمعت
بالسفير الصينى فى الهند عدة مرات حسب الخطة ،
وطلبنا من القاهرة موافقتنا باحتياجاتها من السلاح ،

وعلم الرئيس نهرو بكل خطواتنا وباركها ، ولكن القاهرة لم ترد بغير ضرورة الانتظار قليلا ، وقد انتظرت طويلا ، حتى ان السفير الصينى فى الهند قال لى ذات لقاء :

— هل تعلم شيئا ، ان السيد شواين لاي بعث يسألنى ماذا عن القاهرة ؟ ! لماذا هذا الصمت من جانبها وما تبريره ؟ !

وأرسلت بكل هذه الانباء الى الرئيس الراحل ، والموقف كما هو ، وكأئننى أرسل المجحول !

وذهب عبد الناصر الى باندونج حيث اشترك فى المؤتمر التاريخى عام ١٩٥٥ ، وعاد من باندونج الى الهند فوجد الشعب الهندى فى استقباله والزينات تملأ الشوارع التى سيمر بها ، وعدد من الصحفيين الهنود ذوى الشهرة العالمية يطلبون لقائه ، وكانت أول مرة يخرج فيها عبد الناصر من مصر ، ويجد هذا الاستقبال الجماهيرى الرائع فى انتظاره . . . بعدها وقع أمران لم أعدهما اهتماما أو انتباها فى أول الأمر ، حين انفردنا بالرئيس نهرو ، سأل عبد الناصر فى حسن نية وانفعال بما رآه ولقيه :

— « ما هذا الاستقبال الجماهيرى الضخم . . . هل الشعب الهندى يعرفنى الى هذا الحد ؟ » .
وقال « نهرو » فى خبث وهو يشير نحوى :

— « اسأل ماحقك العسكرى ، ان له جيوبا واتصالات فى شوارع وأحياء الهند لا تعرفها الحكومة الهندية ! »

ونظر جمال عبد الناصر لى نظرة لم أستطع تفسيرها تلك اللحظة . . . نظرة امتنان ممزوجة بالدهشة والغيظ والرفض لما يسمعه ، وكان رحمه الله يملك هذه النظرة !

الامر الثانى وقع وكنا نغادر أحد المساجد الهندية
بعد تأدية الصلاة ، واذا بالجماهير من مسلمى الهند
تتقدم منا وتحوط عنقى بعقود الورد ... تفعل هذا
معى فقط دون الرئيس الراحل ، وعبثا حاولت أن
أصحح لهم أمام الزحام المتدفق علينا ..

وحين انفردنا ، الرئيس عبد الناصر وأنا ، قال لى
حائقا :

— « هم فاكرين انك انت رئيس مصر والا ايه ؟ ! »
وقلت له بصراحتى البشعة :

— « وكيف سيعرفونك وانت رئيس حديث ولم تخرج
من مصر قبل اليوم ، وتزور الهند لأول مرة ، لقد
اختلف عليهم الامر ، سوء فهم ، ولأنهم يعرفوننى أكثر ،
كرجل يعمل فى الهند وضعوا عقود الورد حول عنقى
بحسن نية طبعاً .. »

وترك تعليقى كما تبينت بعد ذلك أثرا سيئا لدى
الزعيم الراحل الذى حدثته حديث الزميل للزميل أو
الصديق القديم للصديق ، بلا كلفة ناسيا انه أصبح
الآن رئيسا لمصر ، ليس عن عمد ، بل هو نسيجى البشرى
الذى لم أستطع أن أستبدله بنسيج آخر !

وفاتحنى الرئيس جمال عبد الناصر « معاتبا » فى
قصص مختلفة ، قال انها بلغت ، حول وقوفى الى جانب
الصديق القديم رشاد مهنا فى يناير ١٩٥٣ ، ولأول مرة
يدور مثل هذا الحديث بيننا ، كما ناقشنى فى تأييدى
للواء محمد نجيب ، ولم أكذب بطبيعة الحال فصارحته
بكل ما وقع منى ..

وتشعب الحديث فتحدثنا عن السلاح والهند والصين والاتحاد السوفيتي ، ورويت له تفاصيل قصة التحاق دفعة من ضباط القوات البحرية المصرية بكلية الأركان البحرية الهندية بعد أن اعتذر قائدها الإنجليزي رسمياً عن قبول الدفعة لعدم وجود أماكن ، ثم اضطر لقبولها حين قدمت له كشفاً بالأماكن الشاغرة في الكلية ، إلى جانب تدخل القادة الهنود من أصدقائي ..

وقال عبد الناصر لي :

« أما عن مسألة السلاح فقد تحدثت فيها مع الرئيس الصيني شواين لاي في باندونج واتفقنا على التفاصيل ، وكل الخطوات القادمة ، وستعود معي بإعطف إلى القاهرة ، لكي نضع وندرس احتياجات قواتنا من السلاح ، وسيكون اتصالك بي مباشرة حتى لا يكون هناك تعطيل أو إبطاء ... »

وعدت معه إلى أرض الوطن ..

وحاولت أن أنفذ توصيته لي ، بأن يكون اتصالاً به مباشرة ، ولكنني لم أستطع رؤيته أو لقائه ، حجبتة عناصر مراكز القوى وهي في بداية تكوينها ، وبقيت في القاهرة أربعة أسابيع بلا عمل ، ففضلت السفر إلى الإسكندرية مؤثراً الابتعاد عن دائرة نفوذ « البرامكة الجدد » الذين التفوا حوله ، وأخذوا ينشرون دائرة سيطرتهم تدريجياً ..

وفي الإسكندرية فوجئت بالرئيس الراحل يطلبني تليفونيا في بيتي ، ولم أكن موجوداً ، وحين عسدت وأخبروني بالمكالمة ، قلت لأبد أنه حصل على احتياجاتنا من السلاح ، وأنه سيكلفني بالسفر فوراً إلى الهند ،

وعندما تحدثت معه ، استمعت الى مفاجأة جديدة لم تكن فى حسابى قط ..

المعاش والعمل السياسى !

قال لى عبر التليفون :

— يا عاطف انا فكرت فيك وشايف انى محتاجك للعمل السياسى بجانبى ، وعشان كده حتحال للمعاش !

وسألته عن موضوع السلاح فأجاب :

— انس هذه الحكاية ، لأننى اتصلت بالسوفييت مباشرة ..

كانت مفاجأة بالنسبة لى ، لم أشعر بها إلا بعد نهاية المكالمة ... ثم وجدت انه من الانسب أن أنسى الموضوع بأكمله ، السلاح والمعاش ، خاصة وان زوجتى أصيبت بمرض واضطرت الى مرافقتها للعلاج فى سويسرا ثم عدت الى الاسكندرية ..

والتقيت بالرئيس الراحل وفهمت منه انه رشحنى لى اكون مساعدا له فى قيادة الاتحاد القومى مسئولاً عن الوجه البحرى ... ولم أعترض وبقيت أنتظر دون نتائج ..

وقام عبد الناصر بتأميم القناة ، ووقفت بكل حواسى وامكانياتى الشخصية بجانبه ، وعهد لى بتكوين جيش التحرير الشعبى وقيادته مع زملائى القدامى من الضباط الاحرار وغيرهم ، فقد وضع فى ذهن عبد الناصر وكلنا أيدنا هذا التحليل ان انجلترا وفرنسا لن تقف بالصمت أمام تأميم القناة ، وان اسرائيل ستستغل هذا الوضع لحسابها ، وشرعنا فى وضع خطة عسكرية للحيلولة بين

أى قوات معتدية ومحاصرة الاسكندرية او غزوها من الصحراء الغربية على أساس ان القوات المعتدية قد تهبط بالمظلات فوق الساحل الشمالى الغربى ، ثم تصل الى الدلتا فالقاهرة .. الى جانب خطط اخرى وضعت لدى عبد الناصر حول تأمين مدن منطقة القناة الثلاث ، وهى بعيدة عن دائرة اختصاصى أو مهمتى ..

وأخذت أنا وزملائى فى الاسكندرية نخطط لواجباتنا تخطيطا عمليا ، بدأنا أولا بفحص امكانيات المدينة ، ووضعنا فى حسابنا اننا قد نحارب حربا شعبية ربما تستمر ستة أشهر ، لكى نحول بين القوات المعتدية والوصول الى الدلتا او حصار الاسكندرية كما قلت ، ووضعنا أيضا فى حسابنا اننا سنحارب فى الصحراء الغربية الشمالية ، ففكرنا فى تسليح العرب والبدو من سكان الصحراء وشرح الاحتمالات لهم ، ثم تسليح شباب الاسكندرية جنود جيش التحرير الشعبى ..

كانت الخطة شاملة لتوفير كل ما يخطر على البال ..

مواد تموينية - وقود - خبز - أدوية - ملابس -
أغطية - ذخيرة - سلاح - تدريب مستمر - قيادات
فرعية الأحياء - نشاط وطنى ناضج أظهره جميع
الضباط الاحرار وغير الاحرار - ضباط القيادة الشمالية
العسكرية أظهروا تعاطفهم وتعاونهم معنا بكل امكانياتهم ،
وأخذت اجتماعاتنا تنعقد يوميا كى نتابع تطبيق خططنا
على الواقع ... ولكنى فوجئت بما لم أكن أتوقعه
هذه المرة أيضا !

فوجئت بعراقيل فى طريقنا تفتعلها هيئة التحرير
بقيادة المرحوم الليثى عبد الناصر ، وعراقيل أخرى من

قيادات الحرس الوطنى بقيادة الزميل القديم عبدالفتاح
فؤاد ، وعقبات توضع أمام أى التحام أو تعاون بين
جيش التحرير الشعبى وقوات الحرس الوطنى ، وكان
هذا التعاون ضروريا ما دامت القيادات لم تتوحد وما
دامت القاهرة تصر على أن يعمل جيش التحرير منفصلا
عن الحرس الوطنى !

واستمرت العراقيل والعقبات التى يضعونها فى طريقنا
وأمام نشاطنا تزداد يوما بعد يوم ، وبلغنى ان السيد
عبد الفتاح فؤاد ، قائد الحرس الوطنى فى القاهرة ،
طلب الى صديقه المرحوم عبد الحكيم عامر ، ابعادى
عن الاسكندرية ، كما بلغنى ان هناك من اخبر الرئيس
الراحل وعبد الحكيم أيضا ، بأننى وزملائى نعمل على
اقامة دولة فى الاسكندرية داخل الدولة !

وجاءنى اللواء عثمان نصار موفدا من القيادة حيث
كان يعمل فى القاهرة بجانب عبد الفتاح فؤاد ، وفهمت
من حديثه ان « البرامكة » الذين التفوا حول القيادة
السياسية فى مصر قد نجحوا فى تسميم وافساد كل
الامور حولى !

ولم تتوقف المفاجآت ، جاء صلاح نصر سرا الى
الاسكندرية ولم ألتق به ... ثم أرسلوا لنا اللواء احمد
سالم ليقوم أو يتولى منصبا جديدا وهو قيادة عليا
للمدينة !

وأخذ اللواء احمد سالم يعمل كقائد مطلوب منه
تجميد كل نشاطنا وجديتنا فى العمل ، وقام بالفعل
بتحركات مضادة لجيش التحرير الشعبى ، وكأنه جيش
عدو ، وسمعت ان المرحوم عبد الحكيم عامر ألح على

الرئيس الراحل كى يصدر أمراً بإبعادى أو اعتقالى ،
بل سمعت أيضاً أنهم أبلغوا عبد الناصر بأننى كنت أعمل
على طبع نقد خاص للاسكندرية ... تدعيما للمعلومات
السابقة التى أبلغوها له وهى اقامة دولة داخل الدولة،
لسكى يوغلوا صدره ضدى !

ليست كلها مختلقة .. !

قلت للسيد عاطف نصار:

سؤال اعتراضى هنا ... أسمع به ؟
- تفضل ...

لقد سمعنا فى القاهرة تلك الايام ان مجلس قيادة
جيش التحرير الشعبى بقيادتك قد ناقش هذه
المسألة ، مسألة قيامكم بطبع أوراق نقد خاصة
للاسكندرية ... هل حدث ان ناقشتم هذا الموضوع
فعلا ، أم ان القصة كلها مختلقة ؟

وأجابنى الرجل بصراحته المعروفة عنه :

- ليست كلها مختلقة ، ولكنها أبلغت للرئيس
الراحل بأسلوب استفزازى بعيد عن الحقيقة ... لقد
طرح أحد الأعضاء هذا الموضوع بالفعل فى حالة لا قدر
الله حصار الاسكندرية ، حتى نستطيع السيطرة على
امن المدينة ، بل ان أحدنا طرح توفير أدوات التجميل
اللازمة لسيدات الاسكندرية حرصا على رفع معنوياتهن
فى حالة الحصار ..

كنا نضع أمام عيوننا كل الاحتمالات ، بل أسوأ
الاحتمالات، وسبل مواجهتها بالعقل والمنطق والامكانيات
دون ان تصبح الاسكندرية عبئا على القاهرة أو دمنهور

أو طنطا مثلا ، ومن هنا طرح كل قائد تصوره وأفكاره . . . و فرق شديد بين أن نطرح أفكارنا المتشائمة والمتفائلة ، وبين أن نعمل في تنفيذها سرا أو علانية ، هذا هو الموضوع ، وقد أبلغوه بالاسلوب المنحرف عن عمد ، حين وجدوا جماهير الاسكندرية قد التفتت حول قيادة جيش التحرير الشعبى ، وان تحركاتنا كلها جدية ، ليس هدفها ارضاء القيادة في مصر تقريبا وتزلفا ، بل ارضاء ضميرنا الوطنى فى الدرجة الاولى !

لقد بلغت هذه الجدية اننا أعددنا كتائب متطوعين من الفدائيين استعدادا للسفر الى منطقة القناة ، والقتال هناك ، بجانب فدائي بور سعيد والاسماعيلية والسويس ، احساسا منا بأن منطقة القناة معرضة للغزو أيضا مثل الاسكندرية ، وان واجب شعب الاسكندرية أن يستعد للقتال هنا أو هناك . .

وامام العقبات والاشواك والاحجار الضخمة التى وضعوها فى طريقنا أو بناء على المعلومات التى تصل الينا عن زيارات سرية يقوم بها بعض المسئولين قادمين من القاهرة لجمع معلومات وتحريات عن نشاطنا ، ويعلم الله وحده ماذا يكتبون أو كتبوا فى تقاريرهم ، سافرت الى القاهرة لأضع نهاية لهذا النشاط المعادى المضاد لنا وفى القاهرة لم أستطع خلال ثلاث محاولات لقاء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وتأكد لى أنه يتهرب من لقائى عن طريق سكرتيرته ، فالتقيت بكمال الدين حسين وكان قائدا لقوات الجيش الشعبى فى منطقة القناة ، واستمع لى ، وفى الحقيقة كنت غاضبا ، فأعلنت رفضى لهذا الاسلوب الذى أعامل به ، ورفعت صوتى عاليا :

« هذا فساد ، واذا لم تتدخل القيادة العليا للبلاد
للقضاء على هذا الفساد ، فأنا كفيل بالقضاء عليه . »
وكانت الطامة الكبرى ! !

فسروا كلامي الفاضب ، بأننى أهدد ، واننى أدبر
انقلابا ، فطلب منى كمال الدين حسين ناصحا أن أقدم
استقالتي فرفضت ، فاذا به يقول :
« أنا أيضا سأقدم استقالتي . »

تركته وعدت الى الاسكندرية ورويت لزميلي وصديقي
عبد الحليم الاعسر ما دار فى القاهرة ووجدته يؤيد
الاستقالة ، كما أخبرنى انه استقال قبلى من قيادة
جيش التحرير الشعبى ، ولا أعرف لماذا قبلت كتابة
استقالتي ...

هل كان ياسا من زوال هذه الاوضاع ، أم رفضا
للتعاون مع هؤلاء الناس ؟ ! لا أعرف ...
واعتكفت فى بيتى بالاسكندرية ...
متى قدمت استقالتك ؟

« فى سبتمبر ١٩٥٦ .. »

وهل تلقيت ردا بقبولها أو رفضها ؟ ..

« كما هى العادة ، لم أتلق شيئا ، صمت كامل من
جانبهم ومن جانبى ... »

ومرت أيام قليلة ، وذات عصر استيقظت من نومى
ظهرا على أصوات مظاهرة تمرأمام بيتى ، فتحت النافذة
فوجدت ما يقرب من ٢٠ شابا يهتفون ضد الرئيس

الراحل ، واذا بجزار يتصلبى لهم بشسومة فيهربون
إمامه ذعرا وخوفا ... أدركت على الفور أنها ليست
مظاهرة حقيقية ، بل هى مذبحة وأن هؤلاء المتظاهرين
مجموعة من الماساجودين !

وأمسكت بالتليفون وتحدثت مع زميلى ضابط الإشارة
المرحوم صلاح حنفى فى قيادة الجيش الشعبى وطلبت
منه إبلاغ الشرطة وضرورة القبض عليهم ، على هؤلاء
المأجورين وحصارهم قبل وصولهم مستشفى الشاطبي ،
وبالفعل قبض البوليس على أكثرهم ، وحرروا لهم
محضرا ، كما وجدوا معهم أموالا كثيرة ، وثبت أن
أغلبيتهم من العاطلين بلا حرفة أو مورد رزق واضح ،
ثم أودعوهم حجز قسم الشرطة تمهيدا لإرسالهم الى
المباحث العامة التى لم تهتم إطلاقا بما حدث !

وفجأة ، فجأة مرة أخرى ، حيث تكررت المفاجآت
بالنسبة لى ، صدرت تعليمات تليفونية من قيادة المنطقة
الشمالية العسكرية بالافراج فورا عن هؤلاء المتظاهرين
والغاء المحضر .. ثم سمعت العجب مساء ذلك اليوم ،
وأنا أتساءل لماذا أفرجوا عن هؤلاء المخربين ؟ ومن الذى
يقف وراءهم ، وما هى أهدافه ؟

سمعت أننى مدبر هذه المظاهرة التى هتفت بسقوط
جمال عبد الناصر ، وأننى الذى أقف وراءهم وأمولهم
بالمال ، وأننى أهدف الى تعبئة شعب الاسكندرية ضد
الرئيس الراحل جمال عبد الناصر !!

وبعد أيام قليلة فى بداية أكتوبر ١٩٥٦ ، تلقيت خطابا
من القاهرة باقالتى وليس بقبول استقالتى !

لقاء مع عبد الحكيم عامر

وقبل العدوان الثلاثى بفترة بسيطة ، قبل ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، بثلاثة أيام على ما اذكر ، توجهت الى القاهرة ، وسعيت لمقابلة عبد الحكيم عامر .

كنت قبل سفرى للقاهرة قد استمعت طويلا للاذاعات العسالية ، واخذت أحل الموقف واضع استنتاجاتى فوق الورق ، واقتنعت بأن انجلترا ستدبر عدوانا علينا وأن اسرائيل لن تقف موقفا سلبيا ، فأردت أن أضع تصوراتى هذه أمام عبد الحكيم عامر .

وظن المرحوم عبد الحكيم عامر اننى أسعى للعودة الى عملى من خلال هذا اللقاء ، ولما تأكد له أنه أخطأ تقدير موقفى وفهمى وباعثى للاقائه ناقشنى فى كل ما حدث .. بداية بقولى أمام كمال حسين اننى كفىل بالقضاء على هذه الأوضاع الفاسدة ، وكيف فسروا هذا الكلام ، بالمظاهرة المفتعلة التى نسبوا تدبيرها لى فى الاسكندرية !

وتكلمت طويلا أمام عبد الحكيم عامر ، ليس دفاعا عن نفسى بل توضيحا للأمور ورأى فى تفسيراتهم المعوجة ورؤيتهم المنحرفة ، وفى النهاية قلت له :

— اننى أريدكم القيام بعمل جاد دفاعا عن ثورتنا ، ان الانجليز لن يتركونا ، وعن نفسى فسأقاتل بمسدسى وسط الشارع وجماهير الشارع ، وأؤكد لك اننى لا أريد العودة الى قيادتى السابقة ، كما سيفسرون لك زيارتى بعد انصرافى ومفادرتى مكتبك .

وقال لى عبد الحكيم عامر مطيبا خاطرى :

— « اطمئن كل الدلائل تؤكد ان الانجليز لن يعتدوا علينا ، والملحق العسكرى المصرى فى لندن أرسل لنا يؤكد هو الآخر هذه المعلومات » .

وغدت إلى الاسكندرية ، ووقع العدوان الثلاثي ،
وجمعت الفدائيين الذين نظمناهم للقتال في منطقة القناة
بقيادة أحد الفدائيين الانتحاريين المعروفين بماضيهم
الفدائي وهو « أحمد المصري » وطلبت منهم التحرك إلى
بور سعيد ، ولكن بعض قادة الرئيس الراحل
وعبد الحكيم عامر منعوهم من الدخول عند مدخل رأس
البر ، وهددوهم بالقبض عليهم أن لم يعودوا إلى
الاسكندرية !

وتوالت أحداث هذه الايام التاريخية كما هو معروف
وكما نشر وأذيع من قبل ، وعدت إلى دراسة الحقوق
مرة أخرى بعد أن توقفت عام ١٩٥٣ ، وكنت قبل الثورة
التحققت بالجامعة عام ١٩٥١ ، ثم ترددت على القاهرة ،
في بداية ١٩٥٧ عدة مرات ، زرت خلالها زميلي
العقيد حسن عبد المجيد صيام ، وكان يسكن
في شقة مجاورة لشقة الكاتب الصحفي الاستاذ
عبد الحميد الاسلامبولي والسكرتير الصحفي السابق
للدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرية في
عهد الوفد ١٩٥٠ - ١٩٥١ ، وكان الاسلامبولي يعمل
وقتها ، في فبراير أو مارس عام ١٩٥٧ ، بهيئة
الاستعلامات يعاونه « قدرى » ضابط سابق من ضباط
المدرعات وواحد ممن حوكموا عام ١٩٥٤ مع تقيب
الفرسان أحمد المصري ، ويشغل الآن منصب وكيل
احدى الوزارات وهو شاهد الاثبات الوحيد في « قضيتنا »
التي وصفها بعض رجال ومستشاري الرئيس الراحل
بأنها قنبلة ١٩٥٧ ، وللأسف وبعد أن صنعوا منها قنبلة
من الحجم الكبير وقدموها للشعب المصري على أنها
مؤامرة العصر ، ظهر أنها قنبلة جوفاء فارغة ، وهم

اصحاب القنبلة ومخترعوها الذين أكدوا بعد ذلك فراغ
هذه القنبلة وزيفها !

لقد كانت هذه القضية ، قضية التآمر على قلب نظام
الحكم تضم وزيرين سابقين من أشهر وأبرز وزراء الوفد
وهما الدكتور محمد صلاح الدين ، والاستاذ عبد الفتاح
حسن عضو مجلس الشعب الآن ، ثم الاستاذ
عبد الحميد الاسلامبولي الكاتب الصحفي وزميله الكاتب
الصحفي القديم الاستاذ محمد السوادى ، والاستاذ
محمد السقا أحد سكرتيرى المغفور له مصطفى النحاس
باشا ، وتضم أيضا « ثمانية » من العسكريين على
رأسهم العقيد عاطف نصار ، وأثارت هذه القضية التى
نظرها الفريق أول الدجوى ضجة كبرى أمام الراى العام
المصرى والعالمى ، واستغرق نظرها ٢٤ جلسة ما بين
منتصف أغسطس ومنتصف سبتمبر ١٩٥٧ .

وبعد صدور الاحكام فى أكتوبر ١٩٥٧ وكانت تقضى
بإعدام المتهم الاول الثائر القديم عاطف نصار ثم السجن
المؤبد له ولأبرز المتهمين فيها ، أرسل أحد الصحفيين
الاجانب برقية صحفية من القاهرة ولم يكن قد مضى على
صدور الاحكام أكثر من ٩١ يوما ، وكانت هذه البرقية
هى القنبلة الحقيقية فى قضية المؤامرة ، كانت البرقية
تروى تدخل الرئيس الهندى الراحل جواهر لال نهرو من
أجل الضابط السجن عاطف نصار ، وقبول الرئيس
الراحل عبد الناصر باستبدال عقوبة الإعدام أو السجن
المؤبد الى الإفراج الفورى ، وقبل مضى عام ، كان جميع
المتهمين قد عادوا الى بيوتهم .

ونزل الستار بذلك ، ستار الصمت الكثيف على
قضية الضباط الاحرار فى مدينة الاسكندرية ، حتى آن
لها أن تنشر فى عيد الثورة الخامس والعشرين .

فهرس

صفحة

٧	تقديم
١٨	عمل عظيم تأخر عن مواعده ٢٠ عاما
٣٧	أنور السادات وتنظيم الضباط الاحرار
٥٩	الضباط الاحرار في الطيران
٨٣	أحرار المدرعات
١١٠	يوسف صديق والخطأ الذي أنقذ ثورة يوليو
١٢٩	عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة
١٤٤	ثوار المدفعية
١٧٧	رشاد مهنا وأول صدام بين ثوار يوليو
٢٢٥	أحرار المشاة والاشارة
٢٥٣	الضباط الاحرار في الإسكندرية

كتاب الهلال القادم :

أحاديث منتصف الليل

للدكتور حسين مؤنس

يصدر ٥ أغسطس سنة ١٩٧٧

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة - ص ٠ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم علي نجاس
المملكة العربية السعودية

THE ARABIC PUBLICATIONS

7. Bishopstrove Road

London S.E. 26

ENGLAND

انجلترا :

M. Miguel Maccul Cury.

B. 25 de Maroc, 994

Caixa Postal 7406,

Sao Paulo. BRASIL.

البرازيل :



هذا الكتاب

« ثوار يوليو - الوجه الآخر » - أقرب الى البحث التحقيقي في ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وخلفياتها التي لم يقدر لها أن تنشر حتى اليوم - وهي خلفيات الحمل بالثورة ، وكيف عاشت جنينا بين مجاميع الشباب الثائر من ضباط أسلحة الجيش المصري بداية بالاربعمئات ، حتى خرجت الثورة وليدة خضراء الى الوجود لتغير مجرى التاريخ في الوطن العربي وأفريقيا ...

● ولقد قام المؤلف « حمدي لطفى » بدراسته هذه التي استغرقت ربع قرن من الزمن ليضيف بعض الحقائق التي لم تنشر من قبل عن جذور الثورة وعوامل تكوينها ثم نجاحها ...

● ولقد عاصر « حمدي لطفى » ثورة يوليو منذ يومها الاول ، وبدأ في اعداد كتابه هذا مع بداية ١٩٧٢ ، ليصدر في عدد الثورة الخامس والعشرين - يوليو ١٩٧٧ .

● ولكن ... هل هذه هي قصة الثورة كلها ، أم أن أخرى لم يرفع عنها الستار بعد ؟!

● وسيبقى السؤال معلقا ... حتى يجيب عنه التاريخ

